جامعة عمر المختار / كليّة الآداب

قسم التاريخ

خليج سرت الكبير في التاريخ القديم

دراسة مُقَدَّمة للحصول على درجة الإجازة العالية (الماجستير) في التاريخ القديم

إعداد الطالبة : عُليه إبراهيم حسين الحوتي

إشراف الأستاذ الدكتور: عبد السلام محمد شلوف

2008 م

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرست الموضوعات

الآية
الإهداء
شكر وتقدير
قائمة الاختصارات
المقدمة 1
الفصل الأول : خليج سرت الكبير في العصور القديمة 7
المبحث الأول : العصور الجيولوجية 8
المبحث الثاني: التطور الجيومورفولوجي للصحراء الليبية 16
المبحث الثالث: عصور ما قبل التاريخ 19
الفصل الثاني: العوامل الجغرافية وأثرها في تاريخ خليج سرت الكبير 26
المبحث الأول : أصل التسمية 27
المبحث الثاني: الموقع والشكل والتضاريس 31
المبحث الثالث: المُناخ والثروات الطبيعية 42
الفصل الثالث: الليبيون المقيمون في منطقة خليج سرت الكبير 49
المبحث الأول : أهم القبائل الليبية التي عاشت في الخليج 50
المبحث الثاني : حياتهم الاقتصادية 62
المبحث الثالث: حياتهم الدينية 71
المبحث الرابع: علاقاتهم بالمناطق المجاورة 78
الفصل الرابع : الصراع بين الفينيقيين والإغريق والرومان والقبائل الليبية 81
المبحث الأول: مجيء الفينيقيين والإغريق للمنطقة 82
المبحث الثاني: الصراع بين الفينيقيين والإغريق 88
المبحث الثالث: مجيء الرومان إلى المنطقة وموقف القبائل الليبية منهم 93
الفصل الخامس: مراكز العمران القديمة بمنطقة خليج سرت الكبير 111
المبحث الأول: مراكز العمران الليبية 116
المبحث الثاني: مراكز العمران الفينيقية 119
المبحث الثالث: مراكز العمران الإغريقية 127
المبحث الرابع : مراكز العمران الرومانية 137
الخاتمة 140
الملاحق 143
أولاً: شرح المصطلحات الواردة 144
ثانياً : جدول المسافات 159
ثالثاً : الخرائط 161
رابعاً : الصور الفوتوغرافية 172
المصادر والمراجع 185

بسم الله الرحمن الرحيم

□□□□□□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□□□□□□□ "
□□□□□ □□□□□□ □□□□ □□□□□□□□□□
□□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□□□□
□□□□□□□□ □□□□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□□□□
□ □□□□□□□□ □□□□□□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□
□□□□ □□□□ □□□□□□□ □□□□□□□□□□□□□□□
□□□□□□□□□□□ □□□□□□□□ □□□ □□□□□□□□□□
□□□□ "

صدق الله العظيم

سورة الأعراف (الآية 74)

الإهداء

لو استطاع العلم الوصول إلى صوت سريان الدم في عروق الإنسان لوجد أن صوت سريان الدم ما هو إلا صدى لكلمات تقول "وبالوالدين إحساناً".

إلى من كان لهم الفضل بعد الله علي إلى والدي، إلى كل مُربي ومعلم فاضل كان له الدور في تعليمي وإرشادي طوال سني دراستي، إلى إخوتي وأصدقائي، أهدي هذا الجهد الذي أرجو أن يكون موفقاً ومفيداً.

شكر وتقدير

ألحمد لله المستحق للحمد والثناء والشكر الذي امتدح عباده الشاكرين فقال عز من قائل "إنه كان عبداً شكوراً" أشكره سبحانه وتعالى على تتابع أفضاله وإحسانه الذي ذللّ لي الصعب، واشكر بعد شكره من أمر سبحانه بشكرهما فقال "إن اشكر لي ولوالدي".

أني في هذا المقام لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر إلى جامعة عمر المختار لما تقوم به من جهد لمساعدة الدارسين في كل الاختصاصات، كما أشكر مكتب الدراسات العليا وجميع العاملين به، وأسجل جزيل الشكر والعرفان لأمين اللجنة الشعبية بكلية الآداب أ– د/ عبد ربه بوبريق، وأسمى آيات الشكر وأعلى درجات الامتنان أرفعها لأستاذي المشرف د/ عبد السلام محمد شلوف لما أمدني به من نصح وإرشاد ووسعني برحابة صدره، وما أنفك يوجهني بملحوظاته القيمة، ويدلني إلى الطريق الصحيح والمصادر المعتمدة حتى أُخرج البحث إلى حيز الوجود، كما أتقدم بالشكر إلى جميع أساتذتي في قسم التاريخ الذين قاموا بتدريسي في المرحلة التمهيدية، ولم يدخروا جهداً في توجيهي في إعداد البحوث بملحوظاتهم ونصائحهم، كما أشكر العاملين بالمكتبة المركزية بجامعات عمر المختار وقاريونس والتحدي بسرت ومكتبة آثار شحات.

وأقدم شكري وتقديري الكاملين للأستاذ الدكتور/ إبراهيم عبد الرازق القواسمي والأستاذ الدكتور/ أحمد محمد أنديشه اللذين جشما نفسيهما متاعب السفر وتفضلا على مناقشة رسالتي هذه، وأعدهما بتطبيق كل ما يبديانه من ملحوظات وتصحيحات.

قائمة الاختصارات
List of Abbreviation

- A . A. = Antiqites Africaines .
- A . I. = Antonine Itineraria.

ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

- Diod. Biblioth. Histor . = Diodorus Siculus, Bibliotheca , Historica.

ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

- Ed. = Edition.
- Guid, Geog., Itin Rom, = Guid, Geographica, Itineraria Roman,
- GJ = The Geographical Journal.
- Hdt., Hist.,. = Herodotus, Histories.

ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

- J.R.S. = Journal of Roman Studies.
- L. A. = Libya Antiqua.
- L.C.L. = The Loeb Classical Library.
- L. S. = Libyan Studies , London , Paul Elek.
-Mel ., Pom.,De Charo., = Mela, Pomponius, De Charogrphia.
- nd = Second.
- Plin. Nat . Hist. = Plinius Natural History.

ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

- Plut. Mor., = Plutarchus, Moralia.
- Polib., Hist. = Polibius , Historiae.
- Procop. Build., = Procopius of Caesareas, Buildings.

ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

- Ptol. Geog. = Ptolemaeus , Geographia.

ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة

- Q.A.L. = Quaderni di Archeologia della Libya.

- Tab. Peut. = Tabula Peutingeriana.

ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

- Sall., Bell., Jug., = Sallustus , Bellum, Jugurthinum.

ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

- Scyl., G.G.M., = Scylax, Periplus, Geographia Graeci Minores.

ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

- S.E.G. = Sapplementum Epigraphicum Graecum.
- Sili. Ital . Pun. = Silius Italicus, Punico.
- S. M. M. = Stadiasmus Maris magni.
- Str. Geog . = Strabo, Geographia.

ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

-Uni = University.
- Vol = Volume.

!+

خليج سرت الكبير في العصور القديمة

- المبحث الأول : العصور الجيولوجية
- المبحث الثاني : التطور الجيومورفولوجي للصحراء الليبية
- المبحث الثالث : عصور ما قبل التاريخ

المبحث الأول
العصور الجيولوجية

إن دراسة العصور الجيولوجية تمكن من معرفة بدايات تكون الأرض وحركة الحياة وتفاعلاتها، وفي هذا المجال يعتقد العلماء بأن عمر الأرض يرجع إلى أربعة آلاف مليون سنة[1] أي أن الأرض قضت ما يقرب من ¾ عمرها وهي ذات صخور جرداء بلا حياة[2] وينقسم عمر الأرض الجيولوجي رغم طوله وفقاً لرأي علماء الجيولوجيا إلى أربعة أزمنة توجد مخلفاتها في غرب خليج سرت[3] وأهم هذه الأزمنة هي :

1- زمن الحياة الأولى (Proterozoic Era)

2- زمن الحياة القديمة (Palaeozoic Era)

3- زمن الحياة المتوسطة (Mesozoic Era)

4- زمن الحياة الحديثة (Cainozoic Era)

أولاً: زمن الحياة الأولى

ويتكون من ثلاثة عصور هي :

1- العصر ما قبل الكمبري (Pre cambrian)

شغل الفترة التي تبدأ من بداية نشأة كوكب الأرض وظل ما يقرب من 600 مليون عام مضى، ويعرف أيضاً بالأركي، وفيه بدأت الأرض على شكل كرة أو دائرة من الغازات الشمسية ثم انتقلت إلى حالة السيولة، وأعقب ذلك أن تكونت لها قشرة يابسة، أما الجو المحيط بها فقد كان كثيفاً ومليئاً بالبخار، وعندما بدأ سطحها يبرد بدأ البخار يتكثف وأسقط أمطاراً تكونت منها الأنهار والبحار، وظل باقي سطحها عبارة عن صحاري وجبال وبراكين ومروج من مقدوفات اللاڤا البركانية التي تتصاعد منها الأبخرة[4]، وكان المناخ حاراً تتخلله فترات جليدية متعاقبة.

أما من الناحية النباتية فقد كان المظهر النباتي الوحيد هو حشائش البحر، وبدأت أصول الحياة في البحار الدافئة خلال هذا العصر بشكل بدائي يشبه حشائش البحر والحيوانات غير الفقارية، ولا حياة على اليابسة[5].

2- العصر الكمبري[1] (Cambrian)

---

[1] لامه، أحمد غيث، مختصر تاريخ سرت منذ أقدم العصور إلى الحرب العالمية الثانية، سرت، منشورات اللجنة الشعبية لشعبية سرت، ط1 2005 ، ص 6 .

[2] غلاب، محمد السيد، تطور الجنس البشري، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4 1970 ، ص 41 .

[3] لامه، المرجع السابق، ص 6.

[4] عبده، طلعت أحمد محمد، الجغرافيا التاريخية في البلايستوسين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط 1 1991، ص 108 .

[5] غلاب، المرجع السابق، ص 42 .

بدأ هذا العصر منذ عام 600 ق.م (±20) مليون سنة وانتهى في 425 مليون سنة، ويتميز بطغيان البحر على مساحات كبيرة من اليابسة مما خلف وراءه العديد من المستنقعات أو البحار الداخلية خاصة في المناطق الهابطة من قشرة الأرض، وقد أمتاز أيضاً بقلة أحيائه رغم تنوعها والتي تمثلت في ظهور الأجزاء الصلبة في أجسام الكائنات الحية (كالقواقع والقشور والصفائح) [2]، كما نشأت في هذا العصر المجموعات الكبرى من غير ذوات الفقاريات التي تتغذى على حشائش البحر، وقد وجد أكثر من ألف نوع من الحيوانات غير الفقارية التي تتراوح في حجمها بين رأس الدبوس وبين 18 بوصة مكعبة ولا حياة على البر.

3- العصر الأوردوفيسي (Ordovician)

بدأ قبل 500 (±15) مليون سنة ودام 60 مليون سنة ويتميز بالآتي :

- استمرار طغيان الماء على اليابسة.
- ظهور أحياء جديدة مثل المرجان.
- ظهور شبيه الإخطبوط الذي زود بقوقعة بلغ طولها خمسة أقدام.
- ظهور ثورة البراكين، بينما المنُاخ حار وغير متقلب، واقتصرت الحياة النباتية فيه على حشائش البحر ولا حياة برية بعد[3].

ثانياً : زمن الحياة القديمة Palaeozoic Era

وينقسم إلى أربعة عصور هي :

1- العصر السيلوري[4] (Silurian)

بدأ قبل 440 (±10) مليون سنة ودام 40 مليون سنة، ويتميز بتذبذب مستوى سطح البحر بين الارتفاع والانخفاض من حين لآخر ما يسبب تغيرات منتظمة في مساحة اليابسة، وفيه تكونت سلاسل جديدة من الجبال وتناقصت حركة البراكين[5]، والمنُاخ في هذا العصر دافئ إجمالاً ولكنه جاف بشكل استثنائي في مناطق معينة، وظهرت فيه أنواع جديدة من الحيوانات الفقارية في البحار كما ظهرت فيه النباتات لأول مرة على اليابسة[6].

2- العصر الديڤوني[7] (Devonian)

---

[1] نسبة إلى كمبريا الاسم الذي أطلقه الرومان على ولز إحدى ولايات بريطانيا، البرغوثي، عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، بيروت، دار صادر، ط1 1970، ص 649 .

[2] عبده، المرجع السابق، ص 106 .

[3] البرغوثي، المرجع السابق، ص 649 .

[4] المرجع نفسه.

[5] المرجع نفسه.

[6] عبده، المرجع السابق، ص 107 .

[7] نسبة لأرض ديڤون حيث وجدت متحجرات هذا العصر لأول مرة، البرغوثي، المرجع السابق، ص 648.

بدأ قبل أربعمائة (±10) مليون سنة ودام خمسين مليون سنة، وتبرز أحواله الجغرافية في ازدياد رقعة اليابسة على حساب البحر، ويتميز هذا العصر بنشوء الجبال على نطاق واسع وكثرة حركة البراكين، أما مناخه فدافئ وشبه جاف، وفيه بدأت الأرض تكتسي بالخضرة نظراً لظهور نباتات ذات جذور وسيقان وأوراق، وتشمل هذه النباتات الأعشاب الصغيرة والأشجار التي وصل ارتفاعها إلى أربعين قدم، أما الحياة في البحار فقد شهدت تطوراً سريعاً في الحيوانات الفقارية، ونشوء أسلاف الأسماك الحالية وظهور سمك القرش البدائي الذي يبلغ طول الواحد منه عشرين قدماً، وسُمي هذا العصر بعصر السمك، وظهرت قبيل انتهائه الحيوانات البرمائية، ونظراً لوجود النباتات على اليابسة فقد توفر الغذاء للحيوانات البحرية غير الفقارية التي بدأت تغادر البحر وتكيف نفسها على الحياة فوق اليابسة فظهرت العناكب والحشرات غير المجنحة[1].

3- العصر الكربوني (Carboni Ferous) أو عصر الفحم

بدأ قبل 350 (±10) مليون سنة ودام ثمانين مليون سنة، وأهم أحواله الجغرافية أن البحار الصافية الضحلة انتشرت بكثرة في بدايته، وتكونت مساحات واسعة من اليابسة بينما انخفضت مناطق أخرى وتحولت إلى مستنقعات مالحة، يعتبر هذا العصر هو الفترة الرئيسية لتكوين الفحم خاصة في نصف الكرة الشمالي، وتجمعت فيه النباتات المتعفنة جزئياً الموجودة في مستنقعات الغابات وتحولت إلى فحم بعد ذلك. ومناخ اليابسة جاف للغاية طيلة معظم هذا العصر وإن كان دافئاً ورطباً في بعض المناطق إلى حد يسمح بنمو النباتات الكثيفة، وفيما يتعلق بالحياة النباتية نشأت في هذا العصر أشجار ضخمة دائمة الخضرة، في حين استمر تطور الحيوانات البرمائية التي تعيش في المستنقعات وعلى حدود البحيرات، ومع نهاية هذا العصر كثرت الأحياء البحرية من نباتات وحيوانات وتعددت أنواعها، وأصبحت الزواحف أول الحيوانات المتكاثرة على اليابسة في حين ظهرت أجنحة لبعض الحشرات[2].

4- العصر البرمي[3] (Permian)

بدأ قبل 270 (±5) مليون سنة ودام خمس وأربعين سنة، وتميز بحركات أرضية مهمة نشأت منها جبال عالية، كما تميز بأحوال مُناخية متناقضة فمنتصف الكرة الشمالي يسود معظمه الجفاف مع وجود بعض المناطق الدافئة الرطبة، بينما تسود معظم نصف الكرة الجنوبي حالات الفترة الجليدية، أما فيما يتعلق بالحياة النباتية فقد نشأ اختلاف موسمي في المناخ ودرجة الحرارة،

---

[1] المرجع نفسه.

[2] المرجع نفسه.

[3] نسبة إلى مدينة بيرم (Perm) الروسية، البرغوثي، المرجع السابق، ص 646.

وتناقص عدد النباتات دائمة الخضرة، وظهور النباتات القادرة على تحمل فترات الجفاف والصقيع، وبخصوص الحياة البحرية انتهت في هذا العصر سيطرة الأحياء البحرية على الحياة وازدياد الحيوانات والنباتات على اليابسة، وبدأ ظهور أنواع كثيرة من الحشرات[1].

ثالثاً : زمن الحياة المتوسطة

ظهرت مكوناته في غرب خليج سرت الكبير[2]، وينقسم إلى خمسة عصور هي :

1- العصر الترياسي[3] (Triassie)

بدأ منذ 225 (±5) مليون سنة ودام خمس وأربعين مليون سنة، وتتمثل أحواله الجغرافية في أن الصحارى والجبال المكسوة بالشجيرات شكلت معظم مساحة اليابسة، وتكونت الترسبات الرملية في البحار الدافئة وسادت أحوال جوية حارة جافة، والمناخ أصبح أكثر رطوبة قبيل نهاية هذا العصر، وقد عرقل الجفاف تطور الحياة النباتية في بدايته في نصف الكرة الشمالي، ولكن ازدادت الرطوبة في القسم المتأخر منه مما ساعد على نمو النباتات، وقد تطورت خلاله الزواحف التي تشبه السمك في شكلها وتأكل اللحوم، كما ظهرت خلاله الأسماك الطائرة والمخلوقات الأولى التي تشبه الجراد، وبشأن الحياة البرية استمرت الزواحف في السيطرة على الحياة اليابسة ونشأت عن الزواحف الثدييات الأولى[4].

2- العصر الجوراسي[5] (Jurassie)

بدأ قبل 180 (±5) مليون سنة ودام خمس وأربعين مليون سنة، وفيه تقدمت البحار من جديد في حين أن معظم اليابسة كستها الغابات أو المستنقعات مع وجود البحيرات والأنهار، وقد استمر نمو النباتات وظهر لبعضها ما يشبه الزهرة، ومعظم الحيوانات التي غلبت على حياة البحر في هذا العصر هي الزواحف المائية سريعة السباحة التي تتغذى على غيرها من الأسماك والأحياء المائية، وبالنسبة للحياة على اليابسة أزداد حجم وتنوع الزواحف[6].

---

(1) نفسه.

(2) لامه، المرجع السابق، ص 6 .

(3) نسبة للجبال ذات الطيات الثلاث في ألمانيا، البرغوثي، المرجع السابق، ص 645.

(4) عبده، المرجع السابق، ص ص 645 – 646.

(5) نسبة لجبال جورا في فرنسا وسويسرا، البرغوثي، المرجع السابق، ص 645.

(6) المرجع نفسه.

3- العصر الكريتاسي الطباشيري (Cretaceous chalk)

بدأ منذ 135 (±5) مليون سنة ودام 65 مليون سنة[1]، وينسب إليه تطور النباتات وظهور الديناصورات[2] فكان بعضها أكثر ضخامة من الفيلة والآخر أشد ضراوة من النمور، وأخرى لا يزيد طولها عن قدمين وثالثة رقيقة، وكانت حوالي خمسمائة نوع تقريباً، ولقد شهد هذا العصر أيضاً ظهور أول نباتات مزهرة، ولكن الديناصورات اختفت فيه بسرعة لعدة أسباب منها : أسباب بيئية وطبيعية، وأسباب أحيائية، فقد أصاب البيئة تغير لم يلائم الحيوانات الضخمة[3].

4- العصر الإيوسيني (Eocene)

بدأ قبل 70 (±2) مليون سنة ودام ثلاثين مليون سنة، وفيه ازدهرت النباتات المدارية وانتشرت النباتات المزهرة، وأدت المنطقة المناخية الدافئة إلى نمو النخيل، أما عن الحياة في البحار فإن الزواحف انقرضت وظهرت مجموعتان من الثدييات هي الحيتان وبقر البحر، أما بالنسبة للحياة البرية فقد ظهرت عدة أنواع من الثدييات قبل الفيل ووحيد القرن والحصان والخنزير والمواشي، وتلاشى وجود الزواحف الضخمة وظهور التمساح والسلحفاة البحرية والبرية والحشرات[4].

5- العصر الأليجوسيني (Oligocene)

بدأ قبل 40 مليون سنة ودام 15 مليون سنة، وازدادت الأرض خلال هذا العصر على حساب البحر مع انتشار حركات أرضية واسعة، واستمرت الأحوال المنُاخية الدافئة مع تعرض بعض أجزاء اليابسة لدورات من الشتاء البارد، وبالنسبة للنباتات بدأت الغابات بالتناقص بينما تزايدت الأراضي المعشبة مما أدى إلى زيادة الثدييات التي تتغذى على العشب، وفيما يتعلق بالحياة البحرية فقد ظهرت في هذا العصر أنواع جديدة من السرطانات والقواقع، أما بالنسبة للحياة البرية فقد تزايدت عدد الحيوانات التي تتغذى بالنباتات[5].

رابعاً : زمن الحياة الحديثة

---

[1] المرجع نفسه.

[2] البرغوثي، المرجع السابق، ص 642 .

[3] غلاب ، المرجع السابق، ص ص 68-70 .

[4] البرغوثي، المرجع السابق، ص 642 .

[5] غلاب، المرجع السابق، ص 69 .

يمتاز بالقصر النسبي وفيه كانت الصحراء الكبرى جزء من البحر المتوسط، ويمتد فيه خليج سرت إلى خط عرض 24^0 شمالاً، وتكونت في هذا الزمن طبقات الأرض وسلاسل الجبال، وباستثناء عصر البليوسين الذي لم تكتشف تكويناته على السطح في أية منطقة من ليبيا ما يدل على أن مياه البحر كانت قد انحسرت عن كل البلاد خلال هذا العصر، فإن العصور الأخرى لهذا الزمن تتمثل على نطاق واسع في معظم الأراضي الممتدة من خليج سرت في الشمال حتى قرب خط عرض 24^0 شمالاً في الجنوب[1]، وهي الأراضي التي كان يشملها خليج سرت القديم حتى أوائل الزمن الثالث (البليوسين)، والذي أخذ ينحسر عنها تدريجياً خلال العصور الجيولوجية التالية، ففي هذه الأراضي تسود تكوينات الأيوسين الأسفل والأوسط والأعلى في نطاقات متتابعة تتدرج حداثتها كلما اتجهنا شمالاً وشرقاً، ولكنها تختفي تقريباً إلى الشرق من خط طول 20^0 شرقاً تحت تكوينات عظيمة من الرمال والكثبان الرملية[2].

وإذا كان الزمن الأول زمن الأحياء البحرية، والثاني زمن الأحياء البرمائية، والثالث زمن الثدييات البرية، فإن البليستوسين يُعرف باسم عصر الإنسان ويُعزى ذلك إلى أن الأخير كان العامل الأكبر الذي أنشأ التغيرات على سطح الأرض[3] وقد ظهر في ليبيا كعصر من نوع خاص مغاير من وجهة الرطوبة بين عصر البليوسين من قبله وعصر الهولوسين من بعده، لكن هذا الاختلاف بالنسبة للعصر الذي سبقه وللعصر الذي لحقه ينقلب من الشمال نحو الجنوب، ففي النطاق الشمالي يتميز البليستوسين بحدوث تتابع منظوم من عدد من الفترات الرطبة بين فترات تكاد تكون جافة تماماً في البليوسين والهولوسين[4].

كما تميز هذا العصر بظاهرة فريدة وهي الانتشار الواسع المدى لغطاءات الجليد ومن أجل هذا سمي بالعصر الجليدي الكبير[5].

إن الدراسة في خليج سرت الكبير بينت أنه ينتمي إلى الصحارى الليبية التي هي جزء من الصحراء الكبرى، وظهر أن الصحاري القاحلة الآن كانت في وقت ماضي تتمتع بمناخ دافئ ممطر جعلها مليئة بالحياة النباتية والحيوانية[6].

ففي عصر البليستوسين تم صنع أدوات حجرية يقطع بها الحيوانات التي يتم صيدها، وبنظرة أخرى على العصر الجيولوجي الحديث الهولوسين يتحقق إدراك أن الإنسان أستأنس

---

[1] جودة، حسين جودة، الجغرافيا الطبيعية للصحارى العربية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1 1995 ، ص 136 .

[2] نفسه.

[3] شرف، عبد العزيز طريح، جغرافية ليبيا، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ط3 1996 ، ص 18 .

[4] عبده، المرجع السابق، ص 214 .

[5] عبده، المرجع السابق، ص 214 .

[6] البرغوثي، المرجع السابق، ص 261 .

الحيوانات وزرع النباتات[1]، حيث تميز هذا العصر بتزايد الجفاف في مناطق مختلفة في الأرض وخاصة في شمال أفريقيا، وأدى استمرار تزايد الجفاف إلى تكون الصحارى الحالية في العالم وإلى هجرة إنسان وحيوان تلك الصحارى وانقراض نباتاتها[2] حيث دلت الشواهد الجيولوجية على أن الصحراء الكبرى كانت في عصر البليستوسين أقل جفافاً مما هي عليه الآن، وكانت في أواخر ذلك العصر تعج بالنباتات والحيوانات والبشر وتكسو معظم جهاتها أدغال تكفي نباتاتها أضخم الحيوانات التي عاشت على وجه الكرة الأرضية مثل كومة عظام فيل المستدون الهائلة التي أُكتشفت في موقع الصحابة في صحراء خليج سرت الحالية، وكذلك الفيل والزرافة ووحيد القرن وفرس النهر والنعامة ولم يبق منها بعد سنة 2500 ق.م سوى بعض الزراف والنعام[3].

---

[1] محمد، محمد الفتحي بكير، الجغرافيا التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1 1999 ، ص 58.

[2] وهيبة، عبد الفتاح محمد، الجغرافيا التاريخية ، الإسكندرية، دار منشأة المعارف،د . ت، ص 85 .

[3] البرغوثي، المرجع السابق، ص 28.

المبحث الثاني
التطور الجيومورفولوجي للصحراء الليبية

عن طريق الربط بين مصاطب الأودية والقشور الجيرية والأجيال الكارستية توصل العلماء إلى تحقق حدوث سلسلة متتابعة تكون خمس فترات مطيرة فصلت بينها فترات جافة، وتعاصر هذه الفترات فترات باردة أو جليدية في وسط أوروبا، ولعل فترات الجليد الشمالية كانت تؤثر في ظهور الفترات الممطرة في النطاق الشمالي من ليبيا، فلا تحدث فترة مطر في شمال ليبيا إلا بوجود جليد في الشمال، وهذا ما يفسر وجود آثار لفترات مطيرة واضحة في ما قبل البليستوسين وفيما بعده، وعلى الرغم من أن النطاق الأوسط من ليبيا لا يحوي آثاراً واضحة لفترات مطيرة في البليستوسين القديم، فإنه يحوي الكثير من مخلفات فترات مطيرة ترجع إلى أواخر الزمن الثالث تتفق زمنياً مع بقايا بحيرات الزمن الثالث في منخفض الجفرة الشرقي مما يؤكد أن أوجه اتفاق بين فترات المطر في هذا النطاق الأوسط وفترات المطر في النطاق الشمالي مما يوحي بأن النطاق الأوسط بمثابة نطاق انتقالي يتمثل فيه بعض خصائص الشمال وبعض من خصائص الجنوب[1].

ولعل أول قسم ظهر من الأراضي الليبية فوق سطح البحر هو الصحراء الليبية، والجزء الأكبر من هذه الصحراء برز بالفعل أرضاً يابسة في بداية الزمن الثالث، وابتداء من هذا الزمن أخذت رقعة إقليم طرابلس في الظهور فوق مياه البحر المتوسط، وتحول قسم كبير منه إلى يابس مع بداية عصر الأيوسين، ثم تبع ذلك انحسار مياه البحر عن خليج سرت وكان ذلك نهاية عصر الميوسين.

كلما كان التاريخ الجيومورفولوجي لمنطقة معينة موغلاً في القدم كلما كانت الشواهد الجيومورفولوجية الباقية قليلة، بسبب معاناة هذه المنطقة أثناء تاريخها الطويل لدورات تعرية متكررة أثرت فيها بتعديل المظاهر الجيومورفولوجية التي شكلتها الدورة السابقة لها [2]، ويصعب استقرار التطور الجيومورفولوجي للصحراء الليبية على هذا المدى الطويل بوسائل البحث الجيومورفولوجية البحتة، ذلك أن معالم المنطقة إما أنها الآن زالت أو انطمست أو تعدلت وتشكلت بصورة أخرى مختلفة، وإذا كان خط الساحل يُقسم أرضاً تتعرض للظروف المنُاخية نفسها إلى شطرين أحدهما قاري تسوده التعرية[3]، والآخر بحري يسوده الإرساب فإن الشطر الأخير يعكس الطبيعة الجيومورفولوجية لليابس، فالرواسب البحرية تساعد على استقاء معلومات قيمة تختص

---

[1] شرف، المرجع السابق، ص 30 .

[2] جودة، المرجع السابق، ص 199 .

[3] المرجع نفسه.

بالكشف عن غموض الأوضاع الجيومورفولوجية القديمة للأراضي المتصلة بها، والمجاورة لها التي ظهرت فوق منسوب البحر حين إرساب تلك الرواسب، ويتحقق هذا عن طريق التحليل التفصيلي للتتابع الصخري والحيوي لهذه الرواسب، ويمكن ترجيح أن التطور الجيومورفولوجي للصحراء الليبية بدأ بالزمن الثالث حين طغى بحر تيتس[1] على أرضي ليبيا وأمتد جنوباً حتى وصل ساحله إلى خط عرض يمتد بامتداد دائرة العرض 29^0 شمالاً في أقصى الغرب، وامتداد دائرة العرض 25^0 شمالاً في أقصى الشرق، ومنه برز لسان بحري بين خطي طول 17^0 – 21^0 شرقاً نحو الجنوب ليقسم اليابس الليبي آنذاك إلى قسمين بوساطة هذا اللسان البحري الضخم وهو خليج سرت القديم الذي أثر في مناخ اليابس، وحدد نشوء وتطور نظام تصريف المياه، وكان لوجود هذا الخليج أثره العميق في التطور الجيومورفولوجي للصحراء الليبية، إن الإطار الجبلي الذي كان يحف بخليج سرت القديم، حيث كانت تتساقط الأمطار كان يُمثل المنابع لعدد من المجاري المائية التي كانت تتدفق منه إلى البحر، ولكن استمرت عمليات التعرية باكتساب المواد وتخفيض منسوب المرتفعات أثناء البليوسين ولكن كثافة تأثيرها كانت تتناقص بالتدريج لسببين[2]:

الأول : يتمثل في الانخفاض المستمر للتضاريس.

الثاني : يرجع إلى أن البحر كان آخذاً في الانحسار والتراجع شمالاً نتيجة لارتفاع تدريجي أصاب الأراضي الليبية[3]، ونتيجة لتراجع البحر التدريجي أخذ خليج سرت القديم في التقلص، وقد استمر انكماشه وتزحزح شواطئه صوب الشمال حتى أصبحت تلك الشواطئ تمتد إلى حوالي دائرة العرض 28^0 شمالاً وكان ذلك في نهاية البليوسين، وكان لاختفاء قسم كبير من الرقعة البحرية لخليج سرت القديم، وتحوله إلى يابسة حدوث تعديلات مناخية ملحوظة وواضحة في المنطقة، وقد كان لزيادة رقعة اليابسة وانحسار خليج سرت أثره في ظروف التكاثف فتناقصت كمية الأمطار السنوية[4].

إن التطور منذ نهاية البليوسين وحتى بداية الزمن الرابع ظل مستمراً بصورة تدريجية دون أن تحدث تغيرات مناخية قوية أو فجائية تتسبب في تعديلات معتبرة في تطور الظاهرات الجيومورفولوجية، وبالمثل كان خط ساحل خليج سرت القديم يتحرك متراجعاً نحو الشمال ببطء، ولم تنشأ من تراجعه اختلافات بيئية في مستوى القاعدة[5].

---

[1] البحر المتوسط القديم، شرف، المرجع السابق، ص 21.

[2] وهيبة، المرجع السابق، ص 85.

[3] جودة ، المرجع السابق، ص 206 .

[4] نفسه.

[5] المرجع نفسه، ص 207 .

المبحث الثالث
عصور ما قبل التاريخ

تمتد عصور ما قبل التاريخ منذ ظهور الإنسان وحتى بداية العصر التاريخي عندماُ اخترعت الكتابة، ويمكن الاستدلال على عصور ما قبل التاريخ من خلال الأدلة المادية مثل الأدوات الحجرية المتنوعة الأشكال والمختلفة الوظائف، والنقوش على الصخور والبقايا العظمية المصنعة كأدوات تخدم الإنسان في حياته اليومية والنقوش والأواني الحجرية والقبور[1]، وهذا جعل العلماء يقسمون عصور ما قبل التاريخ إلى أربعة عصور حجرية هي :

1- العصر الحجري القديم (Palaeolithic) (150.000 – 15000 ق.م)

2- العصر الحجري المتوسط (Mezolithic) (15000 – 7000 ق.م)

3- العصر الحجري الحديث (Neolithic) (7000 – 5500 ق.م)

4- عصر المعادن (5500 – 3200 ق.م)

ولقد مرت ليبيا بالمراحل المختلفة لعصور ما قبل التاريخ، وأقام الإنسان الليبي القديم الحضارات الحجرية متأثراً قليلاً أو كثيراً بحضارات جيرانه في الشرق والغرب[2]، وبدأ باستخدام آلات من الحجارة، ولذلك يُعبر عن هذه المرحلة من حياته بالعصر الحجري، ويقسم الباحثون هذا العصر إلى قسمين رئيسيين تبعاً لعاملين هامين هما : نوع الآلة ودرجة إتقان صنعها، والطبقة الأرضية التي وُجدت فيها[3].

أولاً : العصر الحجري القديم (Palaeolithic) (150.000 – 15000 ق.م)

قسم إلى ثلاث حضارات هي حضارة العصر الحجري القديم الأسفل أو الأدنى ثم العصر الحجري القديم الأوسط، ثم حضارة العصر الحجري القديم الأعلى.

1- العصر الحجري القديم الأسفل(Lower Palaeolithic) (150.00 – 80.000 ق.م)

قبل ما يبدأ هذا العصر لابد وأن الإنسان كان يستعمل مواد قابلة للفناء كقرون الحيوانات وفروع الأشجار، فالعصر الحجري القديم الأسفل لا يمثل البداية إنما سبقه عصر أطلق عليه اسم فجر العصر الحجري القديم.

وينقسم العصر الحجري القديم الأسفل إلى دورين[4] :-

أ- الدور الأبفيلي (Abbevellian) وهو أقدم أدوار النصف الأول من العصر الحجري القديم الأدنى، وهو الدور المعروف سابقاً باسم الدور الشيلي (Chellean) ثم أطُلق عليه حديثاً اسم

---

[1] القواسمي، إبراهيم عبد الرازق، دراسات في تاريخ المشرق العربي منذ أقدم العصور حتى 539 ق.م، طبرق – ليبيا، منشورات جامعة المسيرة الكبرى، ط1 2004، ص 27 .

[2] البرغوثي، المرجع السابق، ص 57 .

[3] محمود، حسن سليمان، ليبيا بين الماضي والحاضر، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ط1 1962، ص 21 .

[4] القواسمي، المرجع السابق، ص 28 .

الدور الأبقيلي وعاش فيه نوع الإنسان البائد المسمى (هابدلبرغ)، وكانت صناعة الأدوات الحجرية في هذا الدور باستعمال لب الحجر المشطي أي ما يعرف بمصطلح (Core- Industru) وقوام هذه الأدوات الفؤوس اليدوية[1].

ب- الدور الأشولي: يلي الدور الأبقيلي، ويعتبر هذا الدور متطوراً عن الدور السابق وإن تلك الصناعتين الأبقيلي والأشولي من نوع صناعة اللب، وقوام الأدوات الأشولية مثل الأدوات الأبقيلية الأقدم منها الفؤوس اليدوية، بيد أن الفؤوس الأشولية أدق صنعاً وأتقن في أشكالها وهندابها، وعثر على أدواتها في مواقع عديدة في الأقسام الساحلية والداخلية من خليج سرت الكبير [2]

2- العصر الحجري القديم الأوسط (Middle Palaeolithic)

إن مصطلح العصر الحجري القديم الأوسط يطلق بالدرجة الأولى على تلك الصناعة الحجرية التي أول ما وجدت في فرنسا، وعرفت بالدور المستيري ثم قسمت هذه الصناعة من جانب الباحثين المحدثين إلى دورين مع أنهما متميزان بخصائصهما، إلا أن ما بينهما صناعة تطورية أطلق على أحدهما اسم (الدور اللفالوازي) أو (اللفالوازي – المستيري) وعلى ثانيهما اسم (الدور المستيري) [3].

واهم ما يميز صناعة هذا العصر نوع من الآلات والفؤوس اليدوية على هيئة القلب (Cordiform) التي كانت تصنع من لب الحجر (Core - Industry) إلى جانب الأدوات المصنوعة من الشظايا (Flakes) ويقع زمن هذا العصر في الفترة الجليدية الثالثة أي رس- ورم (Riss- Wurm) واستمر إلى بداية العصر الجليدي الرابع ورم (Wurm) وقد عاش فيه نوع الإنسان القديم النياندرتال الذي وجدت منه بقايا عظمية في ليبيا[4]، وبالإضافة إلى الصناعتين اللفالوازية – المستيرية، والمستيرية الصرف وُجدت في هذه المنطقة صناعة حجرية ثالثة تعود إلى هذا العصر أُطلق عليها اسم الصناعة العتيرية التي انتشرت في شمال أفريقيا وتركزت بالدرجة الأولى في منطقة الأطلسي سواء في الأجزاء الداخلية أم الساحلية، واستمر انتشارها في الأجزاء الغربية من ليبيا[5].

أما عن أسلوب الصناعة العتيرية فإنها من نوع صناعة التشظية (Flake Industr) الخاصة بالطريقة (اللفالوازية- المستيرية)، وتتميز أدوات هذه الصناعة بآلة خاصة بها تسمى

---

[1] باقر، طاهر، عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة، مجلد ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي، بيروت، دار المشرق، 1968، ص 22.

[2] المرجع نفسه، ص ص 23-24.

[3] بازامة، محمد مصطفى، تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، ج1، بنغازي، منشورات الجامعة الليبية، ط1 1973، ص143.

[4] الجوهري، المرجع السابق، ص 206.

[5] باقر، المرجع السابق، 28.

رؤوس السهام الكبيرة (Tanged Points) وفيها أيضاً بعض المقاشط والنصال الطويلة، واهم ما يذكر عن أقدم أدوار العصر الحجري القديم الأوسط أي الدور اللفالوازي أو اللفالوازي –المستيري إن الأدوات الحجرية المميزة له عبارة عن شظايا طويلة وعريضة تهندم وتصقل كثيراً بعد فصلها عن لب الحجر، أما الصناعة المستيرية فهي بالدرجة الأولى صناعة تشظية أيضاً، وأشهر أدوات هذه الصناعة ما يُعرف بمصطلح المقاشط الجانبية (Sidescrapers) والمثاقب والسكاكين وبعض الفؤوس اليدوية الصغيرة[1].

3- العصر الحجري القديم الأعلى (Upper Palaeolithic)

تعادل مدته حوالي عشر مدة العصر الحجري القديم، وهو القسم الثالث والأخير من الأقسام الرئيسة للعصر الحجري القديم، وهو الفترة التي حقق الإنسان فيها أعظم تقدم حضاري، إذ أنه استغنى عن الأدوات المصنوعة من الشظايا وعن الفؤوس اليدوية واستعمل بدلاً منها الأدوات النصال، وفي آخر هذا العصر ظهر الإنسان العاقل (Homo Sapien) بعد أن أنقرض إنسان النياندرتال تماماً في أوائل هذا العصر[2]، كما ظهرت اختراعات أساسية منها الخيط والإبرة وملابس الجلد والأدوات الحجرية والرماح الخاصة بصيد الحيتان وقاذفات الحراب، كما شاع استعمال العاج والعظام والقرون إلى جانب الصوان، فضلاً على أن الأسس الفنية الأولى للرسم والنحت والنقش والطلاء وُضعت في هذا العصر[3].

ثانياً : العصر الحجري القديم المتوسط (Mesolithic) (1500-7000 ق.م)

تعتبر هذه الفترة انتقال بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث، وحضارات هذا العصر تحمل بعض صفات العصر الحجري القديم، كما تحمل بعض صفات الحجر الحديث، والعصر الحجري المتوسط تعبير محدود يستخدم فقط للإشارة إلى الانتشار الواسع لسلسلة من الحضارات التي كان من أهم مميزاتها ظهور الآلات الحجرية والصوانية ذات الشكل الهندسي المنتظم والحجم الصغير جداً[4].

ولقد أُكتشفت في خليج سرت أدوات تعود إلى قبيل العصر الحجري الحديث[5].

ويمتاز العصر الحجري القديم المتوسط ببداية الجفاف وظهور أماكن الاستيطان المؤقت القريبة من الأنهار وأماكن صيد الحيوانات الصغيرة، وهي مساكن بدائية عبارة عن حفر في داخل الأرض دائرية أو بيضاوية عمقها 80 سم، ثم تحاط سطح الأرض بسلسلة جدارية يبلغ

---

(1) باقر، المرجع السابق، 28.

(2) المرجع نفسه، ص 207 .

(3) البرغوثي، المرجع السابق، ص 57 .

(4) باقر، طه، عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة، في مجلد ليبيا في التاريخ، المؤتمر التاريخي، بيروت، دار المشرق، 1968م ، ص 12 .

(5) لامه ، المرجع السابق، ص 8 .

ارتفاعها متر تقريباً، والجزء العلوي يكون مرفوعاً على وتد من سقف الغرفة إلى أرضيتها بحيث يشكل خيمة قسمت من الداخل إلى غرفتين أو أكثر[1].

ثالثاً : العصر الحجري الحديث (Neolithic)

مضى العصر الحجري القديم في المرحلة الواقعة بين سنتي 20.000 – 60.000ق.م وكانت المرحلة الأخيرة منه مرحلة تحول مُناخي انتهى إلى تغير كبير في بعض الجهات حوالي سنة 6000 ق.م ولو أنه تأخر عن هذا التاريخ، أي أن ظروف البرودة والمطر ظلت قائمة في بعض البلاد إلى وقت متأخر، وإن بلاد أخرى زالت عنها الظروف، وتحولت إلى الدفء والجفاف، فكان الذي يساعد على وجود العصر الحجري الحديث هو العامل المُناخي الذي يتمثل في أمرين رئيسيين : هما الدفء والجفاف، ويمكن القول بصفة عامة بأن الحالة المُناخية التي يعيش فيها العالم في الوقت الحاضر هي الحالة التي بدأت مع العصر الحجري الحديث[2].

وقد سبق القول بأن هذا التغير المُناخي شمل الدفء والجفاف، أما الدفء فمن شأنه أن يبعث على انتشار الناس، فالنتيجة الأولى المترتبة على الدفء أدت إلى ازدياد معرفة الجماعات لبعضها البعض، أما الجفاف فقد أدى إلى نتائج بعيدة المدى أيضاً في حياة الإنسان، فأخذت السكنى تنحصر في كل قطر من الأقطار على المجاري المائية والعيون، لأن المطلب الأول للإنسان هو الغذاء والماء جزء من الغذاء، وإذاً فبحسب توزيع المياه في العصر الحجري الحديث توزع الإنسان، وترتب على هذا الوضع نتائج كبيرة في حياة الإنسان أهمها : الاستقرار حيث يوجد الماء، فاخذ يبني له سكناً بالقرب من الماء، وتجمعت المساكن إلى جوار بعضها البعض، ونتيجة لهذا الاستقرار بدأ الإنسان في تغيير أسلوبه في استغلال الطبيعة، فالإنسان في هذا على الرغم من أنه ما زال يستخدم سلاحه في صيد الحيوانات، إلا أنه بدلاً من تجواله للبحث عن صيده في العصر السابق، أصبح الحيوان هو الذي يسعى ليرتوي من نفس الماء الذي استقر الإنسان بجانبه[3].

هذا التحول في حرفة الصيد أدى إلى نشأة حرفة جديدة تتعلق بالحيوان، ويقال إن استئناس الحيوان كان المرحلة التالية للاستقرار مباشرة، ولما كانت حاجة الإنسان إلى الماء مستمرة فلا بد إذاً من التفكير في وسيلة لخزن الماء، ووجد أنه لابد من عمل نوع من الآنية يحمل فيها الماء من النهر، فوصل بعد تفكير إلى صناعة الفخار[4].

---

[1] القواسمي، المرجع السابق، ص ص 36–37.

[2] محمود ، المرجع السابق، ص 24 .

[3] باقر، المرجع السابق، ص 41 .

[4] محمود ، المرجع السابق، ص 25 .

وفي المنطقة الساحلية التي تتوسط بين برقة وطرابلس عُثر على محلات الصناعات في العصر الحجري، ومن هذه المحلات موقع لمطار بريطاني كان مقاماً عند القوس الرخامي، وتحتوي هذه المحلة على آلات حجرية قزمية وأدوات دقيقة وبعض بقايا من قطع العظام وقواقع بحرية وبقايا بيض النعام، ومن هذه المحلة غرباً محلة أخرى في سرت يشاهد بها نفس مخلفات المنطقة السابقة تقريباً، ويلحظ أن بيض النعام مزخرف بخطوط مما يُرجح وجود مجتمع من جامعي الطعام على طول الساحل الجنوبي لخليج سرت لعله كان يعتمد على ما كانت تقدمه له البيئة البحرية من غذاء، ومخلفات الإنسان في هاتين المحلتين تعود إلى العصر الحجري الحديث ونظراً لرسم الخطوط على قشر بيض النعام فإن ذلك يعتبر ظاهرة حضارية هامة وتجعل من الأوفق إطلاق اسم حضارة سرت على هذه المنطقة[1].

رابعاً : عصر المعادن

وينقسم إلى عصرين هما :

أ- العصر الحجري النحاسي (5500 – 3200 ق.م)

يُعد اكتشاف معدن النحاس من أهم الانجازات الحضارية بتاريخ الإنسان حيث استطاع صناعة أسلحته من النحاس، وهذا سهل عليه الكثير من الأعباء في صناعة أسلحته من الأدوات الحجرية، كما استخدم هذا المعدن في أغراض مختلفة من حياة الإنسان اليومية[2] وأول أدوات نحاسية اكتشفت في العالم هي دبابيس وعقود من النحاس، وكان معرفة الإنسان بالنحاس فتحاً جديداً في عالم الصناعة في ذلك الوقت[3].

ب- العصر البرونزي القديم الأول (3500–3000 ق.م)

بعد أن أجاد الإنسان استخدام معدن النحاس في حياته اليومية وأصبح يتقن طرقه وصبه في قوالب وتشكيله بالطريقة التي يراها الصناع وذلك يعتبر دليلاً قوياً على التطور الصناعي الذي ساد المنطقة وهذا التقدم دفع بالإنسان إلى طريقة ابتكار مزج عنصر القصدير مع النحاس، وقد مكنته هذه التجارب من الحصول على معدن البرونز الذي يمتاز بالصلابة التي تفوق النحاس والقصدير معاً، وهذا زاد في التقدم وفي تطوير الصناعة المحلية، وعموماً فإن بداية العصر البرونزي القديم ظهرت معها بوادر ابتكار الكتابة التصويرية في منطقة جنوب العراق في مدينة الوركاء في الطبقة الرابعة التي تعود إلى فترة 3200–3000 ق.م، ولقد استمر هذا العصر

---

(1) Mcburney,C.B.M.(et al)., Prehistory and Pleistocene Geology in Cyrenaica,Libya,Cambridg, uni., Press, 1995, p.261 .

(2) القواسمي، المرجع السابق، ص 40.

(3) محمود ، المرجع السابق، ص 25 .

من منتصف الألف الرابع حتى نهاية الألف الثالثة ق.م، وقد انتشر في منطقة خليج سرت الكبير [1]

[1] القواسمي، ص 42.

٢+

العوامل الجغرافية وأثرها في تاريخ خليج سرت الكبير

- المبحث الأول : أصل التسمية
- المبحث الثاني : الموقع والشكل والتضاريس
- المبحث الثالث : المنُاخ والثروات الطبيعية

المبحث الأول
أصل التسمية

يلحظ أن ثمة اختلافاً بين الإقليم واسم المدينة، وكثيراً ما يشير الباحثون إلى تطابق بين اسميهما مثل جودتشايلد وبريس[1] كما دأب آخرون على وجود اختلافاً بينهما فمثلاً سترابو[2] (Strabo) يصفه بأنه خليج سرت العظمى أو الكبرى، أما بلينيوس[3] (Plinius) فيقول "ينقسم الجون الثالث إلى خليجين يصبحان شاسعين بمياه مد السورتين الضحلة، والمسافة بين سرت الدينا – وصغرى الأثنين – وقرطاجة هي– كما يقول بوليبيوس[4] – (Polybius) ثلاثمائة ميل. وهو يُقدر عرضها بمائة ميل، ومحيطها بثلاثمائة ميل، غير أن هناك طريقاً لها في البر كذلك يمكن التعرف عليه بملاحظة النجوم عبر صحراء مهجورة تغطيها الرمال وتعج بالحيات، ويلي ذلك غابات ملأى بعدد وفير من الحيوانات المفترسة، وعند التوغل في الداخل هناك مساكن الفيلة المتوحشة، ثم صحراء شاسعة، وخلفها قبيلة الجرامنتس[5] على مسيرة أثنى عشر يوماً من أوجلة، ووراء هؤلاء كانت قبيلة البسوللي، وخلفهم بحيرة لونكساما تحيط بها الصحراء ".

فمن المرجح أن أقدم ذكر معروف لاسم خليج سرت قد ورد عند هيرودوتس[6] (Herodotus) (484– 424 ق.م) الذي ذكرها في أربع مناسبات مختلفة، الأولى عند حديثه عن مصر، والثلاث الباقيات عند حديثه عن ليبيا وهذا يعني أن الاسم كان معروفاً في القرن الخامس قبل الميلاد وقبله، وفي المرة الأولى يتحدث هيرودوتس عن مصدر نهر النيل فيقول إن ملك أمونيوم المسمى إيتارخوس أبلغ هيرودوتس أن النسامونيس سكان سرت والبلد الواقع إلى الشرق منها بقليل، وفي الثانية تحدث عن قصر سماه قصر التيه الذي بُني مشرفاً على بركة قارون، حيث ذكر هيرودوتس أن الناس الذين يسكنون هناك أخبروه بأن مياه بركة قارون متصلة
بسرت في ليبيا عن طريق ممر تحت سطح الأرض يمتد على طول الهضبة أعلى منفيس نحو الغرب[7]، أما في المرة الثالثة فقد كانت أثناء حديثه عن المنطقة التي يوجد بها نبات السلفيون،

---

(1) Goodchild,R.G., LS. , PP.18,29,133; Preece , chris, "Marsa – Brega : a Fatal Port of call . Evidence of Shipwreck, anchorage and trade in antiquity in the Guif of Sirt" LS., Vol ., 31 ,(2000) , p. 35.

(2) Str.,Geog., 17.3.19-20.L.C.L;

وقد ترجمه إلى العربية : الذويب، محمد المبروك، جغرافية سترافون (وصف ليبيا ومصر)، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط1 2003.

(3) Plin.,Nat., Hist., 5.4.L.C.L.

(4) Polib.,Hist., III.20.L.C.L.

(5) Hdt.,Hist.,IV.183 .L.C.L.;

وقام بترجمته كلاً من : الذويب، الكتاب الرابع من تاريخ هيردوتوس (هيرودوت) الكتاب السكيثي والكتاب الليبي، بنغازي، جامعة قاريونس، ط1 2003؛ عبد العليم، مصطفى كمال، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، المطبعة الأهلية، ط1 1966؛ البرغوثي، المرجع السابق؛ خشيم، علي فهمي، نصوص ليبية، طرابلس، دار مكتبة الفكر، ط2 1975.

(6) Hdt.,Hist.,IV.183 .L.C.L.

(7) Hdt.,Hist., IV.183 .

وذكر أن هذه المنطقة تمتد من جزيرة بلاتيا حتى مدخل خليج سرت[1]، أما في المرة الرابعة فإنه يذكرها عند حديثه عن موطن قبيلة البسوللي، ويذكر أنه يقع داخل خليج سرت. [2]

أما بروكوبيوس (Procopius) [3] في كتابه (العمائر) فيشرح معلوماته عن خليج سرت بطريقة أخرى إذ يقول "وتقع بعد هذه (سرت الكبرى) كما تسمى- وسأشرح شكلها ولما أُطلق هذا الاسم عليها، فإن نوعاً من شاطئ البحر يمتد هناك يقسمه البحر بدخوله، ولما كان مغطى بالماء فإنه يبدو وكأنه يختفي ولا يصبح واضحاً فيشكل بانحناءاته خليجاً هلالي الشكل طويلاً جداً ويمتد وتر الهلال إلى مسافة أربعمائة فرسخ، لكن محيطه يبلغ مسافة ستة أيام لأن البحر يكوّن الخليج بأن يدفع نفسه داخل هذا الذراع من اليابسة، وعندما يدفع الريح أو الموج سفينة فتدخل الثغرة التي وراء وتر الهلال يستحيل عليها أن تعود، بل هي تبدو منذ تلك اللحظة وكأنها تُسْحبَ، ويظهر بجلاء أنها تُجر إلى الأمام، وأحسب أنه من هذه الحقيقة سُمي الأوائل موقع (سرت) وبسبب مصير السفن، ومن جهة أخرى فإنه من المتعذر على السفن أن تشق طريقها إلى الشاطئ لأن الصخور الغاطسة تحت الماء والتي انتشرت عبر القسم الأكبر من الخليج لا تسمح بالملاحة في هذه الأنحاء فهي تحطم السفن في المياه الضحلة هناك، ولا يستطيع بحارة هذه السفن أن ينجوا بأنفسهم إلا في القوارب الصغيرة إن كان الحظ حليفهم، وذلك بأن يلتمسوا طريقهم إلى المنافذ وسط الأخطار".

كما ورد اسم الإقليم عند هاموند[4] باسم سورتيس (Syrtes) أما عند جودتشايلد[5] فيرد على صيغتين هما: سورت (Surt) وسرت (Syrte).

أما عن المدينة ذاتها فذُكر "أن أقدم ذكر لمستوطنة في موقع سرت أو قريب منه يرد لدى سترابو الذي يذكر مكاناً يحمل اسم خاراكس (Charax) إلى الشرق عند برج يوفرانتا ".

فسياق الحديث عن الطريقة التي جاء بها اسم هذا الخليج يتأكد خلال قول المؤرخ الإغريقي سترابو[6] أن القرطاجيين قد اتخذوا من خاراكس مركزاً تجارياً مهماً يتبادلون فيه العنب ومشتقاته بعصير نبات السلفيون[7] الذي تنتجه منطقة كورينايكا[8].

---

(1) Hdt.,Hist., IV.183 .

(2) Idem

(3) Procop., Build .,4.5. L.C.L .

(4) Hammond ,N.G.L.,(et al)The Oxford Classical Dictionary , nd., Ed.,. Clarendon Press, Oxford ,1969, p.65 .

(5) GoodChild , LS.,P.247.

(6) Str.,Geog ., 17 . 3 .

(7) شقلوف، مسعود رمضان، سرت تاريخها وآثارها، بنغازي، مصلحة الآثار، ط1 1985، ص 4 .

(8) ينظر، شرح أهم مصطلحات الرسالة.

أما في كتابات الجغرافي الإغريقي بطلميوس الجغرافي في القرن الثاني الميلادي فإنه يسمي هذا المكان باسم قرية فاراكس (Pharax)، ويحدد جغرافي آخر هو ولر المسافة بين خاراكس ويوفرانتا بحوالي 50 كم وظلت هذه المحطات التجارية قائمة حتى بعد سقوط قرطاجة في قبضة الرومان، وفي هذا العصر استبدلت أسماء هذه الثغور بأسماء رومانية، إذ سميت خاراكس باسم اسكينا (Iscina) وسميت يوفرانتا باسم ماكومياديس (Macomades) وعاشت هذه التسميات عدة قرون، وتم التوسع في إطلاق اسم سورت (Surt) حيث أطلق عليه اسم سورتيكا (Syrtica) وهو اسم مكون من مقطعين: الأول (Surt) والثاني (Ca) بمعنى أرض أو إقليم، وبهذا يسمى إقليم سورتيكا أي إقليم أو أرض سرت[1].

[1] لامة، المرجع السابق، ص 12 .

المبحث الثاني
الموقع والشكل والتضاريس

إن دراسة الإقليم- إي إقليم – تحتاج إلى التعرف أولاً على اسمه وموقعه وشكله وتضاريسه ومناخه وثرواته الطبيعية، فهذه العناصر هي التي تؤثر – سلباً أو إيجاباً- في حياة السكان ونشاطاتهم الاقتصادية وعلاقاتهم الداخلية والخارجية وقدرتهم على استثمار ثرواتهم التي تجود بها البيئة، ولقد اختلفت الأسماء التي أُطلقت على هذا الخليج ومدنه وقراه قديماً وحديثاً باختلاف الدول التي استعمرته وأسست فيه مراكز العمران، فالمعروف أن الرومان والبيزنطيين سيطروا على ليبيا بالكامل بعد هزيمة قرطاجة وتدميرها عام 146 ق.م، وتوريث البطالمة لكورينايكا لهم عند وفاة آخر ملوكها بطلميوس أبيون عام 96 ق.م، وسيتم التعرف على هذه التسميات وتغييرها أو اختفائها عندما تتم دراسة مراكز العمران القديمة في خليج سرت الكبير، المهم أن يُعرف أن اسم المنطقة قد جاء نسبة إلى مدينة بعينها في هذا الخليج، وهي مدينة سورت الإغريقية، وإن اسم المنطقة سورتيكا كما أشرت سابقاً، وعلى غرار هذه التسمية ظهرت تسمية كورينايكا (إقليم أو أرض كوريني) ومارماريكا (أرض أو إقليم المارمارياي) وأفريكا (أرض أو إقليم الأفري)، والموقع بالنسبة لخطوط الطول والعرض يحدد موقع هذا المكان بالنسبة للمناطق الحارة، والدفيئة المعتدلة، والباردة المعتدلة، والباردة، كما يحدد أنواع الرياح التي تهب عليه واتجاهاتها ورطوبتها أو جفافها، كما يؤثر الموقع بالنسبة للطرق التجارية ومناطق الأسواق الإنتاجية والاستهلاكية والتسويقية.

أما الشكل فيمكن من قوة الدفاع عن هذا المكان أو ضعفه، كما يساعد على بناء إمكانية تكوين روابط مع الجيران وسهولة التعاون معهم أو إعاقتها.

أما التضاريس فالمعروف أنه كلما ارتفعنا كلما نقصت درجة الحرارة، كما أن وجود الجبال يمكنها من اعتراض السحب المحملة ببخار الماء، وتعمل على تصاعدها فتنخفض درجة حرارتها وتتكثف وتسقط أمطاراً، كما أن التضاريس تعمل على تيسير أو صعوبة الاتصال بين مناطق المكان،وتفيد في تحديد الحدود الطبيعية للمكان، وأهميته السوقية (الإستراتيجية).

أما المناخ فيعتمد على الأمطار ودرجة الحرارة والضغط الجوي والقرب أو البعد من المسطحات المائية ونوعية واتجاه الرياح، فإذا وقع المكان في المناطق الممطرة ولم تكن درجة حرارته مرتفعة جداً أو منخفضة جداً بما يعرقل النشاط السكاني، ويضر أيضاً بالحياة الحيوانية والنباتية، بينما الجهات المعتدلة تتيح للسكان بذل النشاط والعمل، بينما الثروات الطبيعية تلبي حاجات المجتمع للمواد الخام، وتساعد على قيام الصناعة والتجارة وارتفاع الدخل القومي وتأسيس علاقات للتبادل التجاري مع الأقاليم الأخرى.

أولاً : الموقع

إذا تم تطبيق هذه الحقائق والمعلومات والمقومات على منطقة خليج سرت الكبير Great Syrtica = Syrtusmagnus فإنه يلحظ أن إقليم خليج سرت يقع بين خطي عرض 29^0 درجة شمالاً و 32^0 درجة شمالاً [1]، أو بعبارة أخرى من رأس كيفالاي (رأس قصر حمد) عند مدينة توباكتس (مصراته) غرباً ورأس بوريوم (رأس تايونس) عند يوسبيريدس (بنغازي) شرقا[2]، أي بين خطي طول 15^0 و 20^0 شرقاً[3]، وهو يقع بين جبل نفوسة غرباً والجبل الأخضر شرقاً، والبحر المتوسط شمالاً والصحراء الكبرى جنوباً، مواجهاً لإيطاليا وفرنسا في جنوب أوروبا[4]، وعلى ذلك شمل خليج سرت المنطقة الممتدة ما بين رأس كيفالاي في الغرب ويوسبيريدس في الشرق[5].

ثانياً : الشكل

أما من ناحية الشكل فإن خليج سرت عبارة عن قوس طوله 800 كم، وتخلو سواحله من الجزر والخلجان والفجوات الصالحة لإنشاء موانئ ذات اعتبار، أما أتساع فتحته فيزيد عن 450 كم ما بين طرفه الغربي عند توباكتس وطرفه الشرقي عند يوسبيريدس وهذا الخليج يتوغل جنوباً في الأراضي الليبية بمقدار درجتين ونصف من درجات العرض[6].

ثالثاً : التضاريس

إن المنطقة ليست في الواقع إلا جزء من الهضبة المترامية الأطراف التي تتكون منها الصحراء الكبرى، والتي تنحدر انحداراً تدريجياً بصفة عامة نحو الشمال حتى تنتهي عند ساحل البحر المتوسط، ويكون انتهاؤها تدريجياً في بعض المناطق، كما هو الحال في المنطقة الممتدة حول خليج سرت، وفجائياً في مناطق أخرى، بحيث تتكون من حافتها الشمالية جروف قائمة أو شديدة الانحدار، كما هو الحال في الجبل الأخضر وهضبة البطنان في الشرق[7]، وفي نطاق جبل نفوسة في الغرب، إذ أن هذه الجبال ليست في الواقع إلا الحافات الشمالية للهضبة التي تتكون منها معظم ليبيا[8].

---

[1] ينظر: الخريطة رقم (1 أ) لتوضيح خطوط العرض.

[2] ينظر: الخريطة رقم (2).

[3] ينظر : الخريطة رقم (1 ب) لتوضيح خطوط الطول.

[4] خارطة الجماهيرية، مالطا، انترنايونال، بيروت (د.ت)؛ هينز، أ . ل، آثار طرابلس الغرب (ترجمة: عديلة حسن ميال)، طرابلس، مصلحة الآثار،(د.ت) ص 120؛ Harold Fullard, Atlas of the World, London, the English Uni., Press, 1964,P.65.

[5] يرى أبو مدينة أنه يمتد من رأس البرج في الغرب وتوكرة في الشرق حيث يبلغ طول سواحله 920 كم، وليس هناك من يوافقه على هذا الرأي إذ أن خليج سرت الكبير ينتهي في جهاته الشرقية عند رأس تايونس غرب بنغازي، ينظر: أبو مدينة، حسين مسعود، الموانى الليبية، مصراته، منشورات الشركة الاشتراكية للموانئ، ط1 2000 ، ص 30 .

[6] الحداد، عوض يوسف، " إقليم خليج سرت بين حتمية البيئة وضرورة التنمية "، مجلة قاريونس العلمية، ع1و 2 1999، ص 2.

[7] شرف، المرجع السابق، ص 21.

[8] شرف، المرجع السابق، ص 22.

ومن جهة أخرى يلحظ أن خليج سرت الكبير عبارة عن سهول شبه صحراوية أو صحراوية في أغلبها[1]، وسواحله في جملتها رملية منخفضة وتوجد على امتدادها في معظم الأماكن سلاسل طويلة من الكثبان الرملية[2] التي تتميز بلونها الأبيض الذي يمكن ملاحظته من مسافات بعيدة، وتلي هذه الكثبان من ناحية الصحراء أحواض مستطيلة تمتد بحذاء الساحل وتتغطى قاعدتها بتربة شديدة الملوحة تغمرها مياه مالحة في معظم شهور السنة، وهذه الأحواض هي التي تشتهر باسم السبخات ومن أكبرها سبخة زوخينس Zuchic (تاورغاء) وسيأتي الحديث عنها في هذا الفصل.

ويتميز خط الساحل بخصائص وسمات تختلف من منطقة إلى أخرى، ولهذا فقد تم تقسيمه إلى ثلاثة أقسام فرعية، لكل منها خصائصه المميزة[3] :

1- خط الساحل فيما بين رأس كيفالاي Cephalae Promontorium ومرسى آسبيس Aspis (بويرات الحسون).

أ- إن إقليم خليج سرت فيما بين رأس كيفالاي ومرسى آسبيس يأخذ شكل قوس مفتوح نحو الشرق اتجاهه العام بين الشمال والجنوب، ويتميز السهل الساحلي في هذا القسم بإتساعه فهو عبارة عن أراضٍ مموجة تأخذ في الارتفاع تدريجياً كلما ابتعدنا عن ساحل البحر، ولا توجد حدود واضحة لهذا القسم.

ب- يتميز خط الساحل هنا باستقامته بصورة لافتة للنظر، فهو يخلو من أية تعرجات أو رؤوس مهمة باستثناء الموضع الذي نشأ به مرسى آسبيس، حيث يوجد هذا المرسى في مكان محمي بوساطة صخور مغمورة تمتد بمسافة 2كم داخل البحر، والموضع الذي نشأ به مرسى مرزوقة بزوخيس الذي تميزه الصخور المغمورة التي تتكسر عليها الأمواج[4].

ج- تقع سبخة زوخيس[5] في هذا القسم، وهي تمتد من مشارف توباكتس (Thupactis) في الشمال حتى جهات آسبيس في الجنوب[6]، وتشغل مساحة قدرها (2700 كم^2) على طول الساحل الغربي للخليج، وتعتبر من أكبر السبخات التي توجد على طول الساحل الليبي، كما أنها من أكبر السبخات التي من نوعها في كل شمال أفريقيا، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى الواحة التي توجد في شمالها، والتي توجد بها القرية المعروفة بالاسم نفسه، ويبلغ طول هذه السبخة

---

(1) المرجع نفسه، ص19 .

(2) ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (1)

(3) شرف، المرجع السابق، ص 39 .

(4) الهرام، فتحي احمد، "التضاريس والجيومورفولوجيا" في مجلد الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، بنغازي، الدار الجماهيرية للنشر، ط1 1995، ص 97.

(5) ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (2) .

(6) شلوف، عبد السلام محمد، "المواقع والوقائع الليبية" مجلة تراث الشعب، ع1(2007) ، ص 109 .

حوالي 100 كم، ويتراوح عرضها ما بين 15 و 30 كم، وتغذيها مياه الأمطار وبعض المياه الباطنية، ثم مياه أودية سوف الجين وزمزم وبي الكبير، وهي تمتلئ تماماً بالمياه في فصل الشتاء، أما في فصل الصيف فإنها تجف تماماً تقريباً، ويتغطى سطحها بطبقة طينية جافة مشققة، ويفصلها عن البحر شريط ضيق جداً من الأراضي الرملية التي كثيراً ما تطغى عليها المياه عند امتلاء السبخة وتسيل فوقها إلى البحر[1].

د- يلحظ على الشاطئ إنه رملي منخفض تغطيه في مواضع كثيرة تكوينات سميكة من الطحالب البحرية التي رسبتها الأمواج، كما تنتشر الصخور المغمورة بمياه البحر على طول الساحل، وهذه الصخور لا تبتعد كثيراً عن خط الساحل أهمها ما يُعرف بضفة الحسى التي تمتد لمسافة (4.8 كم) بموازاة الساحل إلى الشمال الغربي من مرسى آسبيس وتبتعد مسافة (4 كم) عن خط الساحل، ويكون عمق المياه عند هذه الصخور (4.3 م) [2].

هـ- لا توجد بهذا القسم من الساحل أية موانئ مهمة، وذلك لعدم ملائمة شكل الساحل وطبيعته لقيام مثل هذه الموانئ، حيث أن الأودية الكبيرة التي تصب في بحيرة زوخيس جلبت من الرواسب ما أدى إلى جعل هذه البحيرة ضحلة لا تصلح لإنشاء موانئ فيها، كما أن الظروف المناخية وقلة المياه سبب في ذلك[3].

2- خط الساحل فيما بين مرسى آسبيس وميناء كاينون Kainon "ميناء الزويتينة "

أ- يكون اتجاه خط الساحل فيما بين مرسى آسبيس ومدينة زاكاساما Zacasama " بن جواد" شمالي غربي / جنوبي شرقي، ومن زاكاساما إلى كاينون يكون الساحل خليجاً على هيأة قوس مفتوح نحو الشمال[4].

ب- يضم هذا القسم بعض الرؤوس التي قامت عليها مرافئ صغيرة للصيد أهمها مرافئ ماكوماديس Macomades (سرت) وبيريوم Aubereum (العويجة) وأوتومالاكس (Automalax) (العقيلة) وأراي فيلاينوروم Arae Philaenorum (الرأس العالي) [5].

---

[1] شرف ، المرجع السابق، ص ص 39-40 .

[2] الهرام، المرجع السابق، ص 38.

[3] أبو مدينة، المرجع السابق، ص ص 35 – 36 .

[4] يقول أبو مدينة (ويُعرف جزؤه الشرقي الممتد فيما بين ميناء السدرة وميناء كاينون بخليج السدرة)، والواقع أن الخليج بأجمعه، ُسمى في فترات مختلفة باسم خليج السدرة مرادفاً لخليج سرت الكبير وليس جزء منه فقط، ينظر: أبومدينة، المرجع السابق، ص 33.

[5] أبو مدينة، المرجع السابق، ص36.

ج- يتميز السهل الساحلي في هذا القسم باتساعه، وأنه غير محدد تحديداً واضحاً فهو عبارة عن أراضٍ مموجة تأخذ في الارتفاع تدريجياً كلما ابتعدنا عن الخليج دون أن تظهر به أية موانع طبيعية واضحة، ويخترق هذا السهل مجموعة من الأودية[1] ينحدر أغلبها من الجنوب إلى الشمال منها وادي تامت وجارف وتلال وهراوة والوادي الأحمر وبعضها ينحدر إليه من جهة الشرق أهمها أودية الفارغ والمقطع ومسوس وجميع هذه الأودية ينتهي تصريفها في السبخات الساحلية[2]، وبسبب أهمية هذه الأودية فقد رأيت أن أخصص لها أحد المباحث الذي يتحدث عنها بشئ من التفصيل في حدود ما توفر لدي من معلومات.

د- تنتشر السبخات في أجزاء كثيرة من الساحل، وهي تمتد بشكل طولي موازٍ للساحل منها السبخات الممتدة من آسبيس 60 كم غرب ماكومياديس حتى ماكومياديس، والسبخات الممتدة من أوتومالاكس حتى كاينون، ويرجح تكوين هذه السبخات والسبخات المماثلة لها في الساحل الليبي إلى إحاطتها بسلاسل من الكثبان الرملية التي تمتد بموازاة الساحل جهة الشمال، وإحاطتها بمنحدرات الهضبة في الجنوب، وبذلك فإنها تكون ذات تصريف داخلي مغلق لا تتصرف مياهها إلى البحر[3].

و- يتميز الشاطئ بأنه رملي منخفض تراكمت عليه طبقات سميكة من الطحالب البحرية التي تمتد أحياناً عشرات الكيلومترات، ويبلغ سمكها عدة أمتار، كما تنتشر الصخور المغمورة بمياه البحر على مقربة من خط الساحل منها صخور الزريد التي تمتد لمسافة 20.8 كم بموازاة الساحل إلى الجنوب الشرقي من مرسى آسبيس، ويكون العمق عندها 3.7 م، كذلك صخور المرزق والحرشة شمال شرق ميناء كوزينثيون Kozynthion "البريقة"، وتبرز بعض هذه الصخور من مياه البحر مكونة جزراً صخرية صغيرة أهمها: جزيرة القارة (Ilegarah) التي تبلغ مساحتها حوالي 36 م^2، وتبتعد مسافة 10 كم من الشاطئ إلى الجنوب الغربي من ميناء كاينون كما تقع جزيرة أبو شفة بمسافة 7.5 كم تقريباً إلى الشمال الغربي من مرسى أتومالاكس[4].

3- خط الساحل فيما بين ميناء كاينون ويوسبيريدس.

أ- يكون اتجاه خط الساحل شمالي شرقي في جزئه الجنوبي الممتد فيما بين ميناء كاينون وقرية سيدي سلطان، أما جزئه الممتد من سيدي سلطان ويوسبيريدس يتحدب نحو الغرب[5].

---

[1] ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (3).

[2] أبو مدينة، المرجع السابق، ص37.

[3] الأعور، محمد علي، "المظاهر الساحلية وعلاقتها بالتشريعات الليبية " في مجلد الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، ط1 1995 ، ص 97.

[4] الصياد، محمد محمود، معالم جغرافية الوطن العربي، ج1، بيروت، دار النهضة العربية، ط1 1970، ص 171 .

[5] جودة، المرجع السابق، ص 225 .

ب- يقترب خط الساحل في هذا القسم من الشكل المستقيم إذ لا توجد أية تعرجات أو خلجان مهمة[1].

ج- يتسع السهل الساحلي- المعروف بسهل يوسبيريدس – كلما اتجهنا جنوباً، حيث يأخذ هذا السهل شكل مثلث رأسه عند توخيرا Taucheira " توكرة " في الشمال، وقاعدته بين كاينون وإنتيلات في الجنوب، ويحد هذا السهل ساحل البحر من الغرب، وسلسلة العقبة الأولى للجبل الأخضر من ناحيتي الشرق والشمال، ولا توجد حدود طبيعية واضحة تفصله عن سهول سرت من ناحية الجنوب[2].

د- يأخذ سطح السهل في الارتفاع تدريجياً كلما ابتعدنا عن ساحل البحر نحو الداخل، وتغطي معظم أجزائه تربة طينية حمراء حملتها إليه الأودية المنحدرة من الجبل الأخضر وهذه التربة هي أهم ما يتميز به سهل بنغازي عن بقية السهول الساحلية السابقة، كما يضم السهل عدداً من الأودية أهمها وادي القطارة الذي ينتهي في البحر عند مدينة يوسبيريدس إضافة إلى بعض الأودية الأخرى التي لا تصل إلى البحر منها : وادي الفخ، ووادي حلق الريح ووادي الباب[3].

هـ – تمتد السبخات الطويلة بمحاذاة الساحل في معظم أجزاء هذا القسم من أهمها سبخة كركورة التي يبلغ طولها حوالي 24 كم جنوب مدينة يوسبيريدس، ويفصل نطاق من الكثبان الرملية التي لا يتعدى ارتفاعها عشرة أمتار بين هذه السبخات وساحل البحر[4].

---

[1] نفسه.

[2] الأعور، المرجع السابق، ص ص 129-130.

[3] أبومدينة، المرجع السابق، ص ص 41-42 .

[4] نفسه.

أما جودتشايلد[1] فإنه يقسم هذا الخليج إلى أربع مناطق ويقول أن ساحل خليج سرت يبلغ طوله من توباكتس إلى يوسبيريدس أكثر من 800 كم ويخترق منطقة جرداء قاحلة في عدة أماكن فيها، ولكنه يقول " إنه من المبالغ فيه القول إن منطقة المدن الثلاث " تريبوليتانيا " يفصلها عن كورينايكا شريط صحراوي، لأن المنطقة المحيطة بالمدينة خصبة وذات مياه وفيرة " ويرى أنه يمكن تقسيم شواطئ خليج سرت إلى أربع مناطق مختلفة، الأولى بطول 166 كم من توباكتس إلى آسبيس وهي ذات سهول جدباء على حافة سبخة زوخيس، والثانية بطول 124 كم من آسبيس إلى النوفلية وهي ذات مراعٍ جيدة تتناقص بعد خاراكس، وهناك العديد من الآثار ذات طاقة ونوعية جيدة، أما المنطقة الثالثة بطول 194 كم من النوفلية إلى كوزينثيون وهي سهول شديدة الجذب بها سبخات مالحة كبيرة عند أسفل الخليج والقليل من الآبار ذات المياه التي تميل إلى الملوحة، وإن توجد سلسلة جيدة من الآبار الوفيرة المياه التي سماها الأقدمون ينابيع آمون أو معاطن بشر، والمنطقة الرابعة بطول 238 كم من كوزينثيون إلى يوسبيريدس وهي ذات مراعٍ معتدلة والماء فيها شحيح تماماً والعديد من الآبار ذات طاقة ونوعية جيدة[2].

أودية خليج سرت

لقد لاحظت الباحثة في دراستها الميدانية لخليج سرت أن مظاهر التضاريس الأخرى لم تلعب دوراً بارزاً في تاريخ خليج سرت الكبير، فهي ذات سطح مستوٍ ، وبالعكس من ذلك نجد أن الأودية لعبت دوراً كبيراً في هذا التاريخ، فهذه الأودية أُستخدمت كعلامات دالة يتم بوساطتها تعيين المواقع والمسافات، ومن جهة أخرى فإنها تحتفظ في طبقاتها الجيولوجية بكميات من المياه تكفي لقيام الزراعة، كما أن السيول التي تسيل في موسم الأمطار تملأ الآبار بالمياه.

أما أهم استخدام للأودية في موضوع هذه الرسالة فهو أنه في الخلجان التي تنتهي إليها هذه الأودية تقوم الموانئ التي تُشجع على قيام مراكز عمران تختلف في أهميتها وحجمها فهذه الأودية تعمل على تدعيم الزراعة والمراعي والاحتفاظ بالمياه، وتوفر الحماية للملاحة فعند مصاب الأودية أو في الأماكن التي توفر الطبيعة الحماية اللازمة تقوم مراكز العمران

---

(1) Goodchild, LS.,P.146

(2) Idem, P. 147.

في هذا الإقليم، وتؤهله لأن يكون محطات لاستراحة القوافل، أو إنزال وتحميل البضائع التي تنتقل عبر البحر إلى أوروبا، غير أن السبخات كثيراً ما تقف عائقاً أمام إقامة الموانئ في بعض المناطق، ولعل سبخة زوخيس هي خير مثال على هذا، حيث أن أكبر أودية الإقليم تصب فيها وهي واديا زمزم وسوف الجين، لكن الرواسب جعلت المياه ضحلة غير صالحة لإقامة مراكز العمران أو الاتصال بالداخل[1].

والجدير بالذكر إن هذه الأودية رغم أهميتها الكبيرة لم تمنع أو تعيق الاتصال والتنقل في منطقة الخليج، حيث أن ضفاف هذه الأودية ليست في شكل جروف حادة، أو تتكون من صخور ضخمة، ولكنها تنحدر في مجرى الوادي بشكل تدريجي، يبدأ بعضها من المنحدرات الجنوبية والغربية للجبل الأخضر، وبعضها الآخر من المنحدرات الجنوبية والشرقية لجبل نفوسة، والمنحدرات الشمالية والشرقية للجبال نفسها، والمنحدرات الشمالية والشرقية للحمادة الحمراء، ومن أهم هذه الأودية[2].

1- الوادي الفارغ

يمتد من الشرق إلى الغرب في منطقة البلط، وينتهي في الطرف الجنوبي للخليج في منطقة تعرف باسم مقطع الكبريت.

2- وادي الكبريت

ينحدر نحو خليج سرت من ناحية الجنوب، ويصب في سبخة مقطع الكبريت غرب أوتومالاكس Automalax " العقيلة " وتمر جهاته العليا شرق تاجرفت، ومن روافده وادي قطار ووادي ماران.

3- وادي مسوس

ينحدر نحو خليج سرت من ناحية الشرق، وذلك إلى الشمال من الوادي الفارغ.

4- وادي سوف الجين

ينحدر نحو خليج سرت من ناحية الغرب، ويمر ببني وليد ومزدة، وينبع من جهات جنوب غرب غريان، وشرق جادو وينتهي في سبخة زوخيس ومن روافده أودية، ميمون دراق، مردوم، ميمون، حاص، جرجي، أم العظام، وامس، إيفالجو، المرقا، الزوايا، نسيبه، بني وليد الذي من روافده وادي مردوم، تاسلا ومن روافده وادي مردوم أيضاً، بوزيان.

5- وادي بي الكبير

يصب في الجانب الغربي لخليج سرت، وينتهي في بعض السبخات الصغيرة التي تمتد إلى الجنوب من سبخة زوخيس، وتقع عليه واحة جولايا Gholaia " بونجيم " التي كانت إحدى محطات القوافل المهمة على الطرق بين موانئ خليج سرت الكبير والصحراء وما وراءها[3] تصل

---

[1] شرف، المرجع السابق، ص 241.

[2] ينظر: الخريطة رقم (3)

[3] شرف، المرجع السابق، ص ص 241-242.

روافده إلى غرب الجفرة ومن أهمها أودية، بى الخايب، الجبي، رواوحي، زمام غرب سوكنة، زمور، نفد، جولايا، سامال، شمال، الخنث، غيلان، المعماري، الانكسي[1].

6- وادي زمزم

يصب في سبخة زوخيس ماراً بالقداحية، ومن أهم روافده أودية، تمثلا، ميلم، زازفت، قرزة الذي تقع عليه مدينة قرزة الأثرية، وسيك شلاجا[2].

7- وادي العقر

يقع شرق مرسى العويجة، ومن روافده وادي غرباس الذي يبدأ من منطقة ودان بالجفرة، ووادي فرسي[3].

8- وادي هراوة

يصب في منطقة سرت القديمة (السلطان الحالية) ومن أهم روافده وادي أم الأحباب. [4]

9- وادي تلال

ويصب إلى الغرب قليلاً من ماكوماديس مباشرة.

10- وادي المصيص

يقع إلى الغرب قليلاً من ماكوماديس وآسبيس.

11- وادي تامت

ينتهي إلى ضواحي مدينة سرت الحالية، ويُبعد عنها مسافة 45 – 50 كم.

12- وادي المرج

يصب في ضواحي آسبيس مباشرة.

13- وادي زرزور

ويصب في سبخة زوخيس، ويتفرع إلى فرعين وادي زرزور الكبير، ووادي زرزور الصغير.

14- وادي المرا

ينبع في جنوب الجبل الأخضر، ويصب في منطقة مقطع الكبريت.

15- وادي الباب

يصب إلى الغرب من منطقة خامينوس Chaminos " قمينس".

---

[1] شرف، المرجع السابق، ص 40.

[2] المرجع نفسه، ص 41.

[3] أبومدينة، المرجع السابق، ص 39 .

[4] البعثة الفرنسية الأثرية في ليبيا، " الحملة الثالثة للتنقيب في الوديان الليبية "، 1994 ، ص2؛ الرحيبي، عبد الله علي، تنقيب أثري في منطقة سرت في ليبيا 1993، تقرير مهمة ضمن مشروع اليونسكو لمسح ودراسة الأودية لخليج سرت ، ص ص 1-2 .

16- وادي القطارة

ينبع من جنوب الأبيار، والجبل الأخضر، ويصب عند مدينة يوسبيريدس[1].

17- وادي الحمر[2]

يقع إلى الشرق من ماكومباديس، وهو من الأودية التي تكفي مياهها لقيام الحياة الزراعية، وتحقيق الأغراض التي تم الحديث عنها سابقاً في الوظائف التي تقوم بها الأودية[3].

---

[1] أبو مدينة، المرجع السابق، ص 40 .

[2] ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (4)

[3] كينت،ة ديرك، " مشروع اليونسكو لمسح ودراسة الأودية (ترجمة : عبد الله علي الرحيبي)، البعثة الأثرية الفرنسية في ليبيا، موسم 1990 – 1993، ص ص 1-2 .

المبحث الثالث
المنُاخ والثروات الطبيعية

أولاً : المُناخ

تتأثر درجة الحرارة في ليبيا عموماً بعدة عوامل يتعلق بعضها بالموقع الجغرافي سواء بالنسبة لخطوط العرض، أو بالنسبة لليابس من ناحية، والمسطحات المائية من ناحية أخرى، كما يتعلق بعضها الآخر بالتضاريس من ارتفاع وانخفاض واتجاه السواحل[1]، وتعتبر جميع المناطق المحيطة بخليج سرت الكبير من الناحية التضاريسية عبارة عن مجموعة من المناطق السهلية التي قل أن توجد بها أي جهات يزيد ارتفاعها كثيراً عن مستوى سطح البحر[2].

وتمتد ليبيا بين خطي عرض 45¯ – 18^0 و 57¯ – 32^0، ولهذا يدخل القسم الأكبر من مناخها في النطاق الحار الذي يزيد من قسوته المظاهر الصحراوية المنتشرة في البلاد ومن حولها، وبالرغم من أن قسماً من شمال البلاد يدخل في العروض المعتدلة، فإن مُناخ هذا القسم لا يوصف بأنه معتدل إذا استثنينا الشريط الساحلي والمناطق الجبلية التي تجاوره من ناحية الجنوب، وما يلحظ هو أن الساحل الشمالي لا يسير مع خط عرض واحد، إذ تمتد الأطراف الشمالية لإقليم الجبل الأخضر وسواحله إلى خط عرض 57¯ – 32^0، بينما السواحل الجنوبية لخليج سرت الكبير تتوغل جنوباً حتى تصل في طرفها الجنوبي الشرقي إلى خط عرض 15¯ – 30^0، فالفرق ما بينهما قدره درجتان ونصف تقريباً من درجات العرض بين أبعد أجزاء الساحل نحو الشمال، وبين أبعد أجزائه نحو الجنوب، وهذا الفرق يُظهر تأثيره في درجة الحرارة الأمر الذي يبدو عندما نقارن معدلات الحرارة في مدينة أويا " طرابلس" بنظيراتها في ماكوماديس، ويبين الجدول التالي الفرق بين درجات الحرارة بين مدن خليج سرت[3].

المعدلات الشهرية والسنوية لدرجة الحرارة في بعض المحطات الموزعة في الأقاليم المناخية الرئيسية (بالدرجات المئوية)

المحطة	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	السنة
طرابلس"أويا"	11.4	13.2	15.3	18	20.1	33.5	25.9	25.5	25.4	22.6	17.9	13.2	19.4
مصراتة "توباكتس"	12.4	13.3	15.4	18.4	20.8	24.0	31.3	27.1	25.9	23.2	18.9	14.1	20
ماكوماديس	12.8	13.7	16.4	19.5	21.5	24.3	25.9	26.8	25.8	23.7	19.9	14.8	20
اجدبيا "كونيكلانورم"	12.7	14.2	16.9	20.2	24.3	26.1	26	26.5	25.3	22.8	19.9	14.7	20.8
يوسبيريدس	13	13.7	15.4	18.5	21.6	23.9	25	25.6	24.4	22.6	19.3	15	19.8

ويساعد وجود البحر على ارتفاع نسبة الرطوبة في هواء الشريط الساحلي خصوصاً في فصل الصيف وأوائل الخريف، نتيجة لعملية التبخر وهبوب الرياح بانتظام تقريباً من ناحية

---

[1] شرف، المرجع السابق، ص 96.

[2] لاشيلا، باولودي، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة في عام 1817، (ترجمة: الهادي مصطفى أبولقمة) طرابلس– ليبيا، منشورات دار الفكر، ط1 1968، ص 53 .

[3] شرف ، المرجع السابق، ص 96 .

البحر، ويحدث أحياناً أن تنخفض الرطوبة إلى حد كبير في بعض الأيام التي تهب فيها رياح القبلي المحلية من ناحية الصحراء حاملة معها هواءً مدارياً قارياً شديد الجفاف، فقد يحدث انخفاض الرطوبة النسبية عند هبوب هذه الرياح إلى أقل من 10 %، إلا أنها ترتفع سريعاً بمجرد انتهاء هبوب هذه الرياح فتعقبها رياح أخرى من جهة البحر، فتصل أحياناً إلى 80 % بمجرد وصول الرياح الشمالية[1].

وتُدين المناطق الساحلية في ليبيا باعتدال مُناخها في جميع شهور السنة للبحر المتوسط الذي يخفف التأثيرات المتطرفة للمُناخ الصحراوي، ويلحظ أن البحر المتوسط من البحار الدافئة عموماً، ولذلك يكون في فصل الشتاء عاملاً مساعداً في تقليل هذه البرودة على طول الساحل، وعلى الرغم من أنه يكون كذلك دافئاً في فصل الصيف إلا أن حرارته تكون عاملاً ملطفاً لحرارة الجو[2].

وعلى الرغم من اختلاف درجة الحرارة اختلافاً ملحوظاً من مكان إلى آخر حسب تأثير البحر والارتفاع، فإن خطوط درجات الحرارة في سيرها العام خلال السنة يكاد يكون واحداً في كل البلاد الليبية تقريباً، فشهر يناير هو أقل شهور السنة حرارة، وترتفع درجة الحرارة ابتداء من فبراير حتى تصل نهايتها العظمى في شهر أغسطس أو شهر يوليو كما يُبين ذلك الجدول أعلاه[3]، ويتأثر مناخ ليبيا بتوزيع الضغط الجوي وتغيراته على كل من البحر المتوسط وأوروبا وأفريقيا وآسيا والمحيط الأطلسي، ففي فصل الشتاء يكون معظم ليبيا واقعاً تحت تأثير الضغط الآزوري المرتفع[4]، ويلحظ أن أغزر أجزاء الساحل مطراً هي المناطق المتقدمة نحو الشمال فتواجه الرياح الشمالية الغربية، والغربية مباشرة في فصل الشتاء، بينما سواحل خليج سرت الجنوبية تقل أمطارها عن بقية الساحل[5].

وقد ذُكر أن خليج سرت يتوغل داخل اليابسة بمقدار درجتين ونصف من درجات العرض مما أدى إلى اختلاف الظروف المُناخية، ففي حين يسود إقليم البحر المتوسط إقليم الجبل الأخضر وسهل جفارة نجد أن سواحل خليج سرت الجنوبية يسودها المُناخ شبه الصحراوي[6].

---

[1] حبيب، هنري، ليبيا بين الماضي والحاضر، (ترجمة: شاكر زاهر) طرابلس، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، ط1 1981 ، ص16.

[2] الميار، عبد الحفيظ فضيل، الحضارة الفينيقية في ليبيا، بنغازي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1 2001، ص 32 .

[3] شرف، المرجع السابق، ص 97 .

[4] المرجع نفسه، ص 105 .

[5] أبومدينة، المرجع السابق، ص 20 .

[6] شرف، المرجع السابق، ص ص 38 – 39 .

من العوامل التي تساعد على ارتفاع منسوب الأمطار هو الارتفاع عن سطح البحر ووجود الجبال، وكذلك مواجهة السواحل لاتجاه الرياح، وأيضاً القرب أو البعد من المسطحات المائية، وعند تطبيق هذه الحقائق الجغرافية على خليج سرت الكبير يمكن ملاحظة أن هذه المنطقة يسودها المناخ شبه الصحراوي، وذلك يعود لعدة أسباب لعل من أهمها أن منطقة الخليج هي عبارة عن سهول خالية تماماً من الجبال والمرتفعات، وفي ذات الوقت تمتد السواحل بشكل موازٍ لاتجاه الرياح الغربية أو الشمالية الغربية وهي الرياح الممطرة شتاءً، ولهذا لا تجد هذه الرياح ما يعترض طريقها ويحملها على أن تُنزل أمطارها، كما أن منطقة خليج سرت الكبير تقع في ظل المطر بالنسبة لجبال أطلس وجبل نفوسة التي تعترض هذه الرياح وتجبرها على إسقاط أمطار عليها، وتحرم منها منطقة خليج سرت، ويُبين الجدول اللاحق منسوب الأمطار الشهري والسنوي في المنطقة موضوع الدراسة[1].

معدلات الأمطار في عدد من المحطات الموزعة في الأقاليم المناخية الرئيسية في خليج سرت الكبير وارتفاع المحطات بالأمطار عن سطح البحر

المحطة	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	السنة
توباكتس 10 أمتار	0.6	11.8	34.0	41.9	49.8	52.6	31.5	13	6.6	4.3	1.3	0	347.4
ماكموماديس 16	0	6.7	6.2	39.3	23.6	41.6	27.7	13	3.1	2.2	0.6	0	171.0
كورنيكلانوم 28	0.2	07	7.5	22	26.7	39.7	22.8	6.5	1.2	2.2	0	0	129.0
كاينون "الزويتينة" 8	0	0.2	5.9	10.1	32.8	35.5	16.2	03.9	0.6	2.0	0	0	111.2
يوسبيريدس	0	2.9	16.8	46.4	65.6	97.2	40.4	19.4	4.6	2	0.4	0.1	565.8

وقد تكون هذه الجداول حديثة، وهذا ما يدفع إلى السؤال : وهل كانت الظروف المُناخية في السابق تختلف عما هي عليه الآن حيث تعود الدراسة إلى التاريخ القديم فقط ؟

[1] المرجع نفسه، ص 133 .

لقد أختلف الباحثون في الإجابة على هذا السؤال[1] فمنهم من يرى أنه حدث بالفعل تغير مُناخي نتيجة لازدياد الجفاف، بينما يُنكر آخرون هذا التغير وينفون أن يكون بالدرجة التي تؤثر على الظواهر الطبيعية.

ثانياً: الثروات الطبيعية

من أهم الثروات الطبيعية هي الثروات الزراعية، وعلى رأسها الحاصلات الزراعية والنباتات والحيوانات.

وفيما يخص الحاصلات الزراعية والنباتات فإن المصادر القديمة تُشير إلى وجود الأشجار والغابات في منطقة خليج سرت الكبير[2]، حيث لعبت الأشجار دوراً كبيراً في الحياة الاقتصادية فيها، وشكلت أحد العناصر الرئيسية في مصادر ثروتها وقد تحدث المؤرخون القدامى عنها مؤكدين دورها في غذاء السكان، واعتماد الجيوش عليها في أحيان كثيرة، وتنظيم القبائل لتنقلات موسمية من أجل جنيها[3]، فقد أشار سترابو إلى إحدى غابات الأشجار بأعلى رأس كيفالاي[4]، " Cephalae Promontorium " ، وتعتبر أشجار النخيل من أهم الأشجار التي لعبت دوراً هاماً في حياة القبائل الليبية، وسكان المدن الساحلية، فقد أكد هيرودوتس على انتشارها، ففي الفقرة (182) من كتابه الرابع يتحدث عن أوجيلاي Augilae "أوجلة " حيث يقول أنها "وعلى بعد مسيرة عشرة أيام أخرى من الأمونيين، على امتداد الشريط الرملي يوجد تل ملح مثل تل الأمونيين وينابيع مياه، حيث يعيش الأهالي، ويدعى هذا المكان أوجلة، ومن عادات النسامونيس أن يأتوا إلى هذا المكان ليجمعوا ثمار النخيل[5] ".

ومن بين النباتات التي كانت تنمو في المنطقة شجرة اللوتس التي أُستعملت في الغذاء ودخلت في عدة أغراض أخرى[6]، وقد أكد بلينيوس[7] في الكتاب الثالث عشر فقرة 32 على انتشارها وعلى الصفات الجيدة التي تمتاز بها فقال : " وتنتج أفريقيا أيضاً – في أجزائها التي تتجه نحونا– شجرة شهيرة هي (اللوتس) وتسمى باللغة الدارجة (كلثيس) وهي التي أُدخلت كذلك إلى إيطاليا لكنها فسدت بتغير التربة، ويوجد أفضل اللوتس حول سرت ومنطقة النسامونيس وهي

---

(1) شرف، عبد العزيز طريح، " مشكلة الأمطار في ليبيا " في مجلة كلية الآداب والتربية، بنغازي، الجامعة الليبية، مج1 1958م، ص ص 295–320 .

(2) Hdt ., Hist., IV.175

(3) أنديشه، أحمد محمد، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، مصراته، الدارالجماهيرية، ط1 1993 ، ص 27 .

(4) Str.,Geog., XVII. 32 . 3

(5) Hdt.,Hist.,IV.182

(6) أنديشه، المرجع السابق، ص 28.

(7) Plin., Nat.,Hist., XIII.32.

في حجم الكمثرى رغم أن (كورنيليوس ينبوس) يذكر أنها ثمرة صغيرة وتشبه الحزات التي في أوراقها حزات أوراق السنديان، إلا أنها أكثر عدداً، وهناك أنواع عديدة من اللوتس تختلف أساساً في ثمارها، وهذه التي نتحدث عنها الآن في حجم حبة الفول، وفي لون الزعفران، لكن تغير لونها عدة مرات قبل أن تنضج كالأعناب، وهي تنمو في عناقيد كثيفة فوق الأغصان مثل حب ثمار الآس، وليست كالكرز كما هو الحال في إيطاليا وهي موطنها، لذيذة حينما تؤكل حتى لقد أعطت أسمها لجنس من الناس ولبلاد مضيافة للغرباء الذين يأتون فتجعلهم ينسون بلدهم الأصلي، ويروى أن مضغ هذا اللوتس يمنع أمراض المعدة، ولا تحتوي أفضل أنواعه على حب في باطنه، أما الأنواع الأخرى فتحتوي على نواة ذات مظهر عظمي، كذلك يُعصر من هذه الثمرة خمر يشبه البتع وهو – طبقاً لقول نيبوس مرة أخرى– لا يصلح لأكثر من عشرة أيام، وهو يذكر أن الحب يُفرم مع الحنطة ويُحفظ في براميل خشبية للطعام، ونحن نعرف بالفعل أن جيوشاً اقتانت بهذا الطعام عندما كانت تجوب أفريقيا جيئة وذهاباً، وخشبه ذو لون أسود وهو مطلوب لعمل النايات المطربة، بينما يتخذ من الجذع مقابض المدى وأدوات قصيرة أخرى ".

أما عن الحيوانات التي أُنتشرت في المنطقة فإن هيرودوتس في الفقرة (183) يقول:"توجد لدى الجرامنت نوع من الثيران يمشي إلى الخلف أثناء الرعي لأن قرونها منحنية إلى الأمام، ولذلك فإنها تمشي إلى الوراء أثناء رعيها تلافياً لإنغراس قرونها في الأرض، وفيما عدا ذلك فهي كالثيران الأخرى غير أن جلدها أغلظ وأصلب ملمساً [1] ".

وفي الفقرة (192) يذكر هيرودوتس أنواع الحيوانات البرية التي تعيش في ليبيا مثل :
"التياتل البيضاء الكفل، والضباء، وبقر الوحش، والحمر، وهي ليست الحمر القرناء بل تلك المسماة (الحمر التي لا تشرب) لأنها فعلاً لا تشرب أبداً، والمها، وهي التي لا يُصنع من قرونها جوانب اللورة، والثعالب، والضباع، والقنافذ، والكباش البرية، وأبناء آوى، والنمور الرقطاء، والديكتوس والبوروس، وتماسيح البر التي طولها ثلاثة أذرع وهي أشبه ما تكون بالسحالي، ثم النعام، والأفاعي الصغيرة الوحيدة القرن، كل هذه الحيوانات موجودة هناك إلى جانب تلك التي توجد في أماكن أخرى فيما عدا الغزال والخنزير البري فقط، إذ ليس هناك من هذين النوعين شئ في ليبيا، وتوجد في هذه البلاد ثلاثة أنواع من الفئران وهي : الفئران ذات القدمين وازيجيريس ثم الفئران الخشنة الشعر – كما تسمى – وتوجد أيضاً في إقليم السلفيوم أبناء عرس وهي تشبه كثيراً أبناء عرس طرسوس، وعلى قدر علمنا – نتيجة لما بذلناه من أقصى الجهد في البحث – يتبين أن الحيوانات المتوحشة في بلاد البدو الرعاة كثيرة جداً ".[2]

---

[1] Hdt.,Hist.,IV. 183.

[2] Hdt.,Hist.,IV. 192

ويتحدث سترابو في الفقرة (19) من الكتاب السابع عشر في الفصل الثالث من كتابه الجغرافيا عن خيول الليبيين فيقول: "وخيولهم ذات رقاب أطول من سواها في البلاد الأخرى، ويمارس ملوكهم تربية الخيول بشغف لا نظير له، حتى أن عدد الأمهار ليبلغ كل عام مائة ألف مهر".[1]

وتُشير أقوال هؤلاء الكُتاب إلى أن أهم الحيوانات التي عرفها خليج سرت هي الخيول والأغنام والأبقار، بينما انتشرت الجمال في العصر الهيلينستي، ويبدو أن بعض هذه الحيوانات قد أنقرض، بينما لا يزال بعضها يعيش في المنطقة، ولقد رأيت الأغنام والإبل والماعز أثناء دراستي الحقلية، وتشهد بذلك الصور المرفقة[2].

ويرى بعض الباحثين أن الكبريت من بين مصادر الثروة حيث كان يصدر من منطقة الخليج[3].

---

[1] Str.,Geog.,XVII. 19.

[2] ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (5).

[3] أنديشة، المرجع السابق، ص 30 ؛ الميار، عبد الكريم فضيل، قورينا في العصر الروماني، طرابلس، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ط1 1978، ص 91 .

+

الليبيون المقيمون في منطقة خليج سرت الكبير

- المبحث الأول : أهم القبائل الليبية التي عاشت في الخليج
- المبحث الثاني : حياتهم الاقتصادية
- المبحث الثالث : حياتهم الدينية
- المبحث الرابع : علاقاتهم بالمناطق المجاورة

المبحث الأول
أهم القبائل الليبية التي عاشت في الخليج

كان المؤرخ الإغريقي هيرودوتس هو أول من كتب عن القبائل الليبية من حدود مصر الغربية حتى المحيط الأطلسي، وبداية من الفقرة (172) من الكتاب الرابع تحدث عن القبائل الليبية التي عاشت في منطقة خليج سرت الكبير[1] ومن أهمها:

1- قبيلة النسامونيس (Nasamones)

هي قبيلة ليبية قديمة كانت إحدى أشهر وأكثر القبائل الليبية قوة وسطوة، سكنت الأجزاء الشرقية من خليج سرت الكبير[2] وقد وُرد ذكرها لأول مرة عند هيرودوتس، ثم تردد اسمها بعد ذلك لدى المؤرخين الإغريق والرومان مثل: سكولاكس (320 ق.م)، وسترابو (64 / 63 ق.م – 17 م)، وبلينيوس (23 – 79 م)، وبطلميوس في القرن الثاني الميلادي، وكتب هؤلاء المؤرخون والجغرافيون عن بعض العادات والتقاليد المتبعة بين أفراد هذه القبيلة، وخاصة تعدد الزوجات وشيوعة النساء، وطرق تبادل المواثيق، وحلف اليمين، وأسلوب دفن الموتى، كما وصفوا لباسهم ومساكنهم، وأشاروا إلى مقاومة هذه القبيلة للاستعمار الإغريقي والروماني، ودحرها عدداً من قادتهم واكتساحها مواقعهم، وتحدثوا أيضاً عن عبور خمسة من فتية هذه القبيلة الصحراء الكبرى ووصولهم إلى نهر النيجر في مغامرة من أجل المعرفة والاستكشاف.

آراء حول اسم القبيلة وموطنها

يعتقد النسامونيس أنهم ينحدرون من نسل جدهم الأعلى ناسمون Nasamon الذي ينطق الوطنيون اسمه بكيفية تميزه عن العرق، وكانت الصيغة الأقدم للعرق هي: ميسامونيس Mesamones، ويذكر أن نسامون هذا قد انحدر من جاراماس Gramas الجد الأعلى لقبيلة الجرامنتس[3]، وفي هذا الصدد يقول بلينيوس أنه ربما كانوا يدعون أصلاً ميسامونيس[4]، وفي الأزمنة الحديثة تم تفسير هذا الاسم تفسيرات متعددة منها رجال آمون(Men of Amon)

---

[1] Hist.,IV.172.

[2] شلوف، عبد السلام محمد "دراسات في تاريخ ليبيا القديم : قبيلة النسامونيس" مجلة قاريونس العلمية، العددان الأول والثاني، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس 1991، ص143.

[3] المرجع نفسه، ص 144.

[4] Plin., Nat.,Hist., V.5.

من قبل بوشارت[1]، ومنها (الجنوبيون) ومنها (زنوج آمون) [2].

أما تعبير النسامونيس فيقصد به سكان الصحراء، وبهذا فإن هذه التسمية تُعنى القبائل الصحراوية نسبة إلى الأرض والرمال[3].

وبالنسبة لموطنهم فإن هيرودوتس يقول[4] إنهم الجيران الجنوبيون الغربيون لقبيلة الأوسخيساي، ويشغلون الشواطئ الجنوبية والشرقية لخليج سرت الكبير، وتمتد مقاطعاتهم من الساحل إلى الدواخل حيث يسيطرون على واحات أوجيلاي، بينما تمتد حدودهم الغربية إلى نقطة غير محددة في خليج سرت الكبير.

يُفهم من كلام هيرودوتس أن موطن قبيلة النسامونيس يقع بين موطن قبيلة الأوسخيساي في الشرق وقبيلة القمفازانتس في الجنوب، وموطن قبيلة الماكاي في الغرب والبحر المتوسط في الشمال.

أما سكولاكس فيقول أن قبيلة النسامونيس تعيش في الأجزاء الشرقية من خليج سرت الكبير جنوب غرب كورينايكا[5] ويمتدون باتجاه الغرب إلى مذبح الأخوين فيلانيوروم[6] (Arae Philaenorum).

أما سترابو فيقول عند حديثه عن الليبيين[7] أنهم ".. بينما يسمون من خلف قوريني وخليج سرت الكبير : البسولوي والنسامونيس.. "، فهو يذكر أنهم غرب المارماريداي[8] عبر المنحدر الجنوبي للمرتفع القوريني إلى مذبح الأخوين فيلايني في قاع خليج سرت الكبير "أما الأراضي الداخلية أعلى هذا الشريط الساحلي الممتد حتى مذبح الأخوين فيلايني فهي إقليم النسامونيس كما يدعون وهم قبيلة ليبية "

ويقول في موضع آخر[9] " إن المنطقة الواقعة في عمق الدواخل أعلى خليج سرت الكبير وقوريني وهي منطقة قاحلة جافة يشغلها الليبيون: النسامونيس أولاً ثم .."

---

(1) Bochart, S., Geographia Socra, Seu, Phaleget Canann in opera Omnia (ed. Leyen) Utrecht, 1712, Col., 284,I .PP.54 FF.

(2) Bates , O., Estern Libyans, London , Macmillan and Co., 1914, P . 52 n. 8 .

(3) لامه، المرجع السابق، ص 14.

(4) Hdt.,Hist.,IV. 172.

(5) Bates,op.cit.,p.45

(6) Scyl.,G.G.M.,III.8.L.C.L.

(7) Str.,Geog.,XVII.20.

(8) ظهر اسم هذه القبيلة لأول مرة عند سكولاكس (320 ق.م) وأعطت اسمها للإقليم الممتد من درنة حتى السلوم حيث عُرف هذا الإقليم باسم مارماريكا عند الرومان، وسماها الكُتاب المسلمون المرمريق، بشأن تفصيلات أكثر ينظر: شلوف، عبد السلام محمد، "قبيلة المارماريداي" مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، ع2، يوليو (1989).

(9) Str.,Geog.,XVII.20.

وبعد ذلك يتحدث ديودوروس عنهم ويقول أنهم يستوطنون الجزء الشرقي من إقليم سرت الكبير أسفل الأوسخيساي "ويسكن الأصقاع القريبة من قوريني وخليج سرت الكبير كما هو الحال في دواخل أرض هذه المناطق أربع قبائل ليبية، ومن هؤلاء يعيش النسامونيس – كما يسمون – في الأجزاء الجنوبية[1] ".

ويقول بلينيوس[2] " وسكان هذا الساحل هم قبيلة المارمارياداي، وهم يسكنون – على وجه التقريب – كل المنطقة الممتدة من إقليم باراتينيوم[3] Paratenium حتى خليج سرت الكبير، وبعد هؤلاء توجد قبيلة الأكراوكيليس Acrauceles ثم قبيلة النسامونيس عند طرف خليج سرت الكبير، وكانوا سابقاً يسمون من قبل الإغريق باسم ميسامونيس بسبب موقعهم، فالكلمة تعني (في وسط الرمال) وحول خليج سرت الكبير ومنطقة النسامونيس يوجد أفضل أنواع اللوتس ".

أسلوبهم في تبادل المواثيق

إن شكلاً من أشكال تبادل المواثيق ذكره هيرودوتس[4] كعادة نسامونيسية يمكن وصفها على أساس أنها سحرية، وذلك أن كل فئة تعطي الفئة الأخرى لتشرب من يدها، ويضيف هيرودوتس أنه إذا لم يكن هناك سائل لشربه فإنهم يأخذون تراباً من الأرض ويلحسونه، وربما كان الغرض من هذه الطقوس: " أن يغرس كل طرف في الطرف الآخر شيئاً ما هو جزء منه والذي سيساعد كل طرف على حفظ الاتفاق، ويصيبه بالمرض من دون أمل في النجاة إذا انتهكه[5] "

مساكنهم

وُرد في المصادر أن النسامونيس كانوا يستخدمون الكوخ المسمى ماباليوم Mapalium الذي يتحدث عنه الكُتاب الرومان أنه كوخ يمكن حمله أو مظلة حماية[6]، وقد سبق لهيرودوتس القول: "... ومساكنهم مصنوعة من سوق البَرْوق[7]، والقصب مضفورة معاً " ويمكن نقلها من مكان إلى آخر[8].

وإلى جانب هذا النوع من المساكن لوحظ وجود معاقل حصينة في بعض الأجزاء الشرقية من خليج سرت الكبير، تلك المعاقل التي يقود وجودها إلى افتراض أن بعض القبائل – مثل قبيلة الأوسخيساوي وقبيلة النسامونيس – والتي ضمن مقاطعاتها لوحظ وجود هذه الحصون

---

(1) Diod.,Bibioth., Histor., III.56.L.C.L.

(2) Plin.Nat.Hist.,V. 32-35.

(3) مرسى مطروح، خشيم، المرجع السابق، ص 107.

(4) Hdt.,Hist.,IV. 122.

(5) Bates.op.cit,p.179.

(6) Ibid.

(7) نبات من الفصيلة الزنبقية، خشيم، المرجع السابق، ص 108.

(8) Bates.op.cit.,p.151.

والمعاقل– عرفت كيف تدافع عن بقائها وتحمي نفسها خلف الدفاعات والتحصينات، ومن المرجح أن هذه القلاع أهلية وذات منشأ وطني، حيث أنها مختلفة في كل من تخطيطها وتشييدها عن التحصينات البونية والإغريقية والرومانية في ليبيا، وهذه القلاع شائعة واعتيادية الانتشار في إقليم كانت فيه العناصر والتأثيرات الأجنبية ضعيفة بحيث إنها ليس لها سوى أقل أهمية، ولقد رأى الرحالة الألماني بارث Barth أن القلاع تتعلق بقبيلة الأوسخيساي[1]، حيث أن تلك التي رأها منها كانت على تخوم مقاطعتهم القديمة[2]، ولكن ما ثبت من كتابات المؤرخين والجغرافيين القدماء ومن الخرائط التي رُسمت في ضوء ما أوردت تلك الكتابات من معلومات هو أن أكثر المجموعات العرقية ثباتاً في الجزء الشرقي من خليج سرت الكبير كانت هي مجموعة النسامونيس التي ضمن حدودها الشمالية تقع هذه المعاقل والحصون في منطقة خامينوس (قمينس) وهذه المعاقل تظهر أن صنّاع السيثر[3] (Cither) يمتلكون مهارة لا تقل عنها في بناء إنشاءات حجرية أو أنهم يسيطرون ويوجهون هذه المهارة في أشياء أخرى[4].

ملابسهم

يبدو في الغالب أن أفراد القبائل الليبية القديمة كانوا يرتدون ملابس قليلة تماماً كما في الجزيرة العربية حتى ملوك الأنباط (Nabataeans) لبسوا فقط الصنادل وساتر عورة أرجواني[5]، وكذلك في ليبيا فغالبية السكان كانوا يلبسون (حتى في العصر الروماني) قليلاً من الملابس لدرجة تبرر تعبير الجرامنتس العراة [6] (Nudi Garamantes) أو الناسمونيس العراة[7] (Nudi nasamones) ويظهر أنهم كانوا يلبسون ريشاً على رؤوسهم ويضعون أجنحة الطيور عندما يسافرون[8].

أكل الجراد

كان أكل الجراد منتشراً بين النسامونيس، حيث كانوا يجمعونه ثم يجففونه في الشمس ثم يسخنونه ثم يطحنونه حتى يصبح مسحوقاً ناعماً فيرشونه على الحليب ثم يشربونه[9]

وإن الطريقة نفسها في إعداد هذا الطعام توجد في الجزيرة العربية [10].

---

(1) Barth,H.,Reisen und Entdeckungen in Nord und central Africa (I) Gotha,1859,Vol.1.P.354.

(2) Hdt.,Hist.,IV. 171.

(3) آلة موسيقية شبيهة بالقيثار، شلوف، المرجع السابق، ص 145.

(4) Bates,op.cit.,p.178.

(5) Str.,Geog.,XVII.19.

(6) Lucan.,An.IV.P 334.

(7) Ibid, XI.P.429.

(8) Haynes, D.E.L.,Antiquities of Tripolitania, Tripoli, 1965, p.18.

(9) Hdt.,Hist.,IV. 172.

(10) Bates,op.cit.,p.100.

النسامونيس يستكشفون ويعبرون الصحراء الكبرى

من المثير للانتباه استحضار قصة الفتية النسامونيس الشهيرة التي أوردها هيرودوتس، أولئك الفتية الذين قاموا بمغامرة من بلادهم إلى بلاد النيجر رغم أن الدافع لرحلتهم لم يكن التجارة بل الرغبة في معرفة أكثر عن الدواخل، وإن فكرة ما عن المسافات البعيدة والرحلات الطويلة التي قُطعت قديماً إلى الدواخل بسلام يمكن الحصول عليها من رواية المؤرخ هيرودوتس الذي أخبروه بعض القورينيين – الذين حجوا إلى مزار آمون في سيوه، وتحدثوا هناك مع الزعيم المحلي ايتارخوس حول منابع نهر النيل – بالقصة التالية[1] :

جاء بعض أفراد النسامونيس ذات مرة إلى بلاط إيتارخوس حيث أخبروه أن بعض أبناء زعمائهم أجروا قرعة لاختيار خمسة منهم لاكتشاف الأجزاء الصحراوية الليبية من ليبيا، لذلك تجهزوا بالماء والطعام ورحلوا، وقد اجتاز الفتية الخمسة المنطقة الساحلية والصقع الذي تعيش فيه الحيوانات البرية ثم دخلوا القفر الخالي وتقدموا إلى الأمام باتجاه الغرب، وأخيراً وصلوا إلى سهل فيه أشجار أخذوا يجمعون من ثمارها، وبينما كانوا مشغولين هكذا في الجمع قبض عليهم رجال قصار قامتهم تحت الطول المتوسط، وكل من الجانبين لم يكن يعرف الجانب الأخر، وقد قاد الآسرون الفتية النسامونيس عبر مستنقعات شاسعة إلى بلدة يسكنها أقزام سود البشرة، وبعد فترة تم إطلاق سراح الفتية النسامونيس وعادوا سالمين إلى وطنهم، وتقع مدينة الأقزام – طبقاً لرواية المستكشفين – بجوار نهر عظيم يجري من الشرق إلى الغرب، وفيه تعيش التماسيح[2].

ويعتقد هيرودوتس أن هذا النهر هو نهر النيل، لكن إذا كانت المعلومات عن الاتجاه الذي سار فيه الفتية النسامونيس صحيحاً، وإذا كانت جغرافية المنطقة الحدودية الصحراوية لم تتغير كثيراً خلال الأزمنة الجيولوجية القصيرة، أي في مدى 25 قرناً، فإنه يبدو أن الرحلة التي قام بها المغامرون الخمسة بسلام كانت من ساحل خليج سرت الكبير إلى النيجر الأعلى وأن النهر هو نهر النيجر[3].

أشتهر أفراد هذه القبيلة بقيامهم بأعمال القرصنة، ومهاجمة السفن التي تأتي إلى سواحل خليج سرت، وتشير المصادر القديمة إلى ما قامت به هذه القبيلة من مهاجمة المدن الإغريقية في إقليم كورينايكا، حيث قامت بمشاركة بعض القبائل الليبية الأخرى في مهاجمة مدينة كوريني إلا أن هذه المدينة تمكنت من هزيمتهم[4].

---

[1] خشيم، علي فهمي، قراءات ليبية، طرابلس، دار الفكر، ط1(د.ت)، ص 11.

[2] Hdt.,Hist.,II. 32-33.

[3] Bates,op.cit.,p.107.

[4] الميار، عبد الكريم فضيل، المرجع السابق، ص 47.

وخلال فترة الإمبراطورية الرومانية المتأخرة يبدو أن النسامونيس قد اندمجوا في إتحاد القبائل الليبية المسمى اللواته والذي دخل في حرب مع البيزنطيين، ويدل على ذلك إطلاق الشاعر اللاتيني كوريبوس اسم النسامونيس على محاربي اللواته، وهو ما يدعو إلى الاعتقاد بحدوث اندماج نسامونى الداخل في قبائل لواته في آواخر القرن الثالث الميلادي[1].

2- قبيلة الماكاي (Macae)

تشير المصادر القديمة إلى أن مضارب هذه القبيلة تنتشر في المنطقة الواقعة إلى الغرب من النسامونيس[2]، وتمتد من مذبح الأخوين فيلاينوروم حتى نهر كينوبس (وادي كعام) [3].

ففي الفقرة (175) يذكر هيرودوتس[4] قبيلة الماكاي ويقول : "وهؤلاء يقيمون فيما يلي إقليم النسامونيس إلى الداخل، أما المنطقة المجاورة لإقليم النسامونيس، وفي اتجاه الغرب فقد كانت موطن قبيلة الماكاي الذين كانوا يحلقون رؤوسهم ويتركون خصلة من الشعر تنمو في أعلى الرأس ويزيلون الشعر من على الجانبين، ويلبسون في الحرب دروعاً من جلود النعام، ويجري نهر كينوبس عبر أراضيهم ".

ويشير ديودوروس الصقلي[5] باقتضاب أيضاً إلى قبيلة الماكاي، ويصفهم بأنهم أكثر نفراً من بقية الليبيين، وإنها كانت تملك أرضاً زراعية يمكنها أن تنتج محاصيل وافرة.

وهذا يؤكد ما ذهبت إليه المصادر السابقة من أهمية نهر كينوبس وخصوبته، وقد شاركت هذه القبيلة القرطاجيين في تدمير المستعمرة الإغريقية التي أقامها داريوس ابن ملك اسبرطة في وادي كينوبس عام 514 ق.م، وذلك بعد ثلاثة أعوام من تأسيسها[6].

ويذكر بلينيوس[7] إن إقامة الماكاي تنتشر في المنطقة بين النسامونيس والأمانتس Amantes الذين تبعد مضاربهم إلى الغرب من خليج سرت الكبير مسافة 12 يوماً، وتأسيساً على هذا يبدو أن قبيلة الماكاي كانت تتواجد في المنطقة الممتدة من جنوب الساحل إلى الجبل ومنطقة ما دون الصحراء لتشمل أودية سوف الجين وزمزم، ويؤكد هذا الرأي ما ذكره سكولاكس[8] من أن الماكاي رعاة يتنقلون مع قطعانهم ومواشيهم بعيداً عن الساحل إلى الداخل خلال فصل الصيف.

---

[1] الميار، عبد الحفيظ فضيل المرجع السابق، ص 47.

[2] Hdt.,Hist.,IV. 175.

[3] ينظر: أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

[4] Hdt.,Hist.,IV. 175.

[5] Diod.,Biblioth.,Histor., III.49 .

[6] شامو، فرانسوا، الإغريق في برقة (ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي) بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط1 1990، ص284.

[7] Plin.,Nat.,Hist.,V.34.

[8] Scyl.,G.G.M., 109.

أما بطلميوس[1] فقد حدد للماكاي موقعين الأول على الساحل حيث يعرفون هناك بالسرتيين (Syrtites)، والثاني في الداخل قرب جبل جيري عند منبع نهر كينوبس.

ويذكر سترابو[2] أن الحدود الغربية للنسامونيس كانت عند مذبح الأخوين فيلاينوروم، إلا إن البعض[3] لا يوافق على هذا الرأي ذلك أن الحدود الشرقية للماكاي غير مؤكدة.

3- قبيلة البسولوي (Psylli)

يذكر هيرودوتس في الفقرة (173) قبيلة البسولوي ويقول[4] : "على حدود النسامونيس موطن البسولوي الذين أنقرضوا على النحو التالي : " حدث أن رياح الجنوب جففت صهاريجهم التي يحتفظون فيها بالماء، وهكذا أصبحت كل أرضهم الكائنة داخل إقليم سرت دون ماء، وبعد أن تشاوروا قرروا جميعاً الزحف ضد رياح الجنوب (أقول الأشياء نفسها التي يقولها الليبيون) وبعد أن صاروا وسط الرمال هبت رياح الجنوب ودمرتهم، وبعد أن أُبيد هؤلاء أستولى النسامونيس على أرضهم."

ويلي هيرودوتس في الحديث عن قبيلة البسيلي سترابو[5] الذي تحدث عن قبائل النسامونيس و البسيلي وبعض الجيتوليين وحدد مواقعها بقوله : "أنهم كانوا يعيشون في المنطقة الداخلية التي تحف بأعلى خليج سرت الكبير".

وفي هذا يتناقض سترابو مع ما ذكره هيرودوتس[6] عن تلاشي قبيلة البسولوي وعن استيلاء النسامونيس على مواطنهم، وبذلك يبدو أن القصة تنطوي على قدر كبير من المبالغة، ذلك أن قبيلة البسيلّي كانت ما تزال موجودة في وقت متأخر عن هيرودوتس بعدة قرون، وورد ذكرها عند المؤرخين سترابو وبلينيوس وبطلميوس الجغرافي، ولعل منشأ هذه القصة أنه قبل عهد هيرودوتس كانت هذه القبيلة قد هجرت موطنها القديم على خليج سرت واستقرت بالداخل، واستولى النسامونيس على إقليمها ويشاع أنها انتهت على هذا النحو[7].

وقد اشتهرت هذه القبيلة بأن سم الأفاعي والعقارب لا يؤثر في أفرادها، حيث كانوا يعرضون الصبي حين ولادته لعضة الأفعى، فإن لم يمت كان هذا دليلاً على شرعيته وإنه منهم، وهناك حادثة مشهورة تروى عن اشتهار أفراد هذه القبيلة بقدرتهم على شفاء المعضوض والملدوغ، ويذكر أن أكتافيوس دعا واحداً منهم لينقذ كليوباترا الملكة المصرية الشهيرة من نهشة

---

(1) Ptol.,Geog.,IV.3.6.L.C.L.

(2) Str.,Geog.,II.5.33.

(3) Mattingly,D.I., Tripolitania, Manchester, uni., of Manchester, London, 1984,p.32.

(4) Hdt.,Hist.,IV. 173.

(5) Str.,Geog.,XVII.,3.20;II.5.33.

(6) Hdt.,Hist.,IV. 173.

(7) البرغوثي، المرجع السابق، ص ص 204- 205.

الأفعى التي انتحرت بوساطتها بعد موت حبيبها أنطونيوس غير أنه لم يفلح حيث فات الأوان[1].

4- قبيلة الجرامنتس (Garamantes)

هي إحدى المجموعات السكانية التي ذكرها هيرودوتس في عداد القبائل الليبية حيث يقول في الفقرة (174) [2] : " وأما في الدواخل فيعيش الجرامنت في المنطقة المعروفة بمنطقة الحيوانات البرية، وليست لهم صلات مع غيرهم من الناس وليست لديهم أسلحة وهم لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم ".

كذلك تحدث سترابو في كتابه الجغرفيا عن الجرامنتس فقال[3] : " إننا لا نعرف شيئاً عن أغلب القبائل التي تسكن ليبيا لأن الجيوش الأجنبية أو الرحالة الأجانب قليلاً ما ارتادوا البقاع الداخلية، كما وأن القليل جداً من سكان تلك الجهات هم الذين يجيئون إلى مدننا بالشاطئ، وحتى هؤلاء القلة لا يذكرون أية أخبار مفصلة عن بلادهم، وعلى أي حال فإنني أنقل المعلومات التالية رواية عنهم : يسكن في أقصى جنوب ليبيا الأقوام المسمون باسم الأثيوبيين وإلى الشمال منهم يسكن الجرامنت أغلب الجهات، وإلى جوارهم الفاروسي (Pharusu) والزنوج(Nigriti) وإلى الشمال منهم يعيش الجاتولي (Gattoli)."

وفي مكان آخر من نفس الكتاب يقول : " تمتد بلاد الليبيين المنحدرين من أرومة فينيقية إلى جبال الجاتولي وفيما وراء أرض الجاتولي، وفي اتجاه مواز له توجد بلاد الجرامنت، حيث يوجد ما يسمى بالحجر القرطاجي(Carthagenian Stones) ويذكر بأن بلاد الجرامنت تمتد من مسافة تسعة أيام من بلاد الأثيوبيين الذين يعيشون على شاطئ المحيط إلى خمسة عشر يوماً من معبد آمون، وهؤلاء القوم المسمون بالجرامنت معتدلون في طعامهم وزينتهم ويعني ملوكهم بتربية الخيول حتى أنهم ليقيمون سنوياً حفلاً يحضره الملك ليشاهد تعشير الخيول التي تلد سنوياً حوالي الألف مهر[4]."

كما تحدث بلينيوس في كتابه التاريخ الطبيعي عن الجرامنتس فقال[5] : " تقع بلاد الجرامنت على مسافة أثنى عشر يوماً للغرب من واحة أوجلة. " ولم يتم التوصل حتى الآن إلى معرفة أصل الجرامنتس ولا الموطن الأول لهم حيث يرى بعض المؤرخين أن قصة الجرامنتس تبدأ بظهور قبائل البحر المتوسط من الكريتيين والصقليين وأهل سردينيا الذين هاجروا من

---

(1) Plin.,Nat.,Hist.,V. 34.

(2) Hdt.,Hist.,IV. 174.

(3) Str.,Geog.,II., 33.

(4) Str.,Geog.,XVII.36.

(5) Plin.,Nat.,Hist.,V.5.

بلادهم في أعقاب الزلازل التي حدثت في القرن العاشر ق.م، والتي دمرت مدنهم وأغرقت بعض أجزاء من جزرهم، فالتجأت تلك القبائل إلى السواحل الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط، وجاء فريق منهم إلى سواحل برقة وطرابلس وامتزجوا بالقبائل الليبية المحلية بالمصاهرة والتجارة، ومن ليبيا خرجت هذه القبائل لتهاجم حدود فراعنة مصر في القرن العاشر قبل الميلاد، وبعد معارك مريرة فشل الغزو، وتحولت الجيوش المصرية من موقف الدفاع إلى الهجوم، فارتدت هذه القبائل صوب برقة وخليج سرت الكبير إلا أن بعضها غيَّر اتجاهه لسبب غير مفهوم واتجه نحو فزان حيث وجد فيها واحات غنية بالمراعى وجبالاً غنية بالمعادن، ولم يجدوا أمامهم في فزان سوى شعب ضعيف مسالم تغلبوا عليه بكل سهولة.

هذه الرواية تفترض أول ظهور للجرامنتس بفزان حوالي القرن العاشر قبل الميلاد، ويرى آخرون استناداً إلى الأساطير الإغريقية أن قبائل الجرامنتس والنسامونيس أصلهم فعلاً من قبائل البحر المتوسط التي هاجرت في القرن العاشر قبل الميلاد، إلا أنهم يخالفون الرأي الأول في أن هذه القبائل قد نزلت على شواطئ خليج قابس وفي جزيرة جربه، وأنهم امتزجوا بالأهالي الوطنيين وظلوا هناك حتى جاء المستعمرون الفينيقيون[1] في الألف الأول قبل الميلاد وطردوهم من الساحل، فاضطروا بدورهم على الاندفاع إلى الداخل فجاءوا إلى فزان عن طريق واحة كيداموس Cidamus " غدامس" وهذا الرأي يفترض أول ظهور للجرامنتس في فزان في وقت ما بعد القرن الثامن قبل الميلاد[2].

ومن الجائز يكون أصل الجرامنتس من سيوه، فقد قامت في تلك الواحة مملكة قوية اشتهر أمرها في القرن الخامس قبل الميلاد، وقد كان لهذه المملكة نفوذ روحي وسياسي على القبائل الليبية نظراً لقيام معبد آمون الكبير بها، ولقد تصدت مملكة سيوه لمقاومة الغزو الفارسي الذي نجم في الاستيلاء على مصر في القرن الخامس قبل الميلاد، وأخذت هذه الواحة المنعزلة في الصحراء تثير العالم القديم ضد العملاق الفارسي بما كانت تذيعه من نبوءات عن هزيمة الفرس، وانتشرت أنباء هذه النبوءات في بلاد اليونان، ووجد اليونانيون فيها حافزاً ساعدهم على التكتل لمقاومة التوسع الفارسي في بلادهم، ووجد العاهل الفارسي قمبيز أن خير ما يمكن أن يفعله هو أن يرسل جيشاً للقضاء على هذه الواحة الصغيرة الموجودة في أقصى الصحراء، فخرج الجيش الفارسي ولكنه اختفى قبل أن يصل إلى سيوه، وقيل إن عاصفة رملية عاتية قد هبت

---

[1] أيوب، محمد سليمان، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، طرابلس – ليبيا، دار المصراتي للطباعة والنشر، ط1 1969، ص ص 131–133.

[2] أيوب، المرجع السابق، ص ص 131–130.

عليه وأهلكته، وقيل أنه ظل الطريق وفنى، وأُعتبر هذا من معجزات الإله آمون حامي سيوه، ويظهر أن كهنة سيوه قد شعروا بالخطر إذ أنه لو رتبت أمور الحملة الفارسية لنجحت في غزو سيوه، ومن المحتمل أنهم رتبوا أمورهم في التقهقر غرباً إذا ما تعرضوا لخطر آخر فأرسلوا جيشاً إلى فزان، ويظهر أن قسماً من سكان الواحة قد هاجر فعلاً وأقام في واحات فزان وعرفوا هناك باسم الجرامنتس، أما الأدلة فما زالت محدودة الفائدة لقلتها، كما وأن الآثار التي أمكن العثور عليها وجدت أغلبها في حالة بالية، ولم يعثر إلى الآن على وثائق مكتوبة ذات قيمة يمكن أن تلقى ضوءاً ولو يسير على أصل الجرامنتس[1].

يذكر سترابو[2] أن الجرامنتس كانوا يتزوجون بعدد كبير من النساء، وأنه لكل فرد منهم عدد كبير من الأولاد والبنات، وتدل كثرة قبور النساء وتفوقها من حيث العدد على قبور الرجال بالجبانة الملكية أن كل ملك من الملوك كان له عدد لا بأس به من النساء، ولكن ليس معنى هذا أن قيمة المرأة كانت تافهة في نظر الرجل الجرامنتي أو أن الأنثى كانت في درجة دون الذكر، فمن واقع المقابر الفخمة التي أقيمت لهن بالجبانة الملكية، ومن واقع الحلي والأدوات التي وُجدت في تلك المقابر يُستنتج أنها كانت مساوية من حيث المركز لقرينها الرجل، كما وأن عبادة الإلهة تانيت وهي أنثى واعتبارها زعيمة الآلهة يدل على أن مركز المرأة كان محترماً في نظر الرجل[3].

وورد في المصادر القديمة أن الجرامنتس كانوا يسكنون في بيوت صغيرة من اللبن أو في أكواخ من القش أو في خيام من جلود الحيوانات، أما البدو فقد كانوا يتكونون بصفة عامة من الرعاة الذين يتنقلون بماشيتهم من مكان إلى آخر وراء الكلا[4]، وكان المجتمع الجرامنتي يتكون من الملك وحاشيته ثم الأفراد ثم الحكام وتأتي بعد ذلك طبقة العمال.

كان الملك هو رأس الدولة وربما كان هو الكاهن الأعلى، إذ أن عبادة جراما لم تكن إلا عبادة لشخص الملك أو الزعيم، ويظهر من قبور الملوك الضخمة أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم حكاماً لا في الحياة الدنيا فحسب بل في الآخرة أيضاً، وذلك واضح من أنهم أقاموا مقابرهم على مكان مرتفع من الوادي يمكنهم من الإشراف على رعاياهم الذين أقيمت جباناتهم في بطن الوادي[5].

---

[1] أيوب، المرجع السابق ص ص 133-135.

[2] Str.,Geog.,XVII.2.

[3] أيوب، المرجع السابق ص 135.

[4] Plin.,Nat.,Hist.,V.5.

[5] أيوب، مختصر تاريخ فزان، طرابلس، المطبعة الليبية، ط1 (د.ت) ص 85.

وكان حاكم الإقليم هو نائب الملك، وكان عليه أن يدفع للملك ضريبة معينة كما كان عليه أن يمده بالمحاربين إذا أحتاج الأمر، وكان لكل حاكم منهم قصر يقيم فيه وجبانة خاصة يدفن فيها بعد موته هو وأفراد أسرته، أما عامة الشعب فقد كانوا يمارسون مختلف الأعمال والمهن والحرف فكان منهم رجال القوافل والمزارعون، وظل عدد قليل منهم يعيشون على صيد الحيوانات البرية[1].

أما العبيد فقد وُكلت إليهم أعمال الخدمة في المدن والقصور وأعمال الزراعة في الحقول ورعي الخيول والأبقار وغيرها من الخدمات العامة[2].

ومن المرجح أن الجرامنتس كانوا في مرحلة بدائية من الناحية الفنية عند ظهورهم لأول مرة في فزان، فقد كانت النقوش التي حفروها في بداية حياتهم رديئة للغاية، ولعل خير ممثل لهذه المرحلة من الفن الجرامنتي هو تلك النقوش الصخرية التي وُجدت في زچرا شمال فزان، وبجبل غنيمة في جنوبها وفي جبل زنككرا في منطقة جاراما Garama "جرمة " عاصمة الجرامنتس[3].

ويذكر هيرودوتس[4] أن الجرامنتس كانوا يستخدمون عربات تجرها أربعة خيول، وقد ظهرت هذه العربات في رسوم الكهوف ونقوش الصحراء، فقد اشتهروا منذ القدم بروحهم الحربية العالية، فلا عجب أن عمل المتطوعون أو المرتزقة منهم في صفوف هانيبال، كما حاربوا في صفوف ماسينيسا [5]، وتشير المصادر القديمة إلى أن الجرامنتس كانوا يؤيدون ثورات المدن والقبائل الليبية ضد الرومان، وأنهم أمدوا هذه الحركات بالجيوش المحاربة[6].

وكان الجيش الجرامنتي يتكون بصفة عامة من الفرسان والمشاة، وكان الفرسان بدورهم يتكونون من راكبي الخيول و العربات، وأسلحتهم السيوف والرماح، ويظهر أن هناك فرقة خاصة في الجيش مهمتها طمر الآبار والمسالك على العدو بقطع خطوط تموينه، وقد اعتمدت علاقاتهم مع القبائل الليبية الأخرى على التحالف العسكري والمشاركة في عبادة الإله آمون[7].

---

(1) Bates,op.cit.,p.93.

(2) Plin.,Nat.,Hist.,V.5.

(3) البرغوثي، المرجع السابق، ص 322.

(4) Hdt.,Hist.,IV. 183.

(5) Plin.,Nat.,Hist.,V.5.

(6) البرغوثي، المرجع السابق، ص 323.

(7) Hdt.,Hist.,IV. 174.

المبحث الثاني
حياتهم الاقتصادية

أولاً: الزراعة

إن المصادر القديمة لم تشر بوضوح إلى أوجه النشاط الاقتصادي الذي كانت تمارسه هذه القبائل فهي بصورة عامة تصفها بأنها دائمة الترحال ، فهيرودوتس يذكر أن ساحل ليبيا ما بين مصر وبحيرة تريتونيس يسكنه قوم رُحل رعاة يعيشون على اللحم والحليب[1]، غير أن بعض الباحثين لا يوافق على هذا الرأي ويعتقد أنه كان للقبائل الليبية أراضيها وحدودها المعروفة وإنها لم تكن رُحل إلا بصورة محدودة [2]، فقد دلت الاكتشافات الأثرية على أن الليبيين عرفوا الزراعة، وعاشوا حياة مستقرة قبل وصول الفينيقيين إلى الشمال الإفريقي[3] .

وعلى الرغم من أن المصادر القديمة تشير إلى وقوع صدام بين الرُحل من القبائل والمستقرة منها، فإن حاجة كل منها للآخر قد تفرض التعايش السلمي بينهما ، وذلك أن الأولى في حاجة إلى الحبوب والمنتجات الزراعية التي تحصل عليها من المجموعات المستقرة في مقابل ما تقدمه من منتجات حيوانية مثل اللحم والصوف والجلود، فضلاً عن استخدام الرُحل كعمال موسميين في عمليات الحرث والحصاد ، فالقبائل التي كانت تعيش في جنوب الإقليم كانت توجد فيها مجموعات مستقرة في الواحات تشتغل بالزراعة وفي نفس الوقت تمارس مهنة الرعي[4].

ويذكر ديودوروس أن مجموعات من الماكاي كانت تشتغل بالزراعة ، وأخرى الرعي وثالثه النهب والسلب[5].

وتأكيداً على ما ذكره ديودوروس فإن القبائل الليبية كانت تمارس نوعاً من الاقتصاد المختلط زراعة ورعي، ولا يطلق عليها كلمة رُحل إلا في حدود ضيقة ، فالنسامونيس كان لهم أرضهم على الساحل السرتي حيث كانوا يتركون قطعانهم هناك في فصل الصيف ويذهبون إلى أوجيلا في موسم جني التمور، ويرجح أن سكان الواحات مثل سيوه وأوجيلا والواحات الأخرى كانوا يمارسون الزراعة[6]، ويؤيد هذا القول ما ورد عند هيرودوتس في الفقرة (172) : ".. ويلي إقليم الأوسخيساي غرباً إقليم زاخر بسكانه من قبيلة (النسامونيس) وهم في الصيف يتركون قطعانهم بجانب البحر ويذهبون إلى منطقة في الداخل تدعى أوجلة ليجمعوا التمور من أشجار النخيل التي تنمو هناك بكثرة عظيمة وتثمر جميعها "[7].

---

(1) Hdt.,Hist.,IV. 186.

(2) Bates,op.cit.,p93.

(3) أندريه، شارل جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، (ترجمة: محمد مزالي وآخر)، تونس الدار التونسية للنشر، ط1 1969، ص 87

(4) الميار، المرجع السابق، ص 55.

(5) Diod.,Biblioth.,Histor.,III.49.

(6) الميار، المرجع السابق، ص 56.

(7) Hdt.,Hist.,IV. 172.

وقبيلة الماكاي أيضاً كانت لها أرضها قرب الساحل، حيث كانت تقضي فصل الشتاء مع قطعانها التي كانت تضعها في حظائر، وفي فصل الصيف ترحل إلى منطقة جبل غريان حيث تتوفر المياه[1]، وبما أن أراضي الماكاي تقع في المنطقة الساحلية التي اشتهرت بخصوبة أراضيها وغزارة الأمطار التي تسقط فيها فلا بد وأن الماكاي اشتغلوا بالزراعة، وقد تحدث هيرودوتس عن خصوبة أرض وادي كينوبس وأنها تنتج كميات وفيرة من القمح[2]، ويبدو أن منطقة حوض كينوبس تقع ضمن أراضي الماكاي ذلك أن هذه القبيلة دافعت عن هذه المنطقة، وتمكنت بمساعدة القرطاجيين من طرد الإغريق الذين حاولوا تأسيس مستعمرة في حوض كينوبس في نهاية القرن السادس قبل الميلاد[3].

والبسولوي أيضاً كان لهم أرضهم الخاصة التي توجد بها آبارهم الدائمة[4].

ويروي هيرودوتس أن الجرامنتس كانوا أيضاً مزارعين فيقول في الفقرة (183) : "وعلى مسيرة عشرة أيام أخرى من أوجلة يوجد تل آخر من الملح تتوسطه عين ماء وحولها الكثير من النخيل المثمرة، ويسمي الأهالي الذين يسكنون هذه الجهات بالجرامنت، وهم أمة كبيرة من الناس، وهم يمارسون العادة التالية في الزراعة : يغطون الأرض التي تكسوها الأملاح بطبقة من التربة ثم يبذرون عليها البذور تلك هي وسيلتهم في الزراعة[5] ".

هذا وقدمت الاستكشافات الأثرية التي جرت في فزان صورة مختلفة عن الزراعة الجرامنتيه التي وصفها هيرودوتس، فمنذ مطلع الألف الأولى قبل الميلاد كان سكان زنككرا يزرعون القمح والشعير وربما كروم العنب، كما استخدموا الأعشاب في صناعة الأدوية، وتكشف الأدلة عن وجود مساحة من أرض الجرامنتس تزيد عن 130 كم كانت مزروعة ويعيش فيها حوالي عشر آلاف فرد، ولسقي المزروعات استخدم الجرامنتس نظاماً متقدماً في الري عُرف بالفوقاراس وهو عبارة عن سلسلة من الآبار الارتوازية تربطها قناة من الأسفل وهي شائعة الاستعمال في الصحراء الشمالية والشرق الأدنى، ويبدو أن الشروع في إدخال هذا النظام من الري إلى فزان تطابق مع التوسع في زراعة الحبوب في المنطقة حوالي القرن التاسع قبل الميلاد[6]، حيث كان الليبيون يعيشون على القمح والشعير يأكلون حبوبه كما هي أو يدقونها ويخبزون معجونها بدفنه في النار، وكان بعضهم يتغذون بجذور النباتات والخضروات[7].

---

(1) Hdt.,Hist.,IV. 183.

(2) Scyl.,G.G.M., 109.

(3) Hdt.,Hist.,IV. 198.

(4) Idem,V. 42.

(5) Hdt.,Hist.,IV. 174.

(6) الميار، المرجع السابق، ص ص 57-58.

(7) البرغوثي، المرجع السابق، ص 159.

ثانياً: الرعي

وهناك بعض الأعمال الأخرى التي زاولتها القبائل الليبية وارتبط البعض منها بالزراعة وأصبح مكملاً لها في الكثير من الأحيان وأهمها الرعي، فقد ذكر هيرودوتس[1] بأن ليبيا تتميز بتربية الأغنام، وأكد أن النسامونيس كما ذكر سابقاً كانوا يتركون قطعانهم في مكان سكناهم ويذهبون لجمع محصول التمور من منطقة أوجيلا، وقال عنهم ديودوروس الصقلي بأنهم يربون أسراب الماشية وقطعان الأغنام[2].

كما ذكر هيرودوتس[3] أيضاً أن قبيلة الجرامنتس كانت تربي نوعاً من الثيران تتميز عن غيرها بسيرها إلى الوراء أثناء الرعي، ذلك أنها بسبب قرونها الطويلة الملتوية إلى الأمام باتجاه الأرض كانت لا تستطيع أن تسير إلى الأمام وهي تُرعى، لأنها لو فعلت لاشتبكت قرونها بالأرض، وقد وصف هيرودوتس تلك الثيران بأنها كانت كغيرها من الثيران باستثناء أن جلودها كانت أصلب وأسمك.

وقد استمرت حرفة الرعي على ما هي عليه خلال العصرين الفينيقي والنوميدي، إذ لا يعتقد أن الفينيقيين قد أهملوا تربية الحيوانات المختلفة خصوصاً التي كانوا يعتمدون عليها في الحرب، وكذلك تربية البغال والثيران، ويعتقد بعض الباحثين أن حرفة الرعي قد تناقصت خلال العصر الفينيقي، بسبب الاهتمام بالتجارة والزراعة، ولكن هذا الرأي لا يُرجح لعدة اعتبارات أهمها، أن تجارة القوافل كانت في يد الجرامنتس، كما أن القبائل الليبية التي كانت تعتمد على الرعي استمرت في حرفة الرعي ولم تمتهن حرفة الزراعة التي كان القرطاجيون يستخدمون فيها العبيد أو المواطنين المجاورين للمدن الساحلية، وبذلك يتضح أن التجارة والزراعة لم تؤثر على حرفة الرعي[4].

ثالثاً: الصيد

وقد كان الصيد عامل آخر من عوامل اقتصاد القبائل الليبية التي عاشت في تلك المنطقة، وفي هذا الخصوص لا بد من الإشارة إلى أن ليبيا بأسرها كانت منذ عصور ما قبل التاريخ مليئة بأصناف شتى من الحيوانات والوحوش، وقد وصفها هيرودوتس في وقته بأنها مليئة بالوحوش، وكان من بين الحيوانات والوحوش التي ذكرها هيرودوتس الظباء، والغزلان، والجواميس، والحمير التي كانت لا تحتاج إلى الشرب، وبقر الوحش الإفريقي الذي كان الواحد منه يبلغ حجم الثور، والثعالب، والكباش البرية، والنمور، والتماسيح وغيرها[5]، وكان الليبيون

---

(1) Hdt.,Hist.,IV. 172.

(2) Diod.,Biblioth.,Histor., III. 49.

(3) Hdt.,Hist.,IV. 173.

(4) أنديشه، المرجع السابق، ص ص 127- 128.

(5) Hdt.,Hist.,IV. 192.

يستفيدون من لحوم ما يؤكل من هذه الحيوانات ومن جلودها التي كانوا يستعملونها في صنع ملابسهم وبناء مساكنهم، إضافة إلى استعمال الصيادين لرؤوس الحيوانات وجلودها كأقنعة تمكنهم من خداع الحيوان وتسهل عليهم اصطياده كما ظهر في بعض الرسوم[1].

وتُظهر بعض الرسوم الصيادين في جماعات منتظمة يعملون على صيد الحيوانات بالشباك أو بالأسلحة البسيطة كالهراوات التي يثبتون في أطرافها رؤوس حراب حجرية أو يستخدمون النبال والرماح، ومن الطبيعي أن هذه الرسوم مرتبطة بالبيئة التي يعيش فيها الرسام، وأن الحيوانات كانت من أهم الأشياء في حياة إنسان الصحراء[2].

وأشار سترابو[3] إلى أن السكان المجاورين لخليج سرت كانوا يمارسون صيد السمك حيث يساعدهم عليه عامل المد والجزر، وقد سبقت الإشارة إلى أن هيرودوتس ذكر أن قبيلة النسامونيس كانت تصطاد الجراد[4]، وهكذا يتضح أن الصيد من أهم الحرف التي مارسها الليبيون، ويعتبر مصدراً من مصادر رزقهم وكسائهم.

رابعاً: الصناعة

لا توجد معلومات محددة عن الصناعة لدى القبائل الليبية التي عاشت في المنطقة، وكل ما يوجد بعض الإشارات من المؤرخين القدامى، فقد ذكر هيرودوتس أن أفراد قبيلة الماكاي الليبية كانوا يحملون أثناء الحرب دروعاً مصنوعة من جلود النعام[5]، وأورد ديودوروس الصقلي أن الليبيين كانوا يصنعون الأقربة من الجلود[6]، وهذا يُوحي بأن الصناعات المعتمدة على الجلود المحلية كانت منتشرة بين قبائل المنطقة قبل استقرار الفينيقيين.

أما الصناعة في العصرين الفينيقي والنوميدي فلا يعُرف عنها إلا القليل من خلال الاستكشافات التي دلت على وجود عدد من الصناعات خلال العصر الفينيقي وأهمها الكشف عن الأواني الفخارية والقدور والجرار الضخمة، وكان تخليل (تمليح) السمك من أهم الصناعات، وتعتبر زوخيس المركز الرئيسي لهذه الصناعة، أما الصناعة التي ربما تحتل المرتبة الثانية فهي صناعة النبيذ الذي كان السكان يهربونه إلى كوريني مقابل كميات من نبات السلفيوم وذلك عبر المركز التجاري كاراكس (السلطان) [7].

---

[1] البرغوثي، المرجع السابق، ص 154.

[2] لوت، هنري، لوحات تاسيلي، (ترجمة: أنيس زكي حسن) بيروت، ط1 1967، ص ص 59-60.

[3] Str.,Geog.,XVII. 17.

[4] Hdt.,Hist.,IV. 172.

[5] Idem,175.

[6] Diod.,Biblioth.,III.49.

[7] أنديشه، المرجع السابق، ص ص 128-129.

وقد دلت الآثار على أنه كانت تقوم في جاراما صناعات محلية محدودة مثل صناعة الحلي الذهبية والفضية، وصناعة الأغواش والأساور والأقراط من حجر الأمازون الذي أسماه الرومان فيما بعد (Carbuncle) أي العقيق، وقد كان هذا الحجر في ذلك الوقت يعتبر كريماً كالجواهر في تلك الأيام، ولا شك أنه كانت لدى الجرامنتس صناعات أولية أخرى مما يتعلق بالحاجات الضرورية كالمأكل والملبس والمسكن والأسلحة وما شابه ذلك[1].

خامساً: التجارة

كان لموقع ليبيا الجغرافي الممتاز أبلغ الأثر في السيطرة على الطرق التجارية سواء منها ما يربط بين البحر المتوسط وأواسط أفريقيا وخاصة مع السودان وتشاد، أو تلك التي تربط بين شرق القارة وغربها[2].

ولقد كانت الطريق العابرة بجاراما من ماكوماديس إلى السودان أقصر تلك الطرق وبالتالي أكثرها استعمالاً، وكان قصرها ناتجاً عن تعمق النتوء البحري في القارة عند ماكوماديس حتى خط عرض 30^0 شمالاً[3].

وقد عرف الليبيون التجارة منذ وقت مبكر، فقد ورد في النصوص المصرية أن الملكة حتشبسوت من الأسرة الثامنة عشر حصلت من قبيلة التحنو على عاج من سبعمائة سن فيل، ومن الصعب الحصول على هذه الأشياء من أي مكان آخر من السودان وتشاد[4].

ولعل ما يدعم نشاط الليبيين التجاري ما ذكره هيرودوتس عن مغامرة الشباب النسامونيس الخمسة الذين عبروا الصحراء الكبرى ووصلوا إلى نهر النيجر[5]، وليس من المعقول أن تكون تلك الرحلة دون هدف اقتصادي، وفي اعتقاد أحد الباحثين أن الغرض منها هو الإطلاع على مصادر التجارة في أفريقيا[6].

ويرى بعض الباحثين[7] أن قبيلة النسامونيس قد شاركت الجرامنتس في تجارة قوافل الصحراء.

---

(1) البرغوثي، المرجع السابق، ص 322.

(2) الأثرم، رجب عبد الحميد، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، بنغازي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ط2 1975، ص 79.

(3) البرغوثي، المرجع السابق، ص 320.

(4) حسن، سليم، مصر القديمة، ج3، القاهرة، ط1 1950، ص 90.

(5) Hdt.,Hist.,II. 32.

(6) أنديشه، المرجع السابق، ص 116.

(7) Bovill,W.E.,The Golden Trade of the Moors, Oxford Uni., Press, London, 1963,p.22;Bates,op.cit.,p.105.

كما كانت قبيلة الماكاي تسيطر على الطرق التجارية القادمة من داخل الصحراء، وربما كان لأهمية موقعها وسيطرتها على الطرق التجارية دوراً أساسياً جعلها تتحالف مع القرطاجيين لطرد داريوس الإسبرطي عام 514 ق.م [1].

ونظراً لأهمية هذه المنطقة من الناحية التجارية فقد أسس الفينيقيون مراكز تجارية على طول خليج سرت[2] تنتهي عندها القوافل التي تحمل منتجات أفريقيا، وترسو بها السفن التي تنقل منتجات أوروبا حيث يتم التبادل التجاري، وكانت المنتجات الإفريقية تأتي على الأرجح عن طريق ليبيا إلى أسواق أوروبا، وكان من أشهر هذه المنتجات العاج ثم الصوف والجلود، وخشب الابنوس والأصباغ وريش النعام[3]، والعقيق الأحمر الذي يُعرف في أوروبا بالحجر القرطاجي[4] والذي أشار بلينيوس[5] إلى أنه يُجلب من أثيوبيا، والزيت والحبوب والملح والصمغ والذهب الذي يأتي عن طريق الجرامنتس[6].

ولعل التجارة كانت أهم مرفق اقتصادي للجرامنتيين، فقد دفعتهم إلى أن يصبحوا مهرة في الملاحة الصحراوية إن جاز التعبير، فعرفوا كيف يهتدون فيها بالنجوم، كما أنهم أقاموا الحصون التي لا تزال آثارها ماثلة حتى اليوم على طول طرق قوافل الصحراء، والطرق التجارية عبر الصحراء الليبية ليس اكتشافاً من إنجاز الجرامنتس أنفسهم، فقد كانت فيها طرق ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ، كما أن نصوص العصر التاريخي في مصر تذكر أن أحد تجار أسوان أستخدم ليبيين ليقطع الصحراء بقافلة مكونة من ثلاثمائة حمار، وقد أُستخدمت الحمير في القافلة نظراً لشدة قدرة الحمار على تحمل العطش، ولأن الجمل لم يكن قد عُرف بعد، ولكن غلب على الجرامنتس استخدام الحصان أكثر من غيره فأسخدموه لجر العربات إلى جانب ركوبه مباشرة، وظلوا يعتمدون عليه حتى القرن الرابع الميلادي عندما شاع استخدام الجمل[7].

وكانت المدن الثلاث "صبراته" وأويا Oea "طرابلس" ولبتس ماجنا Leptis magna "لبدة" قد قامت في بدايتها كمراكز تجارية تتجمع فيها سلع القوافل القادمة من أواسط أفريقيا وبلاد الجرامنتس إذ شكلت جاراما مركزاً هاماً لتجمع السلع التجارية المجلوبة من أفريقيا[8].

---

(1) Hdt.,Hist., V. 42.

(2) Bovill.,op.cit.,p.18.

(3) Idem.

(4) Bates,op.cit.,p.101.

(5) Plin.,Nat.,Hist.,V.5.

(6) Bovill,op.cit.,p.22.

(7) البرغوثي، مرجع سابق، ص 39.

(8) أنديشه، المرجع السابق، ص 117.

وكانت جاراما ترتبط مع المدن الثلاث بعدد من الطرق التجارية لعل أقدمها ما ذكره هيرودوتس[1] في معرض حديثه عن الجرامنتس حيث قال : "ومن هنا تبدأ أقصر طريق إلى بلاد آكلة اللوتس وهو على بعد ثلاثين يوماً "، وعليه اعتمدت التجارة من وإلى المدن الثلاث على أربعة طرق رئيسية، الأول يمتد إلى صبراته عن طريق كيداموس والثاني من أويا إلى جاراما، والثالث من لبتس ماجنا إلى جاراما، والرابع من كوريني إلى المدن الثلاث.

كما كانت الطرق تتفرع من جاراما وكيداموس إلى عدة مناطق في أواسط أفريقيا، ورغم أن الكُتاب القدامى لم يتعرضوا بالحديث لحركة العبور خلال الصحراء، وهذا لا يعني بالضرورة أن النشاط التجاري عبر الصحراء لم يكن نشطاً، ولكن ربما السبب راجع إلى الكتمان الشديد من قبل الفينيقيين على علاقاتهم التجارية مع القبائل الداخلية، ويُعتقد أن الفينيقيين قد وضعوا التسهيلات اللازمة التي كان من شأنها اجتذاب التجارة إلى الداخل[2]، فقد عُثر في خليج سرت على قطعة عملة فينيقية[3]، ويرجح أن الفينيقيين كانوا يساهمون بأنفسهم في رحلات القوافل التجارية، فقد ذكرت المصادر القديمة أن أحد التجار الفينيقيين واسمه ماجو قد عبر الصحراء ثلاث مرات مرافقاً لقوافل الجرامنتس[4].

ومع ذلك استمرت القبائل الليبية هي الوسيط التجاري الرئيسي خصوصاً الجرامنتس الذين وفروا الأمن والاستقرار اللازمين للنشاط التجاري بين الشمال والجنوب خلال العصر الفينيقي، إذ أن القرطاجيين لم يحاولوا السيطرة على طرق القوافل عبر الصحراء التي تربط المدن الثلاث بأواسط أفريقيا والجرامنتس[5].

وقد كانت تجارة العبيد رائجة في هذه الفترة فقد أشار هيرودوتس إلى أن الجرامنتس كانوا يطاردون الأثيوبيين بعرباتهم التي تجرها أربعة خيول، ويقوم التجار القرطاجيون بعد ذلك ببيع العبيد لخاصتهم لاستخدامهم في الزراعة أو يبيعونهم في الأسواق الخارجية[6].

أما الواردات فكان أهمها الأسلحة والأدوات المعدنية والأواني الفضية والأقمشة والخزف والفخار، وربما كان الزجاج أحد الواردات فقد عُثر في ضواحي توباكتس على بقايا زجاج يرجع للقرنين الرابع والثالث قبل الميلاد[7].

---

(1) Hdt.,Hist., IV. 183.

(2) أنديشه، المرجع السابق، ص 118.

(3) ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (6).

(4) Bovill.,op.cit.,p.53.

(5) أنديشه، المرجع السابق، ص 117.

(6) Bovill.,op.cit.,p.21.

(7) Bates,o.,op.cit.,p.103.

وكانت التجارة كثيراً ما تتعرض لأخطار جسيمة من قبل لصوص القوافل وقراصنة البحر، الأمر الذي لا يستطيع دارس الاقتصاد الليبي في هذه الفترة أن يهمله فلم يمض وقت طويل على تأسيس هذه المحطات التجارية على البحر المتوسط حتى بدأت السفن الراسية والقوافل القادمة أو الذاهبة تتعرض لأخطار النهب والسلب[1]، وقد أشار أحد المؤرخين [2]، إلى أن قبيلة النسامونيس كثيراً ما تغير على السفن الراسية وتحطمها.

أما في العصر الروماني فقد كانت عمليات السطو هذه منتشرة، الأمر الذي دعا السلطات الرومانية إلى إرسال حملة تأديبية سنة 68 ق.م، كان هدفها السيطرة على الطرق الصحراوية والوصول إلى مصادر التجارة الأفريقية التي احتكرتها القبائل الليبية[3].

كان أسلوب التبادل التجاري المتبع هو المقايضة ، فقد ذكر هيرودوتس[4] على لسان القرطاجيين طريقة مبالغة فيها للتبادل التجاري مع القبائل الليبية، حيث أشار إلى أن القرطاجيين كانوا يأتون بسفنهم محملة بالبضائع حيث يفرغونها إلى السفن ويشعلون ناراً مدخنة، فإذا رأى الأهالي الدخان أتوا إلى البحر ووضعوا على الأرض مقداراً من الذهب ثمناً للبضائع ثم ينسحبون بعيداً، وعندئذ ينزل القرطاجيون من السفن وينظرون إلى الذهب فإذا بدا لهم أن ذلك ثمن كافي لبضائعهم أخذوه وانصرفوا، أما إذا كان ذلك غير كاف فإنهم يعودون إلى السفن دون أخذ الذهب، فيعود الأهالي ثانية ويضيفون مقداراً آخر من الذهب، وهكذا حتى يرضى رجال السفن.

ومن خلال ذلك يتضح أن القبائل الليبية قد مارست التجارة بكفاية ودراية حيث شكلت إحدى الدعائم المهمة في اقتصادها.

---

[1] الميار، المرجع السابق، ص 60.

[2] Bates,o.,op.cit.,p.103.

[3] Hdt.,Hist.,IV.196.

[4] Idem.

المبحث الثالث
حياتهم الدينية

يمكن تقسيم المراحل التي مرت بها الديانة الليبية القديمة إلى ثلاث مراحل :
أولاً: مرحلة تقديس مظاهر الطبيعة والاعتقاد أن لها أرواحاً.
ثانياً : مرحلة الإيمان بالآخرة من بعث وحساب.
ثالثاً: المرحلة اللاهوتية.

أولاً : المرحلة الأولى

في هذه المرحلة كانت المعتقدات الدينية التي عرفها الليبيون من النوع البدائي البسيط المتعلق بعبادة الحيوانات وتقديسها شأنهم في ذلك شأن كل الشعوب في مراحل تاريخها البدائي، فقد كان ابن شمال أفريقيا البدائي في المرحلة المبكرة من تاريخه يشعر بأن العالم مليئ بالقوى الروحانية، وبأن كل ظاهرة من ظواهره الطبيعية مليئة بتلك القوى كذلك[1]، وهكذا فإن الآبار والأشجار والتلال والسحب والعواصف ... الخ في نظره أرواح أعطت كلاً منها الطابع الذي يميزه عن غيره، ومع أنه لم ير هذه القوى إلا أنه آمن بوجودها، وقد يكون إيمانه بها راجع إلى التغيرات الكونية وما ينجم عنها من ثورة وعنف وهدوء وسكينة، وربما كان ذلك بسبب ضعفه وعجزه عن مواجهة بعض الأخطار، وهو ما دفعه للاستعانة بالقوى الخارقة لحمايته مما يحيط به من مخاوف[2].

وقد شغلت الكثير من الظواهر الطبيعية الليبيين فقد ذكر هيرودوتس[3] " أن الليبيين كانوا يقدمون القرابين للشمس والقمر ولا يقدمونها لأي إله آخر، وكانت طريقة تقديمهم لها بقطع أذن الأضحية ورميها فوق أسطح منازلهم ثم قتلها بلي رقبتها".

كما كانوا يعتقدون كذلك بوجود أرواح في قوس القزح وفي السراب وفي النجوم وأدى بهم هذا الاعتقاد إلى عبادتها وتقديسها، وهذا الاعتقاد بوجود أرواح في الظواهر الطبيعية المختلفة إنما هو نتيجة لتفاعلهم مع بيئتهم الطبيعية ذات الصحراء الواسعة الممتدة والسماء العالية الصافية مما يجعل تلك الظواهر تتجسم هنا أكثر منها في أي مكان آخر[4].

وفي الفقرة (186) من الكتاب الرابع يتحدث هيرودوتس عن ديانة الليبيين فيقول[5] : "وهكذا يكون الليبيون من مصر حتى بحيرة تريتونس بدواً رعاة يأكلون اللحم ويشربون اللبن، وللسبب نفسه الذي يجهر به المصريون كذلك لا يأكلون لحم البقر ولا يربون الخنزير، وتعتبر نساء قوريني أيضاً أن من الأثم أن يأكلن لحم الأبقار، وذلك من أجل إيزيس مصر، بل إنهن يكرمنها أيضاً بالصيام والاحتفالات، وترفض نساء مدينة برقة كذلك أن يأكلن لحم الخنزير والأبقار".

---

(1) Hdt.,Hist.,IV.196.

(2) علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، بيروت، دار العلم للملايين،1980، ص5.

(3) Hdt.,Hist.,IV.181.

(4) البرغوثي، المرجع السابق، ص ص 206-207.

(5) Hdt.,Hist.,IV.186.

وفي مجال التنجيم والعرافة والسحر، عُرف عن أبناء الشمال الأفريقي أنهم كانوا ماهرين في التنجيم في العصر الروماني، وكما هو الحال بالنسبة لمعظم الشعوب البدائية الأخرى كان المنجم في أغلب الحالات امرأة وليس رجل[1].

ومن الثابت بالنسبة لليبيين أن المنجم أو المنجمة كان في بعض الحالات يستلقى عند قبر أحد أسلافه مستعيناً به على كشف المستقبل ثم يفيق وقد رأى رؤية يعتبرها وحياً من سلفه، حيث وجد أن قبور المشاهير من الرجال كانت أماكن مقدسة تجري عندها طقوس حلف القسم واستطلاع الغيب وطلب الشفاء من الأمراض والعلل، مثل قبور المرابطين والأولياء الصالحين في الوقت الحاضر[2].

وفي أوجيلا كانت طقوس استطلاع الغيب تجري عند أضرحة الأسلاف المؤلهين Manes من الأموات الذين عُرفوا بالطيبة والاستقامة، كما أن الناس يقسمون بهم بوضع اليد على القبر والقسم بأسمائهم، كما كانوا يستشيرونهم كمهبط للوحي، فالقبر كان يزار، وتستحضر الروح، ويتم إخبارها برغبة المريد الذي ينام حينئذ في المكان عينه ويتلقى الإجابة في أحلامه[3].

إن الاتجاه الديني نحو تقديس الأموات يفهم ضمنياً من تلك العادات التي بلغت ذروتها في عبادة أسلاف القبيلة من بينهم عرف عن جاراماس ونسامون وبسوللوس Bsyllus .

ولقد مارس الليبيون القدماء السحر من أجل استنزال المطر، كما مارسته قبيلة البسيلي كحواة للأفاعي، فقد كان الاعتقاد السائد هو أن هؤلاء القوم يتحلون بقدرة عجيبة على سحر الأفاعي ومعالجة عضاتها[4].

وكان من المعتقد أن ريق البيسلي يشفي من عضة الأفاعي السامة، لذلك يقول بلينيوس[5] عنهم : " إن في أجسام هؤلاء القوم نوعاً من السم الطبيعي القاتل للأفاعي، فإذا تعرضت الأفعى لرائحته تخدرت إلى حين ثم ماتت".

وكانت عاداتهم أن يعرضوا الطفل بعد ولادته مباشرة لأشرس الأفاعي، فإذا تجنبته الأفعى كان ذلك إثباتاً لصحة نسبه إلى والده من ناحية، وإثباتاً لعدم خيانة الزوجة أم ذلك الطفل لزوجها من الناحية الأخرى، ومن المعروف أن البسيلي كانوا يستخدمون في العصر الكلاسيكي كأطباء لمعالجة الأفعى السامة ولدغة العقرب، حيث كان الواحد منهم يعالج حالة التسمم البسيطة الناجمة عن عضة الأفعى بأن يبصق في الجرح الذي أحدثته العضة، أما في الحالات

---

[1] البرغوثي، المرجع السابق، ص 208.

[2] شلوف، المرجع السابق، ص 149.

[3] Mel.,Pom.,De Charo.,I.8.

[4] شلوف، المرجع السابق، ص 150.

[5] Plin.,Nat.,Hist.,XI.25.

الخطرة فإنه كان يتمضمض بشئ من الماء ثم يفرغه من فمه في فنجان ويسقيه للمصاب، فإذا لم ينجح هذا العلاج تجرد البسيلي والمصاب من ملابسهما واستلقيا متلاصقين إلى أن يتغلب البسيلي بما أودع فيه من قوى عجيبة على آثار السم، ومن الواضح أن هذا الوصف يدل على عادة سحرية موقرة كان يتوارثها الأبناء في هذه القبيلة عن الآباء، ويبدو أن هذا النوع من السحر لم يلبث أن تحول إلى مجرد وسيلة لابتزاز الأموال[1].

ثانياً : المرحلة الثانية

أما فيما يتعلق بعبادة أرواح الأسلاف المؤلهين فإنها تتضح في طريقة الدفن وفي النظرة للموتى، وفي الفقرة (190) من الكتاب الرابع يتحدث هيرودوتس[2] عن دفن الموتى ويقول "إن الليبيين الرُحل، باستثناء النسامونيين، كانوا يدفنون موتاهم على نحو ما يفعل الإغريق "، أي أنهم كانوا يضعون الجثمان في اللحد ممداً من الشرق إلى الغرب أو بالعكس، وإن العادة الإغريقية تميل في الأغلب إلى وضع تكون فيه الرأس باتجاه الغرب، أما النسامونيس فكانوا يوارون الجثمان وهو في وضع الجلوس، لذلك فإن أصدقاء المحتضر النسامونى كانوا يساعدونه في لحظات حياته الأخيرة على البقاء جالساً حتى يفارق الحياة، ويُذكر أيضاً أن النسامونيس كانوا يتخلصون من موتاهم بإلقائهم في البحر، أما الجرامنتس فكانوا يدفنون موتاهم في حفرة رملية قليلة العمق[3].

والجدير بالملاحظة هو أن عادة الدفن كانت شائعة بين الليبيين عموماً، وأنواع الدفن التي ذُكرت هي :

1- دفن الجثة ممددة باتجاه غرب – شرق أو شرق- غرب.
2- الدفن بإلقاء الجثة في البحر.
3- دفن الجثة وهي في وضع الجلوس.
4- الدفن تحت كومة تراب تذكارية.

وربما كانت عادة دفن الجثة ممددة كما لاحظ هيرودوتس شائعة بين الليبيين المتأغرفين في منطقة برقة، ثم لاحظها مرة أخرى بمجرد وصوله للنسامونيس حول خليج سرت الكبير، أما عادة النسامونيس في إلقاء الجثة في البحر فربما اقتبسوها مثلاً عمن احتكوا بهم من أقوام ما وراء البحر، أو إنها كانت ناتجة عن عرفان النسامونيس بالجميل لهذا البحر الذي طالما زودهم بالكثير من خيراته، لكن طريقة دفن الجثة وهي في وضع الجلوس لم تكن مقصورة على الليبيين فقد كانت شائعة بين معظم شعوب القارة الإفريقية وبين الشعوب البدائية إجمالاً، والجدير

---

(1) Plin.,nat.,Hist.,XI.25..

(2) Hdt.,Hist.,IV.190.

(3) Sill.,Ital.,pun.,PP.480F.

بالملاحظة أن اهتمام الليبيين القدماء اهتماماً فائقاً بدفن موتاهم إنما يدل على أنهم كانوا يؤمنون بنوع من الحياة بعد الموت، أما بالنسبة للكومة فإنما تدل على الطريقة التي كان الليبيون يميزون بها القبور ويخلدون بها ذكرى موتاهم، وقد كانوا يودعون الجثمان في لحد دائري أو بيضاوي مصفح من الداخل بقطع رقيقة من الحجارة، ثم يقيمون على ذلك اللحد كومة التراب التذكارية، وقد كان الليبيون القدماء يسكبون بعض السوائل التي يقدمونها لموتاهم على قبور أولئك الموتى تكريماً لهم، كما كانوا يزورون قبور مشاهير رؤسائهم من أجل تلك الغاية ذاتها[1].

وخلاصة القول أن نظرة الليبيين القدماء عامة لموتاهم كانت نظرة دينية دون ريب،

ولعل الحلفان باسم الأولياء والأنبياء بين المسلمين عامة في أيامنا هذه إنما هو صادر عن عاطفة مشابهة للعاطفة القديمة عند الليبيين، تلك العاطفة التي جرتهم للحلفان بموتاهم، وهذا في الواقع يقيم الدليل على أنهم كانوا يؤمنون بوجود حياة أخرى.

ثالثاً : المرحلة الثالثة

بعد المرحلة الثانية أنتقل الليبيون إلى مرحلة دينية متطورة عرفوا فيها آلهة متعددة ذات أسماء وأشكال مختلفة منها الآله عش (Ash) وهو إله ليبي ورد اسمه في نقوش الفرعون سحورع من الأسرة الخامسة ولا يعرف شئ عن طبيعته، وكذلك الإلهة الليبية شاهيدد (Shaheded) وقد ورد اسمها على بعض الألواح التي عُثر عليها في الدلتا والتي تحمل في نفس الوقت أسماء بعض الليبيين المقيمين هناك، وكذلك إله البحر بوزيدون (Posidon) والذي يبدو أنه إله ليبي أخذه الإغريق عن الليبيين على حد قول هيرودوتس[2] وكذلك إله الشمس الذي كانت عبادته شائعة بين الليبيين عامة، فقد ذكر هيرودوتس أن الليبيين كانوا يقدمون القرابين للشمس والقمر، والاسم الوحيد المعروف لإله الشمس الليبي هو جورزيل (Gurzil) وكان هذا الإله محبوباً للغاية بين رجال القبائل فكانوا يحملون رمزه في وطيس المعركة، وربما يرجع ذلك إلى اعتباره حامياً لهم، وإلى جانب إله الشمس عبد الليبيون إله القمر، فقد ذُكر أن النسامونيس الذين كانوا يعتبرون العقيق حجراً سماوي الأصل كانوا يخرجون للبحث عنه عندما يكون القمر بدرا[3].

ومن بين هذه الآلهة المحلية الإله زيوس آمون (إله النبوءات) وتدور حول أصل هذا الإله الليبي عدة أساطير تقول إحداها إنه كان راعياً وإنه أهدى عدداً كبيراً من المواشي للإله ديونيسوس (Dionysus) فكافأه الأخير بأن أعطاه أرضاً في طيبة ورفعه إلى مرتبة الآلهة، وتقول أسطورة أخرى إن ديونيسوس كان يعبر الصحراء الليبية في طريقه إلى الهند فاشتد به

---

[1] البرغوثي، المرجع السابق، ص ص 212–213.

[2] الميار، المرجع السابق، ص 66.

[3] البرغوثي ، المرجع السابق، ص 217.

العطش مما دعاه إلى الاستغاثة بأبيه الإله زيوس فأرسل إليه كبشاً هو كبش آمون المقدس دله على نبع ماء وفي أسطورة ثالثة أن بعض الرعاة وجدوا في المنطقة بين قرطاجة وكوريني طفلاً جالساً على الرمل وهو يضع على رأسه قرني كبش ويتفوه بالنبوءات، وعندما رفعوه من الرمل توقف عن الكلام، فلما أعادوه إليه استأنف الكلام وهكذا، ولما اختفى فجأة عرف الرعاة طبيعته الإلهية وبدأوا يعبدونه باسم الإله زيوس آمون[1].

ويقول ديودوروس الصقلي[2] أن آمون كان ملكاً ليبياً أسطورياً، كما أن عدداً من الكُتاب الكلاسيكيين يشيرون بوضوح إلى أصله الليبي.

وهذه الأساطير إن دلت على شئ فإنما تدل على مدى التقارب الوثيق الذي حدث في الأذهان بين الإلهين آمون سيوة الليبي، وآمون طيبة المصري، وعلى هذا فإن آمون الليبي كان يختلف اختلافاً كبيراً عن آمون المصري، فقد كان الأول إله نبوءات في المرتبة الأولى، بينما كان الآخر إله زراعة وحصاد قبل أن يصبح رئيساً للآلهة المصرية باسم آمون رع، حامي الحمى ومانح البركات[3].

وفي الحديث عن هيأة هذا الإله يُذكر أنه لم يكن مشخصاً في أعين اتباعه تشخيصاً بشرياً ولا حيوانياً، وكانت أجوبة آمون الليبي تنقل للمستفسرين بطريقة مشابهة للطريقة التي كان الليبيون يتبعونها عند الاستعانة بأسلافهم على استطلاع المستقبل أي بالأحلام التي كانت تعتبر وحياً، وكانت طريقة الاستشارة في سيوه تتم بحمل رمز الإله في موكب يطوف به في حدائق النخيل المجاورة لمعبده، وفي هذا الموكب كان ثمانون من كهنة هذا الإله يحملون على أكتافهم مركباً، وكان ذلك المركب يُحلى بصحاف فضية تتدلى من حافة المركب العليا، بينما كان تمثال الإله ذاته يُحلى بالحجارة الكريمة، وكان يسير خلف حملة المركب موكب طويل من العذارى وهن يرتِّلْن ترانيم غريبة باللغة الليبية من أجل كسب رضا الإله وإقناعه بإعطاء مستشيريه جواباً مرضياً، وبعد انتهاء الاحتفال كان آمون سيوه يعطي جوابه بالإشارة على الأسئلة المطروحة عليه[4].

وقد شاعت عبادة هذا الإله وانتشرت على نطاق واسع في ليبيا، ومما يدل على شيوعها على ذلك النحو كثرة الأماكن الليبية المسماة باسم هذا الإله، فهناك معبد آمون في أوجيلا، وتل

---

[1] الميار، المرجع السابق، ص 66.

[2] Diod.,Biblioth.,Histor.,III.68.

[3] Bates, op .cit.,p.198.

[4] البرغوثي، المرجع السابق، ص ص 219–220.

آمون جنوبي يوسبيريدس، ومحطة آمون على ساحل خليج سرت الكبير، ومحطة آمون قرب القوس الرخامي عند نصب الأخوين فيلايني[1].

ويُذكر أن أهم تطور أجنبي طرأ على الإله الليبي آمون هو تبني قرطاجة له تحت اسم بعل حمون (Baal Hammon) [2].

ويشير سكولاكس[3] إلى وجود غابة مكرسة للإله بعل حمون على ساحل خليج سرت قرب مذبح الأخوين فيلايني، وتشير النقوش إلى وجود عبادة هذا الإله في موقع زاوية المحجوب قرب توباكتس، كما عُثر على نقش مكرس لهذا الإله في واحة سيوه من قبل سكان أوتومالاكس، ويدل هذا النقش على وجود مكان لعبادة هذا الإله في هذه المدينة[4]، كما توجد سلسلة من معابد هذا الإله على طول الساحل الليبي من مليته حتى طبرق مروراً بزاوية المحجوب (معبد آمون) ومعبد فيلايني (الغابة المقدسة) ومعاطن بشر (عين الماء المقدسة لآمون)، وفي الصحراء توجد معالم لمعابد الجرامنتس في واحة أوجيلا، وفي هذه الواحة يشير بروكوبيوس[5] إلى وجود معبد فيها حيث يقول بوجود مدينتين تحملان نفس الاسم وتبعدان عن موقع بوريوم (بوقرادة) حوالي أربعة أيام سيراً على الأقدام لمسافر لا يحمل أمتعة ثقيلة وتتجه نحو الجنوب، ويضيف بأن سكان هاتين المدينتين يحافظون على تقاليدهم القديمة، حيث يمارسون مذهب تعدد الآلهة، كما يشاهد فيها معابد مقامة لحمون والإسكندر المقدوني.

بُنيت معابد الإله آمون على مكان مرتفع خارج المدينة، وهذا الاختيار للموقع المنعزل يسمح بزرع الغابة المقدسة على غرار تلك التي أشار إليها سكولاكس عند معبد الأخوين فيلايني، وكان الخروف هو القربان المقدس للإله آمون[6].

---

(1) Bates, op .cit.,p.198.

(2) Idem,PP.198-199.

(3) Scyl.,G.G.M., 109.

(4) الميار، المرجع السابق، ص 80.

(5) البرغوثي، المرجع السابق، ص 220.

(6) الميار، المرجع السابق، ص 220.

المبحث الرابع
علاقاتهم بالمناطق المجاورة

ترتبط منطقة خليج سرت الكبير بالمناطق المجاورة لها ارتباطاً طبيعياً وبشرياً، فمن الناحية الطبيعية ظهر أن خليج سرت كان يمتد إلى الداخل بمسافات بعيدة، ثم أدت عوامل التعرية والترسيب إلى تزحزح البحر نحو الشمال حتى أصبح الخليج بوضعه الحالي، فسهول سرت نتيجة النقل والتحات والتآكل والنقل ثم الترسيب من المواد هي التي جاءت من الإطار الجبلي إلى هذا الخليج.

كما أن خليج سرت لا ينفصل عن المناطق المجاورة له انفصالاً محدداً من ناحية الأحوال الجغرافية، حيث أن اتصاله بنطاق الصحراء الكبرى جعله يتأثر بهذه الظروف الجغرافية[1]، وكذلك كانت العلاقات الدينية والاقتصادية تربط بين خليج سرت الكبير والمناطق المجاورة، فوجود منطقة الجبل الأخضر في الشرق، ومنطقة جبل نفوسة في الغرب كانت توفر للخليج احتياجاته من المواد الغذائية، وفي الوقت ذاته كانت مراعيه توفر الملجأ لحيوانات المنطقتين المجاورتين حينما تمر بهما فترات جفاف وقلة في الأمطار[2]، وقد تحدث كثير من المؤرخين والجغرافيين عن العلاقات التجارية بين خليج سرت والمناطق المجاورة، فقد كانت مراكز العمران فيه توفر محطات استراحة وتموين للقوافل المسافرة بين الشرق العربي والغرب العربي، كذلك كانت موانئه بمثابة بوابات انتقال للسلع والأشخاص في حركة تجارية متصلة ومستمرة بين طرق القوافل القادمة من بلدان جنوب الصحراء والمتجهة إلى الساحل[3]، بل إن الحملات العسكرية كانت حين تنتقل بين الشرق والغرب تمر بخليج سرت الذي كان همزة الوصل بين المغرب والمشرق، فقد قام القائد البطلمي أوفيلاس[4] بعبوره لمهاجمة قرطاجة تنفيذاً للاتفاق الذي تم بينه وبين أجاثوكليس طاغية سيراكوزه، غير أن الخلاف وقع بين الملكين مما أدى إلى مقتل أوفيلاس[5]، وخلال الحرب الأهلية استفاد بومبيوس من الغلال والرجال الذين جندهم من القبائل الليبية من كورينايكا[6] التي استمرت على ولائها له بعد تطهيره لشواطئها من القراصنة وذلك حتى معركة فارسالوس عام 48 ق.م[7]، وعندما قُتل بومبيوس غدراً على يد مبعوثي الملك

---

[1] شرف، المرجع السابق، ص 65.

[2] لامه، المرجع السابق، ص 5.

[3] جودتشايلد، دراسات ليبية، (ترجمة، عبد الحفيظ الميار وآخر) طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999م، ص 248.

[4] ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

[5] لاروند، أندريه، برقة في العصر الهلينستي من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس(ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي) بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط1 2002، ص 405 .

[6] ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

[7] علي، عبد اللطيف أحمد، التاريخ الروماني، عصر الثورة، (من تيبريوس جراكوس إلى أكتافيوس أغسطس) القاهرة، 1967م، ص 255.

البطلمي بطليموس الثالث عشر وهو يهم بالنزول إلى الشاطئ المصري أراد جماعة من أنصاره بقيادة كاتو[1]، وكانت تتكون من عشرة آلاف رجل اللجوء إلى كورينايكا ويبدو أن استقبال أنصار بومبيوس لم يكن مرغوباً فيه خوفاً من غضب قيصر، ولذلك رفضت سلطات ميناء فيكوس Phycus (زاوية الحمامة) استقبالهم، ففضل كاتو اللجوء إلى باليوروس Paliuros (التميمي) بالقرب من طبرق عن مهاجمة ميناء فيكوس بالقوة، وقد أقام أنصار بومبيوس على شاطئ كورينايكا إكليلاً ضخماً من نبات العليق تكريماً له بعد وفاته، ثم جمع كاتو رجاله والتجأ إلى أحد المرتفعات، ولم تبد كوريني استعدادها لاستقبالهم، ولم تبدِ ترحيباً بهم إلا بعد وصول قائدهم كاتو إلى كوريني[2]، وكان كاتو يريد الانضمام إلى أنصار بومبيوس في إفريقيا الذين كان يساندهم ملك نوميديا جوبا، ولكنه فشل في محاولة الوصول إليهم عن طريق البحر، نظراً لهبوب عاصفة ألقت بسفنه على شاطئ يوسبيريدس، وبدأ كاتو في الاستعداد للوصول إليهم براً مستغلاً الظروف الجوية المناسبة التي تسود فصل الشتاء دافعاً برجاله إلى القيام بمهمة صعبة[3].

ويذكر بلوتارخوس[4] إن كاتو استعان بأدلاء من الليبيين لإنقاذ رجاله من لدغ الثعابين وإرشادهم في مسيرتهم وتزويدهم بالدواب لحمل معداتهم ولم تكن الجمال متوفرة فيما يبدو في ليبيا في ذلك الوقت أو قد عُرفت على نطاق ضيق[5].

وقد أورد لوكانوس[6] أن الرومان زاروا معبد الإله آمون في خليج سرت الكبير، متعرضين في هذه الزيارة لأحداث أليمة، وقد سلك كاتو ومن معه نفس الطريق الذي سلكه القائد البطلمي أوفيلاس كما ذُكر سابقاً وأرتحل دائراً حول خليج سرت براً، وذكر سترابو[7] إن الرحلة تمت خلال شهر، بينما يذكر لوكانوس[8] إنها تمت في شهرين، ويبدو للمير أن ما ذكره لوكانوس هو الأقرب للصواب، لأن المسافة بين يوسبيريدس ولبتس ماجنا حوالي 900كم، كما أن كاتو توقف مع رجاله بقية الشتاء طلباً للراحة قبل استئناف مسيرته إلى قرطاج[9].

---

[1] ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

[2] علي، المرجع السابق، ص 256.

[3] المير، قورينا في العصر الروماني، ص 78.

[4] ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

[5] Plut., Mor. , 255 – 257 , L.C.L, 56 .

[6] Lucanus, IX, 39.

[7] Str.,Geog., XVII, 3,20.

[8] Lucanus, IX, 39.

[9] المير، المرجع السابق، ص 40.

٣+

الصراع بين الفينيقيين والإغريق والرومان والقبائل الليبية

- المبحث الأول : مجيء الفينيقيين والإغريق للمنطقة
- المبحث الثاني : الصراع بين الفينيقيين والإغريق
- المبحث الثالث : مجيء الرومان للمنطقة وموقف القبائل الليبية منهم

المبحث الأول
مجيء الفينيقيين والإغريق للمنطقة

الفينيقيون اسم أطلقه الإغريق على شعب سامي من ضمن الشعوب الكنعانية (سكان الساحل السوري في شرق البحر المتوسط)، وقد فسر بعض المؤرخين كلمة فينيقي بأنها تعني اللون الأرجواني[1]، وذلك راجع لاهتمام هذا الشعب بصناعة الأقمشة المصبوغة باللون الأرجواني التي تستخلص مادته من محارات بحرية، وقد ذكر هذه التسمية (الفينيقيين) الشاعر الإغريقي هوميروس عندما وصف الفينيقيين بالمهارة في الصناعات اليدوية وركوب البحر والتجارة[2].

وقد ارتاد الفينيقيون البحر منذ القدم، حيث ذاع صيت الصوريين والصيدويين بسرعة تجاراً مهرة في العالم القديم، لتمكنهم من فرض أنفسهم على منافسيهم من العبرانيين[3]، ويُعد الدافع الاقتصادي هو الدافع الرئيسي للتوسع الفينيقي في الحوض الغربي للبحر المتوسط[4]، ساعدته بعض العوامل والظروف السياسية[5]، ويعتبر الفينيقيون من أول الشعوب التي عرفتها المنطقة الغربية من ليبيا، إذ بدأت سفنهم تتجه إلى الشواطئ الليبية منذ الألف الأول قبل الميلاد، نظراً لوقوعها في طريق رحلاتهم المتجهة إلى أسبانيا مصدر المعادن في العصور القديمة[6]، فقد اضطروا في مناسبات عديدة إلى اللجوء لنقاط مختلفة على الساحل الليبي، احتماء من عاصفة أو طلباً للماء والغذاء أو من أجل الاستراحة، وإصلاح الأعطاب التي تحدث لمركباتهم[7].

وعندما أدرك الفينيقيون الأهمية الاقتصادية للساحل الليبي شرعوا في تأسيس مراكزهم التجارية[8]، حيث كانوا بحاجة إلى إقامتها كل ثلاثين ميلاً[9]أو أربعين ميلاً تقريباً (أي مسيرة نهار كامل) تحول بعضها فيما بعد إلى مستوطنات[10]، فاختاروا مواقع مهمة على الساحل أنشأوا فيها تلك المراكز التي عُرفت باسم إمبوريا (Emporia) والتي اكتسبت أهمية كبرى وشهرة

---

(1) حتى، فيليب، تاريخ سوريا ولبنان، ج1، (ترجمة: جورج حداد وآخر)، بيروت، دار الثقافة، ط2 1958، ص 87؛ المدني، أحمد توفيق، "الفينيقيون" مجلة اللسان العربي، ع3، الرباط، المكتب الدائم لتنسيق التعربة، 1965، ص 129.

(2) الميار، المرجع السابق، ص 95.

(3) رفعت، محمد، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، القاهرة، ط1 1950، ص 19.

(4) ينظر : الخريطة رقم (4).

(5) ديكيريه، فرنسوا، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، (ترجمة: عز الدين أحمد عزو) القاهرة، دار الأهالي للطباعة والنشر، ط1 1996، ص 66 .

(6) أنديشه، المرجع السابق، ص 33.

(7) أبوشناقي، منير، المدن القديمة في الجزائر، الجزائر، وزراة الإعلام والثقافة، ط1 1982 ، ص 14 .

(8) أنديشه، المرجع السابق، ص 33.

(9) مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم، ج 9 (المغرب القديم) الإسكندرية، دار المعرفة العربية للكتاب، ط1 1978، ص 10 .

(10) الميار، المرجع السابق، ص 119.

عظيمة[1]، نتيجة للتبادل التجاري النشيط، وقد دفعتهم إلى ذلك عدة عوامل في مقدمتها تعرض بلادهم للحصار والنزاعات من قبل الاشوريين، والصراعات الداخلية، إضافة للمطامع الاقتصادية التي شجعتهم للبحث عن موارد مالية، تجارية وزراعية وصناعية، وفتح أسواق جديدة أمام تجارتهم ومنتجاتهم الصناعية[2]، ولاحظوا أن تلك المراكز ينتهي إليها أهم طرق القوافل التجارية التي تعبر الصحراء الكبرى جنوباً إلى فزان ومنها إلى أواسط أفريقيا، حيث تعود محملة بالذهب والعاج والعبيد بعد أن تكون قد أفرغت شحنتها من المنسوجات والأدوات، وفوق ذلك كله فإنها وجدت أن مواقع تلك المراكز تقوم حيث ينتهي بعض الأودية مما ساعد على تزويدها بالمياه في فصل الشتاء وخزنها في خزانات أُعدت لذلك الغرض، ومن أهم هذه المراكز التجارية: كاراكس، وماكوماديس (سرت) وزوخيس وغيرها من المراكز سيأتي الحديث عنها في الفصل الخامس، وفي ثلاثة أماكن من الساحل الطرابلسي أسس الفينيقيون مدناً فينيقية كبيرة ذات نسبة عالية من السكان الفينيقيين، واختاروا أماكن ذات مزايا مختلفة، ويُرجح تاريخ تأسيسها في الغالب إلى أواخر القرن الخامس قبل الميلاد، وأطلقوا عليها إقليم المدن الثلاث[3].

وإذا كانت المدن الخمس[4] (Pentapolis) قد ارتبط تاريخها بهجرة الإغريق إلى الساحل الشرقي من ليبيا، فإن إنشاء المدن الثلاث قد أرتبط بنشاط الفينيقيين في حوض البحر المتوسط، غير أن الفينيقيين كانوا في عملهم هذا أسبق من الإغريق، كما أنهم لم يحاولوا أن يتخذوا من هذه المدن وطناً لهم[5]، بل اقتصروا على اتخاذهم محطات رئيسية لسفنهم، وأسواقاً لمبادلاتهم التجارية، وهم بذلك يختلفون من هذه الناحية أيضاً عن الإغريق من حيث الغرض الاستعماري، لذلك كان الأثر الإغريقي أكثر وضوحاً من الأثر الفينيقي، ومازالت بقاياه من السهل ملاحظاتها أم الأثر الفينيقي فقد أندثر بزوال السيادة الفينيقية[6].

وكانت مدينة لبتس ماجنا أهم المراكز التجارية التي أسسها الفينيقيون على الساحل الليبي، ويذكر سيليوس[7] أن مستوطنين من مدينة صور قد أسسوا مدينتي لبتس ماجنا صبراته

---

[1] أنديشة، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية، سرت، منشورات جامعة التحدي، ط1 2008، ص 7 .

[2] أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، المرجع السابق، ص 34.

[3] راي، أدوارد، المغرب العربي في القرن التاسع عشر (لبدة، طرابلس، القيروان، في عام 1877) (ترجمة : مصطفى محمد جودة) طرابلس، دار مكتبة الفكر، ط1 1968، ص 25.

[4] هي المدن التي أسسها اليونانيون في تواريخ مختلفة في إقليم كورينايكا وتشمل : كوريني (شحات) برقة (المرج) بيرينيكي (بنغازي) توخيرا (توكرة) أبوللونيا (سوسة)، للمزيد ينظر: البرغوثي، المرجع السابق ص ص 253 – 265.

[5] غوتيه، أ.ف، ماضي شمال إفريقيا، (ترجمة: هاشم الحسيني) طرابلس، دار الفرجاني، ط1 1970م، ص 90 .

[6] محمود، المرجع السابق، ص 73.

[7] Sili., Ital. , pun., III, 256

ومع ذلك يشير سالوست[1] أن المؤسسين كانوا من أهل صيدا الذين قرروا ترك أوطانهم بسبب نزاع داخلي وقدموا إلى المنطقة بين خليجي سرت الكبير والصغير.

ويرى باحثون معاصرون أن مدينة لبتس ماجنا قد استوطنوها مهاجرون من مدينة صور، وليس من مدينة صيدا، وهم الذين أسسوها[2]، غير أن اختلاف المؤرخين القدامى فيما بين مدينتي صور وصيدا لا يشكل مشكلة كبيرة في معرفة الحقيقة، لأن هؤلاء يطلقون أحياناً على الفينيقيين (صوريين) وأحياناً (صيدويين) ولا يعتبر هذا الاختلاف بمثابة استيطان مزدوج لمدينة لبتس ماجنا من قبل الصوريين و الصيدويين ، غير أن الوثائق تثبت أن مدينة صور هي المؤسسة لمدينة لبتس ماجنا، وعُثر على نقش في مدينة صور يشير إلى ذلك[3].

أما عن الزمن الذي تأسست فيه المدينة فهو غير محدد، إذ ربما لم تُستوطن بصفة دائمة قبل أواخر القرن السادس بالنظر إلى ما ذكره هيرودوتس من أن القرطاجيين والماكاي قد طردوا دوريوس من منطقة نهر كينوبس، ولم يذكر هيرودوتس مدينة لبتس ماجنا في حديثه، وهذا يعني أحد أمرين : إما أن المدينة في ذلك الوقت كانت صغيرة وغير ذات أهمية عند دوريوس ولم تساهم في ذلك، أو أن المدينة لم تتأسس بعد، ومع ذلك فإن هذا الرأي الأخير يستند إلى بعض المكتشفات الأثرية التي عُثر عليها في المدينة والتي تؤرخ بعام 500 ق.م[4].

وقد كانت مدينة لبتس ماجنا بمثابة المركز الدفاعي والإداري لمحطات خليج سرت القريبة منها[5].

وتعتبر مدينة صبراته من المراكز الفينيقية المهمة بين خليجي سرت الكبير والصغير، ولقد قام بتأسيسها مهاجرون من صور، أما عن تاريخ تأسيسها فهو غير معروف على وجه التحديد، إذ لم تذكرها المصادر القديمة قبل أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، ولكن من خلال المكتشفات الأثرية ربما أُنشئت في القرن السادس أو قبله بقليل[6].

أما مدينة أويا فهي ثالث مدن الساحل الليبي الهامة إذ شكلت ميناءاً بحرياً يربط بين لبتس ماجنا وهابروتونوم، ولا يعرف تاريخ تأسيسها بالتحديد، ويرجح بأنها ليست أقدم من القرن الخامس ق.م[7]، ويذكر سيليوس[1] إنها أُنشئت من قبل مهاجرين من صقلية (ينتمون إلى من

---

[1] Sall.,Bell.,Jug.,78.L.C.L.

[2] الميار، المرجع السابق، ص ص 110-112.

[3] نفسه، ص 114.

[4] أنديشه، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، المرجع السابق، ص ص 34-35.

[5] Plin.,Nat.,Hist.,V.76.

[6] أنديشه، المرجع السابق، ص 35.

[7] أنديشه، المرجع السابق، ص ص 35-36.

أصل فينيقي ربما من صيدا) واختلطوا بالسكان الإفريقيين، ويرجح بعض الباحثين اشتراك الليبيين في تأسيس المدينة، وربما يكون هذا صحيحاً اعتماداً على قول سيليوس : إن المؤسسين قد اختلطوا بالإفريقيين.

وكانت جميع تلك المواقع في بدايتها عبارة عن مراكز تجارية تطور بعضها إلى مدن تمتلك العديد من المقومات الاقتصادية، وكانت ولا شك مرافئ جيدة على شاطئ يمتاز بالقسوة آنذاك[2].

أما قرطاجة فقد كانت أكبر المدن الفينيقية على ساحل شمال أفريقيا، نشأت فيما بين 814 / 813 ق.م تقريباً، فكانت منذ بداية القرن السادس قبل الميلاد على درجة كبيرة من الاستعداد والقوة، لتخلف المدن الأم في فينيقيا التي اضمحلت بسبب ضربات الأشوريين القاسية[3]، بالإضافة إلى المنافسة التجارية الإغريقية في الحوض الغربي للبحر المتوسط[4].

وقد استغلت قرطاجة المطامع الإغريقية في السيطرة على غربي البحر المتوسط ونصبت من نفسها حامية للمستعمرات الفينيقية في هذه المنطقة[5]، وعن طريق احتكار التجارة، وبناء أسطول قوي للمحافظة على أملاكها استطاعت أن تكون سيدة الحوض الغربي للبحر المتوسط وامتدت أملاكها من خليج سرت الكبير حتى المحيط الأطلسي[6].

وفي حوالي النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد وصل الإغريق المهاجرون من جزيرة ثيرا إلى السواحل الشرقية في منطقة الجبل الأخضر[7]، ولم تكن هذه المنطقة تابعة لأي قوة سياسية منظمة، علاوة على موقعها الممتاز وقربها من الموطن الأصلي لهم[8].

---

(1) Sili., Ital. , pun., III, 256-257.

(2) أنديشه، المرجع السابق، ص 36.

(3) Hamond, op. cit., p. 194.

(4) الناضوري، رشيد، المغرب الكبير، ج1 (العصور القديمة) بيروت، دار النهضة العربية، ط1 ، 1981، ص 172 .

(5) عمورة، على الميلودي، ليبيا تطور المدن والتخطيط الحضري، بيروت، دار الملتقى للطباعة والنشر، ط1 1981، ص 42 .

(6) بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، (ترجمة: عبد الهادي بولقمة) بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط2 1988، ص 53 .

(7) فارس، محمد مصطفى، " الحياة الثقافية في ليبيا القديمة"، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ع2 1984، ص 414 .

(8) محمود، المرجع السابق، ص 55.

فقد رأوا أن تأسيس مستعمرة لهم في تلك المنطقة سيساعدهم على حل الأزمة السكانية الإغريقية من جهة[1]، وسيعمل أيضاً على قطع الاتصال المباشر بين قرطاجة وشرق البحر المتوسط بما فيها صور وصيدا، كما سيؤدي إلى إضعافها وفتح المجال أمامهم خصوصاً في مناطق التنافس التجاري وغيره في صقلية وجنوب إيطاليا وشواطئ أسبانيا وفرنسا الجنوبية وجزر البحر المتوسط، وسيتضح هذا في مواقف الصراع بين الطرفين[2]، لذلك ركز الإغريق اهتمامهم على وجوب احتلال هذا الجزء من الساحل الإفريقي الشمالي[3]، فنزلوا في البداية في خليج بمبه وأقاموا مدة سنتين على إحدى جزره المسماة بلاتيا، ثم انتقلوا إلى البر المقابل لهذه الجزيرة في موقع يسمى أزيريس (التميمي) [4]، وبعد ست سنوات قادهم الليبيون إلى موقع كوريني عام 631 ق.م ثم توسعوا في إنشاء المدن الخمس ومدن أخرى، ثم اتجهوا من الجبل الأخضر غرباً متتبعين سواحل خليج سرت الكبير إلى أن التقوا بالفينيقيين[5].

---

[1] في عهد الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية كثر عدد الإغريق في مصر متشجعين على ذلك بما وجدوه من كرم الضيافة وحسن اللقاء، فأنشأوا مستعمرات كانت لهم فيها جاليات احتفظت بروحها الإغريقية بجانب احتفاظها بمزاولة التجارة، غير أن هذه السياسة الودية التي بدت على ملوك مصر وعلى رأسهم الملك أماسيس سرعان ما أصابها شئ من التوتر على أثر كثرة الوافدين من الإغريق، فمنعت مصر قبول هجرات منهم، فلم يجدوا بداً من محاولة النزوح إلى شمال إفريقيا. للمزيد ينظر : محمود، ، المرجع السابق، ص 55 .

[2] الجراري، محمد الطاهر، "الغاية من تأسيس قورينا"، مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ص ص 1 – 2 .

[3] محمود، المرجع السابق، ص 56.

[4] الأثرم، رجب عبد الحميد، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط 3 1998م، ص 133 .

[5] فارس، محمد مصطفى، العلاقات بين الليبيين واليونان في إقليم قورينائية على ضوء ما ورد عند هيرودوتس، مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ع2 ، ط1 1985، ص ص 75 – 76.

المبحث الثاني
الصراع بين الفينيقيين والإغريق

ما يفهم من المراجع والمصادر الأدبية هو أن التنافس والصراع كان شديداً بين الفينيقيين في غرب خليج سرت والإغريق في شرقه، كان هذا الصراع يؤدي إلى أن تتزحزح الحدود غرباً أو شرقاً بحسب قوة أحد الطرفين، ومن الشواهد على هذا الصراع قصة طرد الإغريق من موقع نهر كينوبس، وقصة الأخوين فيلايني، وبالنسبة للقصة الأولى فتشير إلى أن (دوريوس) ابن ملك اسبرطة (الكسندريدراس) من زوجته الأولى كان له شقيق من زوجة أبيه الثانية يُدعى (قليئومينيس) ولما انتقل المُلك إلى شقيقه هذا أنف من أن يعيش تحت حكم أخيه فطلب السماح له بتأسيس مستعمرة، ووافقت حكومة إسبرطة على ذلك وجهزته بما يلزم[1]، فذهب إلى ليبيا ونزل عند مصب نهر كينوبس سنة 520/517 ق.م[2] أي في منطقة تحت نفوذ قرطاجة، وبعد ثلاث سنوات من تأسيسها تمكن القرطاجيون من طرده وتدمير مدينته بمساعدة قبيلة الماكاي الليبية[3].

ولا يعرف على وجه التحديد كيف تمكن دوريوس من تأسيس مدينته دون معارضة من القبائل الليبية أو من القرطاجيين، ويبدو أن الإغريق قد تفاهموا مع الفينيقيين الذين سبقوهم إلى المنطقة ومع القبائل الليبية، أما قرطاجة فربما لم تعير الأمر اهتماماً كبيراً في بدايته ولكنها أدركت في نهاية الأمر خطورة تسرب العناصر الإغريقية إلى هذه المنطقة التي تعتبرها من المناطق التابعة لنفوذها ولذلك بادرت بالقضاء عليها[4].

ويبدو أن القرطاجيين بعد تدمير المستعمرة الإغريقية في هذه المنطقة كانوا قد اتخذوا كافة التدابير الكفيلة لمنع أية محاولة أخرى للاستيطان الإغريقي على هذه الشواطئ، وكذلك الوقوف في وجه إغريق كورينائية وعدم السماح لهم بالتوسع غربي خليج سرت الكبير[5].

أما بالنسبة للقصة الثانية فقد ذكر سالوست أن تعيين الحدود تم بوساطة رياضيين لا سياسيين ، تقول تلك القصة أن الجانبين الفينيقي– القرطاجي والإغريقي الكوريني بعد أن أبليا في سلسلة من المعارك غير الحاسمة لغرض سيطرتهم على الأرض الواسعة الممتدة بينهما، والتي لم تكن تتبع أي سلطة معترف بها سئما الحرب واتفقا على أن ينطلق كلٍ منهما من مدينته في وقت معين ممثل لها سيراً على الأقدام وفي اتجاه المدينة الأخرى، على أن تكون نقطة التقاء

---

[1] عياد، محمد كامل، تاريخ اليونان، ج1، دمشق، دار الفكر، 1980م ، ص 357 .

[2] اختلفت المراجع في تحديد تاريخ هذه الحملة، إذ أن البعض يحددها بعام 520 ق.م، ويحددها البعض الآخر بعام 517 ق.م، ولكن الرأي الغالب والذي أميل إليه، أن الحملة وقعت في عام 514 ق.م ، أنديشه، المرجع السابق، ص 37.

[3] الميار، عبد الحفيظ فضيل، دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا، طرابلس، منشورات جامعة الفاتح، ط1 2005، ص 31 .

[4] أنديشه، المرجع السابق، ص 38.

[5] Romanelli, p., Lacirenaica Roman, Verbania, 1943, P. 6.

الفريقين هي الحد الفاصل بين الطرفين، وجدّا الأخوان فيلايني السير فقطعا ثلثي المسافة بين قرطاجة وكوريني حتى التقيا بفريق كوريني، وحاول الإغريق التنصل من الاتفاق باتهام الأخوين فيلايني بأنهما بدءا مسيرتهما قبل الوقت المعين، وبأنهما كانا يجريان جرياً وليس مشياً، ولكن الأخوين فيلايني اعلنا استعدادهما لإعادة التجربة من جديد، وهنا أعلن الفريق الكوريني أنه لن يعبر الحدود عند تلك النقطة إلا إذا قبل الأخوان فيلايني أن يدفنا حيين حيث كانا يقفان، وإلا فإن على قرطاجة أن تسمح لممثلي كوريني بالتقدم إلى المكان الذي ترضى به كوريني حداً بين المدينتين[1].

وأمام هذا التحدي أعلن الأخوان فيلايني موافقتهما على أن يدفنا حيين، وقد عرف المكان بعد ذلك باسم أراي فيلاينوروم (Philaenorum) نسبة للنصب التذكارية التي أقامها القرطاجيون فوق قبري البطلين[2]، وأقيم مؤخراً في هذا المكان تذكاراً للحادثة يمثل البطلين وهما مضجعان على هيأة تمثالين[3] أحدهما يواجه الشرق والآخر يواجه الغرب[4].

وقد شيد الإيطاليون أثناء احتلالهم لليبيا نُصباً سمي القوس الرخامي[5]، وقد أزيل هذا القوس عام 1973م[6].

ومن المرجح أن يكون لهذه القصة حظاً كبيراً من الأسطورة، كما أنها لا تخلو من جوانب يمكن تصديقها أو اعتمادها أيضاً، فمن المعروف أن القدماء كانوا إذا أجبروا في الحروب الطويلة المستنزفة للقدرات الاقتصادية والبشرية وكانوا يختارون حكماء من الطرفين المتصارعين للفصل في المنازعات حقناً للدماء وإحلالاً للسلام، وعلى هذا الشكل تكون القصة قابلة للتصديق[7].

كما أن تضحية الأخوين فيلايني بتبرعهما بدفن نفسيهما أمر مقبول أيضاً، لأن التضحية بالنفس وبذل الروح البشرية عادة معروفة عند القرطاجيين الذين كانوا يقدمونها لاسترضاء الآلهة[8] ومن المحتمل أن يكون دفن البشر أيضاً عادة ليبية الأصل[9].

---

(1) Sall.,Bel.,Jug.,79.

(2) Idem.

(3) ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (7).

(4) محمود، المرجع السابق، ص 78.

(5) ينظر : ملحق الصور، صورة رقم (8).

(6) Goodchild,LS.,P.262.

(7) Thrige,J.P., Res Cyrenesium, Airoldi,Editore, Verbania, Italy, 1940, P . 40 .

(8) ديكيريه، المرجع السابق، ص 146.

(9) Thrige,op.cit.,p.49.

لكن بعض الباحثين يرى أن القصة كانت من تأليف الإغريق أنفسهم ليفسروا بها عجزهم عن منع قرطاجة من السيطرة على الجزء الأكبر من خليج سرت، وربما كان البحارة هم السبب في نشر هذه الرواية فكانوا عند مرورهم بالساحل يهتدون بمرتفعين يقعان على رأس عالي إلى الشرق من مذبح الأخوين فيلايني[1].

وقد حدد سترابو[2]منطقة الحدود بالقلعة بالقرب من مذبح الأخوين فيلايني وتحدث عنها بلينيوس[3]مشيراً إلى بعض الأماكن الواقعة بين المنطقتين[4] قبل رأس بوريوم (رأس تايونس)

وقد أشار سكولاكس[5] أيضاً إلى الحدود الفاصلة بين الطرفين عند حديثه عن خليج سرت الكبير، واعتبر أن أراضي شعب الماكاي تقع في تلك المنطقة.

ومع أن مذبح الأخوين فيلايني الذي أصبح يمثل الحدود بين كوريني والمدن الثلاث لم يحدد بدقة، إلا أن بعض الباحثين رجح أنه ليس بعيد عن مقاطع الكبريت[6].

وكانت الحدود بين كوريني وقرطاجة قد حُددت بطريقة سلمية في منتصف القرن الرابع قبل الميلاد عندما كانت قرطاجة تسعى إلى مهادنة الإغريق أينما كانوا، وذلك في سبيل التفرغ إلى فتح إقليم جزيرة صقلية، الذي يعد ذا أهمية أكبر من إقليم المدن الثلاث بالنسبة لها[7].

وبعد هذه الأحداث شددت قرطاجة من قبضتها على منطقة المدن الثلاث، وعملت على الحيلولة دون تسرب النفوذ الإغريقي إلى المنطقة، كما منعت الرومان من ممارسة نشاطهم التجاري إلا تحت إشراف حكومة قرطاجة وشروطها[8]، رغبة منها في السيطرة على تجارة المدن الثلاث مع وسط أفريقيا، فسعت إلى عدم السماح بوجود أي منافس تجاري لها في أفريقيا[9].

ومن المهم أن يُعرف أن الصراع الإغريقي القرطاجي هو بمثابة نتيجة طبيعية لعاملين رئيسيين :

---

[1] جودتشايلد، قورينا وأبولونيا، (ترجمة: الإدارة العامة للآثار الليبية)، طرابلس، إدارة البحوث الأثرية، 1970م، ص ص 27 –28.

[2] Str.,Geog.,XVII.20.

[3] Plin.,Nat.,Hist.,V.28.

[4] المقصود بالمنطقتين هما منطقة النفوذ الإغريقي ومنطقة النفوذ القرطاجي ولذلك فإن هذا الصراع وهذه الحدود الفاصلة لا تخص القبائل الليبية ولم يتدخل الليبيون في هذا الصراع الذي دار بين الجانبين على اقتسام البلاد، للمزيد ينظر: أنديشه، التاريخ السياسي والاقتصادي، ص 16.

[5] Scyl.,G.G.M.,I.108.

[6] أنديشه، المرجع السابق، ص 17.

[7] البرغوثي، المرجع السابق، ص 308.

[8] Gerham, A., Roman Africa , Press Freeport, New, P.68. ; Merighia , La Tripolitania Antica, Vol, I, 1940, P.22 .

[9] أنديشه، المرجع السابق، ص 39.

الأول: هو السيطرة القرطاجية على ثلث الحوض الغربي للبحر المتوسط، واعتباره مجالاً حيوياً اقتصادياً مهماً بالنسبة للدولة لها.

الثاني : فهو التوسع الإستيطاني الإغريقي في غرب البحر المتوسط والذي ابتدأ في النصف الثاني من القرن الثامن قبل الميلاد، ووصل إلى أقصاه في النصف الأول من القرن السادس قبل الميلاد، فانتشرت المدن الإغريقية عبر هذه الفترة على شواطئ القسم الجنوبي من جزيرة صقلية باستثناء شواطئها الغربية.

وبما أن الإستيطان الإغريقي قد اكتسب الصفة السياسية والاقتصادية كما هو الحال عند القرطاجيين، فقد كان لا بد من حدوث الصدام بينهما، ووقوع حروب طويلة ودامية[1].

[1] يحي، لطفي عبد الوهاب، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1 (د – ت) ص ص 152 – 153

المبحث الثالث
مجيء الرومان إلى المنطقة وموقف القبائل الليبية منهم

بتزايد الأطماع الاستعمارية وإصرار كل دولة على تأسيس أكبر عدد ممكن من المستوطنات بنوعيها التجارية والزراعية، تحول الصراع التجاري الذي شهده البحر المتوسط بين القرطاجيين والإغريق ثم الرومان إلى صراع استعماري، وأصبحت كل قوة تسعى إلى بسط سيطرتها على المناطق التي بحوزة الأخرى، وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا الصراع إلى اصطدام عسكري، حيث يلاحظ المتتبع للتطورات المصاحبة لهذا الاستعمار تلك التغيرات التي طرأت على الأهداف التي حددت لها، ففي البداية كان الهدف الرئيسي البحث عن المناطق التي تزخر بالثروات المعدنية والزراعية والأسواق التجارية، وهذا ما يفسر ظهور المحطات التجارية، لكن سرعان ما تولدت رغبة الاستيطان بهذه المحطات التجارية، وبالأماكن القريبة من مناجم الفضة والنحاس وبالأراضي الزراعية، مما دفع العناصر الفينيقية إلى الهجرة من موطنها الأصلي تحت ضغط الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة إلى هذه المحطات والاستقرار فيها، وبالتالي تحولت هذه المحطات إلى مستوطنات بقيت فترة طويلة مرتبطة بالمدينة الأم، وحاول الإغريق والفينيقيون المحافظة على التوازن الذي أوجده التقسيم السياسي للمستوطنات لكن الأمور لم تظل على حالها بعد ضعف الملاحة البحرية الفينيقية، والتراجع الكبير الذي عرفته الملاحة البحرية الإغريقية، هذا في الوقت الذي أصبحت فيه قرطاجة دولة قوية تتزعم السيادة الاقتصادية والسياسية بالبحر المتوسط، ومن جهة أخرى روما التي أصبحت بدورها تسعى إلى فرض سيطرتها على هذا البحر[1].

سبقت الإشارة إلى أن قرطاجة ذهبت إلى حد مهادنة إغريق كورينه، والتساهل في إقرار الحدود بينها وبينهم في القرن الخامس ق.م لتتمكن من التفرغ لحرب إغريق صقلية، والسيطرة على هذه الجزيرة المهمة، فاستولت قواتها على مسينا المتحكمة في المضيق المسمى باسمها سنة 264 ق.م ، ولما كان الرومان في هذه المرحلة التاريخية قد أصبحوا قوة نامية بدأت تحل محل الإغريق في المرحلة الأولى من تكوين الدولة الرومانية، فإنهم لم يرضوا على احتلال قرطاجة لمسينا بل عملوا على مكافحة ذلك الاحتلال بوصفهم حماة للإغريق والحضارة الإغريقية، وإن كان ذلك مجرد ستار لنواياهم التوسعية من جهة، ولدفع الخطر القرطاجي عن أبوابهم من جهة أخرى، فكان هذا إيذاناً ببدء الحرب البونية الأولى بين روما وقرطاجة[2]،

---

[1] المنصوري، خديجة، "الصلات البحرية في حوض البحر المتوسط" ، في مجلة البحوث التاريخية، ع2، يوليو 2003، ص201.

[2] نفسه.

واستمرت تلك الحرب طيلة ثلاث وعشرين سنة (264 – 241 ق.م)، وانتهت بخروج قرطاجة من صقلية[1].

ثم بدأت الحرب البونية الثانية (218 – 202ق.م)، وعلى الرغم من أن القائد القرطاجي هانيبال قد تمكن من غزو إيطاليا ودحر الرومان إلا أنه أضطر أخيراً إلى طلب الصلح، وذلك عندما سمع بأن الرومان قد أرسلوا قواتهم إلى شواطئ أفريقيا بحملة يترأسها سكيبيو أفريكانوس Scipio Africanus[2]، وفي أثناء هذه الحرب ثارت بعض القبائل بقيادة ماسينيسا[3] الزعيم النوميدي الذي أعلن إنشاء مملكة نوميدية مستقلة، وقد اعترفت روما بهذه المملكة لإضعاف شوكة القرطاجيين، واضطرت قرطاجة إلى قبول الأمر الواقع، ولكن ماسينيسا لم يقتنع بهذا النصر، فسير جيشاً لضم المستوطنات الفينيقية على الساحل الطرابلسي إلى مملكته، وبعد حروب دامت أكثر من اثنتي عشرة سنة تمكن من ضم سائر الأقاليم الطرابلسية إلى ملكه[4].

وفي سنة 150 ق.م استفز ماسينيسا قرطاجة حتى اضطرها لمهاجمته بجيش غير نظامي استطاع أن يقضي عليه بسهولة، واستغلت روما فرصة نقض قرطاجة للمعاهدة بمهاجمة ماسينيسا دون إذن مسبق من روما فقامت القوات الرومانية بمهاجمة قرطاجة في حرب ثالثة جديدة هي الحرب البونية الثالثة التي استمرت لمدة ثلاث سنوات من 149 ق.م إلى سنة 146 ق.م وانتهت بمأساة زوال قرطاجة من عالم الوجود وتسويتها بالأرض[5].

وبانتهاء قرطاجة وزوالها من عالم الوجود انتقلت سيادة شمال أفريقيا إلى قبائل النوميديين وملكهم ماسينيسا الذي امتدت أملاكه من ماكوماديس شرقاً حتى الجزائر غرباً .

وإذا كانت مملكة نوميديا قد نجحت في ضم جميع القبائل الليبية الساكنة غربي ماكوماديس تحت سلطانها، فقد ظلت القبائل الموجودة بالصحراء مستقلة عنها وكانت أقوى هذه القبائل هي الجرامنتس[6].

وكما زالت قرطاجة من عالم الوجود فقد عمل الرومان على إزالة المملكة النوميدية أيضاً، واستعملوا لذلك نفس الأساليب التي سبق وأن استعملوها ضد قرطاجة، إذ أخذوا يثيرون الفتنة والبغضاء بين أفراد الأسرة المالكة، كما أنهم أخذوا يؤلبون القبائل الليبية الأخرى على

---

[1] Str.,Geog.,XVII.3.15.

[2] ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة.

[3] كان ماسينيسا يجمع إلى جانب موهبته القتالية حنكة سياسية كبيرة استطاع بها أن يكوّن دولة في أعقاب الحرب البونية الثانية، وأن يهتم بالزراعة والتجارة، وينشر الثقافة في ربوع تلك الدولة، وكان يتطلع لقيام دولة تشمل ما يعرف اليوم بالجزائر وتونس والمدن الثلاث، وأن تصبح قرطاجة عاصمة لها، للمزيد ينظر: أنديشه، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، ص ص 43 – 47.

[4] Str., Geog., viii. 173 . 183 .

[5] Soames, J., The Coast of Barbary, First Published , London , 1938, P. 22 .

[6] أيوب، "جرمة في عصر ازدهارها الذهبي"، مجلد ليبيا في التاريخ، بيروت، دار المشرق، 1968، ص 157 .

نوميديا، ونجحوا في نهاية الأمر من تدمير هذه المملكة التي كان لها الفضل في انتصار الرومان على قرطاجة[1].

وفي عام 111 ق.م نشبت ثورة داخلية في المملكة تدخلت روما على أثرها، وأحتل جنودها المدن الثلاث لأول مرة، إلا أنه لم يتم ضمها إلى الإمبراطورية الرومانية إلا بعد خمسة وستين عاماً في عهد يوليوس قيصر، وذلك عندما قامت الحرب الأهلية بين بومبي وقيصر، وكان جوبا الأول ملك نوميديا في جانب بومبي، وساعده لينال الحكم في ولاية أفريقيا[2]، ولكن بومبي وحلفاؤه النوميديين هُزموا أمام قوات قيصر في معركة ثابسوس سنة 47 ق.م، فوضع قيصر يده على شمال أفريقيا وألغى استقلال نوميديا، وجعل من أملاكها ولاية واحدة سماها ولاية أفريقيا الجديدة[3] Africa Nova.

ولم يتأثر إقليم المدن الثلاث كثيراً بالحروب الأهلية التي أعقبت اغتيال قيصر عام 44 ق.م.

وعندما تولى الإمبراطور أغسطس (30 ق.م – 14 م) الحكم عمد عام 27 ق.م إلى توزيع حكم ولايات الإمبراطورية بينه وبين مجلس الشيوخ الروماني، وكان قد أعاد توحيد كورينايكا وجزيرة كريت في ولاية واحدة عهد بحكمها إلى مجلس الشيوخ، وفي الوقت نفسه ضم إقليم المدن الثلاث إلى ولاية أفريقيا التي عهد بإدارتها إلى مجلس الشيوخ الروماني[4]، ونظراً لامتداد حدود الولاية أرسل أغسطس الفرقة الأغسطية الثالثة المعروفة بجديتها العسكرية لتتولى الدفاع عن الحدود الجنوبية التي كانت عرضة للهجوم، لاسيما بعد سيطرة الرومان على مساحة واسعة من الأراضي الزراعية[5]، وكُلفت هذه الفرقة بمقاومة القبائل التي كانت تشن هجماتها على المدن الثلاث وكوريني وأهمها الجيتولي والجرامنتس والمارمارياداي وغيرها إلى العمق الصحراوي، وشل قدرتها على مهاجمة الرومان[6].

وعندما أصبح الرومان مسيطرين على المدن الثلاث أخذوا يتطلعون لبسط نفوذهم على المناطق الداخلية التي كانت علاقتهم معها محدودة في بداية الاحتلال[7]، إذ يقول سترابو[8] في

---

(1) أيوب، المرجع السابق، ص 158.

(2) محمود، المرجع السابق، ص ص 79–80.

(3) Plin., Nat. Hist., V. III. 25.

(5) Romanelli, p., op. cit., p. 50; Kraeling, Carl, ptolemais City of the Libyan Pentapolis, Chicago Oriental Institute publications , Vol, Xc, the Uni., of Chicago Press, 1962, p. 13 .

(5) Str.,Geog, XVII.3.25.

(6) Romanelli, p., op.cit., pp. 72 -73 .

(7) أنديشه، المرجع السابق، ص 65.

(8) Str., Geog.,II.5.

هذا الشأن : "أن العدد القليل من الجرامنت الذين يزورون المدن الثلاث كانوا حذرين عند الحديث عن بلادهم"، وهذا يوحي بمدى الخوف الذي كان يساور الجرامنتس وخشيتهم من الاحتلال الروماني، أو على الأقل خوفهم من أن يسيطر الرومان على أهم مصادر الحياة لديهم ألا وهي التجارة، وتسيير القوافل بين أواسط أفريقيا ومناطق البحر المتوسط[1].

وقد انتشرت مواطن تلك القبيلة في ذلك العصر من فزان إلى منطقة ملاصقة لخليج سرت، وجمعوا إلى جانب عملهم وسطاء في نقل السلع إلى الساحل امتهانهم للزراعة والرعي، فكانوا على غرار النسامونيس يقومون بهجرة موسمية من مناطقهم في الجنوب إلى المناطق المرتفعة الواقعة إلى الشمال من منطقتهم، حيث كان المكان المناسب لرعي ماشيتهم، وأراد الرومان أن يكونوا القوة الوحيدة في هذه المناطق التي ألف الجرامنتس التنقل فيها بحرية[2].

وأدت هذه السياسة من الرومان إلى ثورة هذه القبائل، تلك الثورة التي بدأتها قبائل الجيتولي وبادر الجرامنتس إلى مساعدتهم، وهذا في حد ذاته تحدٍ صارخ لروما[3]، فوجهت في الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد كورنيليوس بالبوس[4] (Cornelius Balbus) على رأس جيش روماني من منطقة المدن الثلاث غازياً الجنوب الليبي في أول حملة ضد الجرامنتس، أما أسباب الحملة فيصعب تحديدها بدقة، ولكن يمكن إرجاعها إلى عدة عوامل في مقدمتها تقدم جاراما، ونموها بحيث أصبحت تشكل قوة لا يستهان بها، وهذا بطبيعة الحال يتعارض مع مخططات الرومان وأهدافهم التوسعية في المنطقة، ومن بين الأسباب الأخرى محاولة الإمبراطور أغسطس شغل الجيوش الرومانية بعد الحرب الأهلية بأي فتوحات حتى تبهرهم الانتصارات العسكرية عن أي محاولة للاستيلاء على الحكم[5].

ويضيف بعض الباحثين أن من أسباب الحملة محاولة الجرامنتس مشاركة الرومان في السيطرة على المنطقة الساحلية، والوصول إلى مناطق الإنتاج في وسط القارة، ورغبتهم في مشاركة القبائل الليبية في المكاسب التي تعود عليها من التعامل التجاري مع أفريقيا، وليس أدل على ذلك من الحملات التجارية العسكرية التي قادها الرومان فيما بعد نحو الجنوب[6].

---

(1) أنديشه، المرجع السابق، ص 65.

(2) Bovill, op.cit., P.36.

(3) عبد العليم، المرجع السابق، ص 36.

(4) هو مواطن أسباني من أصل قرطاجي وابن غير شرعي لأحد الكهنة، وقد عمل في الجيش مع بومبي وقيصر وأغسطس، وحصل على حق المواطنة بعد انتصاره على الجرامنتس، أنديشه، المرجع السابق، هامش 7، ص 65 .

(5) نفسه.

(6) أنديشه، المرجع السابق، ص ص 65-66.

أما السبب المباشر للحرب فيؤكد الباحثون بأنه راجع لدعم الجرامنتس للقبائل الجيتولية عندما ثارت ضد الرومان الذين اعتبروا هذا الموقف من طرف الجرامنتس إهانة لهم، وتحدياً لسلطتهم مما أدى إلى نشوب الاحتكاك الأول بين الطرفين، وقد لا يكون هذا السبب الحقيقي للحرب كما سبق ذكره ولكنه المبرر الذي أتخذه الرومان لتنفيذ حملتهم ضد الجرامنتس[1].

انطلقت الحملة نحو الجنوب، وكان أول ما استولت عليه واحة كيداموس، حيث كانت مركزاً تجارياً للجرامنتس، ونظراً لأهميتها أعلن الرومان بأنها حليفة لهم[2]، ثم واصل بالبوس حملته إلى الجنوب الشرقي حتى وصل إلى جاراما ويبدو أن هجومهم قد أخذ الجرامنتس على حين غرة[3].

وتختلف المراجع في تحديد تاريخ هذه الحملة وإن كانت معظمها تتفق على سنة 19 ق.م تاريخاً لهذه الحملة، لأن بالبوس احتفل بانتصاره في 27 مارس عام 19 ق.م، وكان الأجنبي الوحيد الذي كُرم بهذا الاحتفال، ومع ذلك يؤرخ بعض الباحثين الحملة فيما بين (21 – 20 ق.م) [4].

وقد ذكر بلينيوس في نصه عن الحملة جميع القبائل والمدن والقرى التي يقول أن بالبوس استولى عليها وهي: " فزانيا ومدن اليلن وكليبا وكيداموس، وبعد هذه المدن تمتد الجبال السوداء من الشرق إلى الغرب، ثم تليها الصحراء، توجد بعدها مناطق الجرامنتس ومنها مدن تلغاي ودبريس التي توجد على مقربة منها نبع يتميز بالحرارة فترة من الوقت ثم يعود بارداً فترة أخرى، كما استولى بالبوس على جاراما عاصمة الجرامنتس الشهيرة" [5].

وبعد أن يذكر بلينيوس تلك الأسماء السابقة يقول: " إن كتّابنا سجلوا أسماء البلدان المذكورة سابقاً كأنما أخذها هو وذكروا بأنه حمل في موكب نصره إلى جانب كيداموس وجاراما أسماء وصور جميع الأجناس والمدن الباقية التي كانت على هذا النسق"[6].

يتضح من خلال ما ذكره بلينيوس في الفقرة السابقة أن الأسماء التي يذكرها بعد ذلك لم يتم فتحها فعلاً، وذكرت للتعظيم والمبالغة، أو أن الأسماء ما هي إلا شرح وتفصيل للمناطق والقبائل التابعة للمدن المذكورة[7].

---

(1) Bovill,op.cit.,P.31 FF.

(2) Haynes, D.E.L., Antiquities ,of Tripolitania Tripoli, 1965, P.36.

(3) عبد العليم، المرجع السابق، ص 86.

(4) أنديشه، المرجع السابق، ص 67.

(5) Plin.,Nat.,Hist., V. 5. 35 – 36.

(6) Idem.

(7) أنديشه، المرجع السابق، ص 68.

ثم يواصل بلينيوس ذكر أسماء المدن والشعوب التي حملها بالبوس في موكب نصره وهي " مدينة تابوديوم، قبيلة نيتيرس، مدينة ملجيس جميلة، قبيلة أو مدينة فيبابو، قبيلة انيبي، مدينة توبين، الجبل الأسود، المدينتان نتبروم ورابسا، شعب فسيرة، مدينة ديكري، مدينة نثابور، بلدة ثابساغوم، قبيلة تامياجي، مدينة بوين، مدينة برك، نهر داسيباري، سلسلة براكوم، بولوبة، الآسيت، غالسا، بالا، ماكسالا، كيزانيا، وجبل غيري الذي وُصف في نقش أنه موقع تُستخرج من الأحجار الكريمة "[1].

والأسماء الواردة في النص يصعب التحقق منها لعدم وجود مصدراً آخر ننقّح عليه هذه الأسماء، ومن هنا ظهر اختلاف كبير بين المؤرخين في تحديدها ونسبتها إلى مناطق مختلفة، وقد أعطى بعض الباحثين تفسيرات كثيرة لهذه الأسماء معتمدين على تشابه النطق مع الأسماء الحالية لبعض المناطق، فمثلاً بومين ربما تكون بونجيم، وبراكم هي براك، ونتبروم بأنه اسم لشعب الجاثولي ولكن هذا مجرد تخمين لا يستند إلى الحقيقية التاريخية[2].

وكانت الحملة على ما يبدو محدودة الأهداف، ولم تسفر عن أي استقرار روماني في الجنوب، وربما لم تزد عن قوة ضاربة هاجمت الرومان على حين غرة، وعادت لترابط في قواعدها جنوب المدن الثلاث[3].

وقد بالغ الرومان في إطراء حملتهم واعتبروها نصراً عظيماً باعتبارها الحملة الأولى من نوعها، ونظراً للصعوبات التي واجهتها، ولكن ما يقلل من أهميتها ويعتبرها مجرد ضربة سريعة جاءت إلى الجرامنتس من غير توقع، لاعتقادهم أن موقعهم في الصحراء أعظم من أن يهاجمه أحد[4].

ولعل ما يزيد من الاعتقاد بعدم أهمية تلك الحملة، أن المؤرخ الروماني سترابو لم يتعرض لها في كتاباته رغم معاصرته لها، كما أنها لم تسترع انتباه عامة الناس كما استرعت الحملات المعاصرة لها مثل حملة بترونيوس كنداسي ضد ملكة مروى في السودان، وحملة تيبريوس ضد بانونيا (Pannonia) وإليريا (Illyria) [5].

وربما كان الغرض من حملة بالبوس هدف سياسي بالدرجة الأولى، إذ عندما كتب بلينيوس عن الحملة كانت السلطات الرومانية تعد لحملة جديدة ضد الجرامنتس في عهد

---

(1) Plin., Nat. Hist., V.5.36.

(2) أنديشه، المرجع السابق، ص 69.

(3) Bates, o., op. cit., P. 105.

(4) أنديشه، المرجع السابق، ص 70.

(5) أنديشه، المرجع السابق، ص70 ؛ أيوب، "حملة كورنيليوس بالبوس على فزان سنة 19 ق.م"، المرجع السابق، ص 207؛ أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، المرجع السابق، ص 141.

فسبسيان عام 70م، ولعل ما كتبه بلينيوس عن الحملة قَصد من ورائه رفع الروح المعنوية للجنود الرومان الذين تعدهم آنذاك لحرب الجنوب، كما أن ما ذكره بلينيوس من اكتشاف الرومان في عهد فسبسيان لأقصر الطرق إلى بلاد الجرامنتس، يؤكد عدم وجود قوات رومانية في الجنوب[1]، ولا زالت هذه الحملة وأخبارها موضع جدال بين المؤرخين، إذ يرى بعضهم أن الأنباء التي يرويها بلينيوس مبالغ فيها، ودليلهم في ذلك أنه لم يعثر بفزان على أي أثر يدل على وصول الرومان في هذا التاريخ المبكر إلى فزان، كذلك لم يوجد بالصحراء أي نصب تذكاري أو نقش أو أي شئ مما أعتاد الرومان أن يخلدوا به انتصاراتهم في البلاد المفتوحة، وذلك يدل على عدم أهمية الحملة أو فشلها، ومما يؤكد ذلك أننا نسمع عن حملات وتحركات للقبائل الليبية بعد مضي عدد من السنين، وبالتحديد فيما بين (16-15ق.م)، وتأييد الجرامنتس لثورة تاكفاريناس، وأخيراً ليس أدل على فشل الحملة من أن الجرامنتس استطاعوا بعد أقل من قرن محاصرة لبتس ماجنا، وتهديد بقية المراكز الرومانية الساحلية في المدن الثلاث[2].

وكانت أهم نتائج الحملة بالنسبة للرومان تحذيرهم للجرامنتس بأن الوصول إلى معاقلهم في قلب الصحراء ليس مستحيلاً، وإشعارهم بقدرة الرومان في الوصول إليهم، كما أصبحت كيداموس قاعدة للرومان نحو الجنوب، وكان للتحذير الروماني نتائجه العكسية، إذ لم تمض أربع سنوات على حملة بالبوس حتى تحالف الجرامنتس مع المارماريداي وقاموا بغزو كوريني، حيث واجهتهم الجيوش الرومانية بقيادة بوبليوس سولبيكيوس كويرينيوس (Publius Sulpicus Quirinius) حاكم ولاية كريت وكوريني، وهزمهم في عام 15 ق.م [3].

وفي عهد الإمبراطور تيبريوس ثارت قبائل الموسولامي في نوميديا تحت قيادة الزعيم تاكفاريناس الذي كان جندياً يعمل في الفرق المساعدة الرومانية، واستغل خبرته العسكرية في تدريب الثوار على أساليب الحرب عند الرومان[4]، واتسعت حركة الثورة بإنضمام جموع أخرى إليها من قبائل الحدود الجنوبية وكان من بين قادتها مازيبا الذي أصبح من أهم مساعدي تاكفاريناس، حيث ولاه على جزء كبير من القوات التي تسليحها خفيف لشن الغارات الخاطفة على المدن والقرى، بينما بقيت تحت قيادة تاكفاريناس القوات المنظمة والمتدربة جيداً على طرق القتال الرومانية، والتي دخل بها مع الرومان في معارك متعددة ابتداءً من عام 17م، وكان يعتمد في حربه على المراوغة، وسلب القوات الرومانية، وسياسة الكر والفر أو ما يعرف بحرب

---

(1) أنديشه، المرجع سابق، ص70؛ أيوب، حملة كورنيليوس بالبوس على فزان سنة 19 ق.م، المرجع السابق، ص ص 207-208.

(2) Plin.,Nat., Hist., V. 5.

(3) أنديشه، المرجع سابق، ص71؛ عبد العليم، المرجع السابق، ص 87.

(4) Bovill, op.cit., P. 37 FF.; Haynes, op. cit., p. 37.

العصابات، ولذلك استمرت الحرب بين الطرفين دون نتيجة حاسمة، فبالرغم من انتصار الرومان عام 17م بقيادة نائب القنصل فوريوس كاميلوس إلا أن تاكفاريناس استمر في غاراته المفاجئة على المدن والقرى، واستطاع تطويق كتيبة رومانية[1].

وفي عهد البروقنصل لوكيوس أبرونيوس دارت الكثير من الاشتباكات تمكن من خلالها تاكفاريناس من الاستيلاء على قلعة رومانية عام 20م، واستمر في هجماته على التخوم الرومانية بشكل خطير، لذلك خاف الرومان على ممتلكاتهم في أفريقيا مما جعلهم يخرجون عن القاعدة المألوفة، يسندون القيادة إلى أونيوس بلايسوس قائد الفرقة الإسبانية التاسعة، ليدعم الفرقة الأغسطية الثالثة[2].

ويبدو أن هذه الحرب قد امتدت إلى منطقة ماكومباديس، حيث عسكرت قوة رومانية بالقرب من مدينة لبتس ماجنا، لتحول دون اتصال الثائر النوميدي بالجرامنتس، وفجأة أمر الإمبراطور سحب الفرقة الإسبانية من أفريقيا مما يسهل على تاكفاريناس إقناع شيخ قبيلة الجرامنتس بالانضمام إليه، غير أن هذا الملك لم يكن قد نسي بعد هزيمة قبيلته على يد بالبوس، واكتفى بأن أمد تاكفاريناس بفصائل صغيرة من الجنود[3].

والواقع أن الرومان لم يكن في استطاعتهم أن يرسلوا حملة ضد الجرامنتس تجبرهم على التخلي عن تاكفاريناس[4]، ولكن الثائر قُتل في عام 24م، وتوقع الجرامنتس الانتقام الروماني، ولذلك ذهب رُسلاً منهم مع القائد الروماني دولابيلا ليلتمسوا الصفح من الشعب الروماني ويبدو أن روما قد رحبت بهذا الموقف الجرامنتي الذي أنقذها من إرسال حملة إلى الجنوب قد لا تنجح فيها إذ أن انتصار بالبوس لم يكن إلا أنه فاجئ الجرامنتس[5].

وفي عام 69م انتهزت مدينتا لبتس ماجنا وأويا فرصة اضطراب الأوضاع في روما إثر وفاة الإمبراطور نيرون، لتسوية خلاف بينهما كان قد بدأ في بداية الأمر بين الفلاحين بإغارة كل منهما على الأراضي الزراعية للطرف الآخر، والسيطرة على الغلال والماشية، ثم تطور إلى صراع مسلح، ومعارك نظامية بين المدينتين، وربما الدافع إليه المنافسة التجارية بينهما[6].

ويرى بعض الباحثين أن هذا الصراع قد غذّته أسباب أخرى أهمها محاباة الرومان لمدينة لبتس ماجنا على حساب المدينتين الأخريين، وسيطرة لبتس ماجنا على الشؤون السياسية

---

(1) أنديشه، المرجع سابق، ص76.

(2) نفسه

(3) Haynes, op. cit., P. 37.

(4) أنديشه، المرجع السابق، ص 76.

(5) عبد العليم، المرجع السابق، ص 65.

(6) أنديشه، المرجع السابق، ص ص 79-80.

في المنطقة، ولعل انتهاز أويا للحرب الأهلية للقيام بصراعاتها ضد لبتس ماجنا خير دليل على ذلك، ونظراً لأن سكان أويا أقل عدداً من سكان لبتس ماجنا فقد طلبوا مساعدة الجرامنتس الذين يشكلون القوة الليبية في المنطقة المحصورة بينهم وبين مناطق المدن الثلاث، فاستجابوا لطلب أويا وتقدمت قواتهم نحو مدينة لبتس ماجنا وحاصروها، وقد قاد الخوف أهلها إلى التحصين داخل أسوارها، وكان نتيجة ذلك أن انتشر الخراب في طول المنطقة وعرضها، ونظراً لاعتماد ثروة لبتس ماجنا على أشجار الزيتون فقد كانت خسارتها عظيمة[1]،

وكادت المدينة أن تقع في أيديهم لولا وصول القوات الرومانية بقيادة ڤاليريوس فستوس Valerius Festus الذي أنقذ المدينة وحررها وتمكن من الاستيلاء على أويا[2]، ونجح في التقدم جنوباً حتى التلال الواقعة في المنطقة التي تعرف لليوم باسم الشويرف، ولكن الرومان لم ينجحوا في التوغل للجنوب من هذه المنطقة، لقيام الجرامنتس بقطع خطوط تموينهم ولتدميرهم الآبار خلفهم[3].

بنهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني وحينما ركنت العلاقات الجرامنتسية – الرومانية إلى الهدوء المؤقت ارتفعت حدة التوترات في العلاقات النسامونيسية – الرومانية، فقد دفع إجبار السلطات الرومانية هذه القبيلة على الإقامة في مناطق محدودة إلى التمرد والثورة، ذلك أن هذه المعاملة يسرت مهمة جباة الضرائب الرومان، ولكنها حرمت قبيلة النسامونيس حرية التنقل الموسمي بين السواحل من أجل الرعي والزراعة البعلية والواحات من أجل جني التمور والتجارة[4] كما أشرت سابقاً، فاشتعلت ثورة هذه القبيلة، تلك الثورة التي لم تقف عند تشكيل خطر على طرق التجارة مع الدواخل بل امتدت إلى البحر، فقد جاب أبناء هذه القبيلة سواحل خليج سرت الكبير يتعرضون للسفن الإغريقية ثم الرومانية ويغرقونها[5].

وعلى إثر ذلك جرد الرومان حملة عليهم في عام 86/85م بقيادة سويليوس فلاكّوس Suilius Flaccus، ولكنها منيت بهزيمة نكراء أمام الصمود والتصدي والتحدي الذي أبداه مقاتلو قبيلة النسامونيس، وانتهت المعارك إلى احتلال قبيلة النسامونيس معسكر الجيش الروماني، وكان من المنطقي والمنتظر أن يسارع مقاتلو قبيلة النسامونيس إلى مطاردة شراذم القوات الرومانية وإبادتها، ولكن ما حدث فعلاً هو أن رجال هذه القبيلة وجدوا في المعسكر الروماني مخازن

---

(1) نفسه.

(2) البرغوثي، المرجع السابق، ص ص 355–356.

(3) أيوب، "جرمة في عصر ازدهارها الذهبي " المرجع السابق، ص 178.

(4) Pates, op. cit., P. 175.

(5) Bates., op. cit., P. 175.

للخمور والأغذية فاندفعوا إلى دنان الخمر يعاقرونها ويفرطون في الأكل والسكر ابتهاجاً واحتفالاً بانتصارهم، وفطن الرومان إلى ما حدث فجمعوا شتاتهم ولموا شملهم وكرّوا عليهم وهم شبه أيقاظ، ولم ينج سوى أولئك الذين فرّوا بجلودهم إلى الصحراء، وقد أفتخر دوميتانوس وهو يعلن أمام مجلس الشيوخ الروماني أنه لن تقوم لقبيلة النسامونيس بعد ذلك قائمة[1]، ولكن هذا القول لا يخلو من المبالغة ويعد مجرد أماني كانت تراود الإمبراطور وهي أن يتمكن من القضاء على النسامونيس [2]، فهذه الهزيمة لم تقض عليهم قضاء نهائياً، فقد استمر وجود هذه القبيلة قائماً طوال العصر الروماني، فلم يخل أغلب مصادره من ذكرها، وأخبار مقاومتها للاستعمار الروماني، وهجوماتها الجريئة التي أقضت مضاجع الغزاة وجعلتهم ينشطون في تشييد الحصون والقلاع لاسيما في جنوب غرب كوريناكا عند الطرق المؤدية من الدواخل إلى خليج سرت الكبير، فأقاموا العديد من الحصون مثل حصن الحنية وحصن إجدابيا وحصن زاوية مسوس وحصن الطيلمون وحصن الشليظيمة وحصون منطقة قمينس التي تسمى محلياً بالقصور، وغير ذلك من الحصون الكثيرة المنتشرة في هذه الأنحاء على مشارف المنطقة التي استعمرها الرومان[3].

ويظهر أن الأمور قد استقرت بعد حملة فستوس ووقوع الصدام بين النسامونيس والرومان، حيث ذكرت المصادر اللاتينية أن الإمبراطور دوميتانوس استقبل بعثة ليبية برئاسة شخص يُدعى مرسيس، وتمت تلك المقابلة في بلاد الغال[4]، ورغم أن المصادر اللاتينية ذكرت أنه زعيم النسامونيس إلا أن الأقرب للصواب هو أن يكون ملك الجرامنتس، لأن المقابلة تمت بعد عدة أسابيع من اعلان دوميتانوس أمام مجلس الشيوخ بأنه تم القضاء على النسامونيس فالأقرب إلى الصواب أن يكون ملك الجرامنتس وليس ملك النسامونيس[5]،ويُرجح عقد معاهدة بعد هذه المقابلة ربما نصت على مساعدة الرومان لملك الجرامنتس في فتح الطرق التجارية الجنوبية، والتي نتج عنها إحلال السلام بين الرومان في المدن الثلاث والجرامنتس، ولعل العثور على أوانٍ مصنوعة في بلاد الغال يُدعم عقد هذه الاتفاقية التي نُفذت بعد تلك المقابلة، أما أسباب هذه الصداقة والتعاون المشترك فربما تكمن في رغبة الرومان إلى مهادنة الجرامنتس والتقرب إليهم خصوصاً بعد أن وقع الصدام بين الرومان والنسامونيس، ومن ناحية ثانية اقتناع الجرامنتس

---

(1) Haynes, op. cit, P. 38 FF.

(2) جاد الله، فوزي فهيم، "المعارك والمواقع الحربية الهامة بين الليبيين والمستعمرين من الإغريق والرومان"، مركز دراسة جهاد الليبيين، (1981) ، ص ص 5-8 .

(3) شلوف، المرجع السابق، ص 162.

(4) Ptol., Geog., I. 884.

(5) Bates.OP .Cit., 234 .

بعدم جدوى الحرب مع الرومان المسيطرين على المدن الثلاث وبخاصة بعد استعمالهم للإبل واستخدام الطرق القصيرة نحو الجنوب، ومن ناحية ثالثة قيام قبائل الصحراء بقطع الطريق على تجارة الجرامنتس مستغلين انشغالهم بالحرب مع الرومان، ومن ناحية أخرى أغلقت المدن الساحلية أبوابها في وجه تجارة الجرامنتس بسبب الحرب بين الطرفين، وربما كان الرومان يهدفون من علاقات الصداقة إلى إقامة وكالات تجارية في جاراما[1].

كانت تلك الأسباب الرئيسية لعلاقات الصداقة بين الجرامنتس والرومان وهي التي شجعت على الحملات الرومانية نحو الجنوب، حيث يبدو أن الأمر قد استقر للرومان في فزان، إذ جعلوا منها قاعدة أرسلوا منها حملتين بمساعدة الجرامنتس إلى داخل أفريقيا[2] :

1- الحملة الأولى عام 86م قامت في عهد الإمبراطور دوميتانوس بقيادة سويليوس فيلاكوس قائد الفرقة الأغسطية الثالثة الذي توغل جنوباً عبر الصحراء الليبية لمسيرة ثلاثة أشهر حتى وصل إلى أثيوبيا.

2- الحملة الثانية بقيادة يوليوس ماتيرنوس Julius maternus أحد أبناء لبتس ماجنا، الذي سار بقواته من لبتس ماجنا حتى بلغ جاراما وقام بصحبة ملك الجرامنتس بغارة على الأثيوبيين لجلب العبيد، حيث كانت تلك المنطقة ذات أهمية كبرى للرومان لسيطرتها على الطرق المتجهة شمالاً إلى ليبيا أو مصر، ولذلك حرص الرومان على أن تبقى في أيدي حلفائهم الرومان[3].

أما الهدف الأساسي للحملة فهو اقتصادي في جملته تمثل في تطهير المسالك التجارية، وربما أيضاً البحث عن أماكن التجارة الإفريقية، ومن أهم نتائج الحملة هو نمو التجارة وازدهارها بين جاراما والمدن الثلاث التي يسيطر عليها الرومان، ويعتبر قيام الرومان بهاتين الحملتين عبر أراضي الجرامنتس وبمساعدتهم خصوصاً في الحملة الثانية دليلاً على مدى الصداقة والتعاون بينهما في تلك الفترة[4].

وهكذا ما أن شارف القرن الأول الميلادي على النهاية حتى كان الرومان قد أتموا إخضاع المدن الثلاث بأسرها وفزان[5].

---

[1] أنديشه، المرجع السابق، ص ص 85-86.

[2] نفسه.

[3] البرغوثي، المرجع السابق، ص 356.

[4] أنديشه، المرجع السابق، ص 88.

[5] محمود، المرجع السابق، ص 84.

كان القرن الثاني الميلادي فترة هدوء وسلام خصوصاً في المدن الثلاث التي لم تشهد في تلك الفترة غارات القبائل الليبية، ولكن مع نهاية القرن الثاني تغيرت الظروف الأمنية، حيث واجه الرومان عدة مشاكل دفعت الإمبراطور سبتيميوس سيفيروس[1] (Septimius Severus) إلى الدعوة بتوفير الأمن الكامل للمدن الثلاث بالقضاء على القبائل التي تعشق الحرية.

ويُرجح أن تلك القبائل الجنوبية التي هاجمت المدن الثلاث كانت تشمل الجرامنتس والنسامونيس، ولعل ما يؤكد ذلك أن سيفيروس أردف انتصاراته بالبدء في بناء القلاع والحصون الحربية على الطرق الرئيسية المتجهة نحو الجنوب، ثم أكمل ابنه كاركلا[2] (Caracalla) (211 – 217 م) إقامة هذه الحصون، وأتمها حفيده الإكسندر سيفيروس (Alexander Severus) (222– 235م)، وهي الحصون التي عُرفت باسم الحصون الطرابلسية (Limes Tripolitanus)، وتبدأ هذه الحصون من مذبح الأخوين فيلايني، وتمتد غرباً لمسافة 1000 كم[3]، ونتيجة لإقامة هذه الحصون أصبحت الحدود الرومانية في جنوب منطقة أويا تتكون من ثلاثة أحزمة عميقة متميزة عن بعضها البعض :

1- الحزام الأول: وكان أكثر هذه الأحزمة الثلاثة تعمقاً نحو الجنوب، ويقدر أن حدوده كانت تنتهي بخط يصل بين قلعة جولايا (بونجيم) وقلعة الغربية وقلعة كيداموس، وهي ثلاث قلاع أُقيمت على خطوط المواصلات الثلاثة التي كانت تربط الدواخل بالساحل[4]، وقام ببناء هذه القلاع الثلاث جنود ومهندسون من الفرقة الأغسطية الثالثة، فبنوا قلعة جولايا في عهد سبتيميوس سيفيروس، وقلعة كيداموس في أيام كاركلا، وقلعة الغربية في عهد الإكسندر سيفيروس[5].

2- الحزام الثاني: وقد أُقيم في عهد الإكسندر سبتيميوس للدفاع عن الحدود وكان يمتد خلف الحزام الأول من جهة الشمال، ولم يكن سوى سلسلة من المستوطنات تنتشر في حوضي وادي سوف الجين وزمزم، ولم يكن سكانها سوى قدماء المحاربين الليبيين الذين أنهوا خدمتهم في الفرقة الأغسطية الثالثة فمنحوا مكافأة لهم على خدماتهم قطع أرض معفاة من الضرائب، وأعداداً من العبيد والماشية، ولقاء تعهدهم بالدفاع عن منطقة سكنهم، وصد غارات القبائل عنها، وكان هذا الحزام يمتد ما بين شط الجريد في تونس

---

[1] ينظر: شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة، ص

[2] أنديشه، المرجع السابق، ص ص 85-86.

[3] عبد العليم، المرجع السابق، ص 92.

[4] البرغوثي، المرجع السابق، ص 356.

[5] البرغوثي، المرجع السابق، ص 356.

وسبخة تاورغاء على خليج سرت الكبير، وهو أهم خطوط الدفاع الرومانية في منطقة أويا من الوجهتين الجغرافية والتاريخية، لأنه خط دفاع خلفي عن المدن الثلاث في وجه القبائل الليبية التي كانت تسكن الدواخل[1].

3- الحزام الثالث: وكان عبارة عن طريق إستراتيجي يسير على طريق حافة الجبل الغربي مبتدئاً من لبتس ماجنا حتى ينتهي في قابس بتونس، وليس هنالك ما يدل على أن هذا الطريق كان معززاً بحصون أو قلاع، وإنما كان فقط مجرد خط مواصلات خلفي يتمم نظام الدفاع المذكور الذي اعتمد على العمق، ونقاط الدفاع الثابتة أساساً له[2].

وبالرغم من وفاء سبتيميوس سيفيروس للمنطقة التي وُلد فيها فإن نظام الدفاع السويري السابق الذكر أدى في النهاية إلى إضعاف السلطة الرومانية في هذه المنطقة، لأنه نمىّ روح الاستقلال الوطني لدى أصحاب المزارع المحصنة في الحزام الثاني، وقد أدت طبيعة عملهم الدفاعي إلى اعتمادهم على أنفسهم في كل شئ، مما جعلهم يسعون إلى الاستقلال عن السلطة الرومانية، ويميلون إلى التفاهم وربما التعاون مع أبناء جلدتهم من القبائل الليبية[3].

وقبيل منتصف القرن الثالث الميلادي، أي في حمأة الفوضى العسكرية والحروب الأهلية التي غرقت فيها الإمبراطورية الرومانية بين سنة 235م و 284م، أي منذ نهاية الأسرة السويرية انتهى الاستقرار في الإمبراطورية[4]، وانتشرت الفوضى والاضطرابات والصراعات والانقلابات العسكرية، وزادت معها حركة القبائل الوطنية ضد الوجود الروماني[5]، وفُرضت الضرائب الباهظة على السكان وتعاملوا بالقوة والبطش، وضعفت الحياة الاقتصادية، وتدهورت الأحوال المعيشية، وكثفت القبائل من غاراتها على المناطق الساحلية الخاضعة للاحتلال الروماني، واستمرت هذه الأحوال حتى عهد الإمبراطور دقلديانوس (284-305م)، الذي حاول فرض الاستقرار تنفيذاً لبرنامجه الإصلاحي الذي عُرف باسم إصلاحات دقلديانوس التي اقتضت قيام حكومة الأربعة[6]، وكان يهدف من وراء ذلك إلى إضعاف قوة حكام الولايات، وفي ذات الوقت التحسين من إداراتها، لذلك قسمها إلى عدد أكبر بحيث يزيد عددها وتقل أهميتها، كما فصل بين الإدارة المدنية والعسكرية بحيث أصبح القادة العسكريون يتم اختيارهم من بين الجنود والفرسان، ولعل دقلديانوس قصد من هذا الإجراء رفع الكفاءة

---

(1) قديدة، رمضان أحمد، "ليبيا في عهد الأسرة السويرية"، في مجلد ليبيا في التاريخ، بيروت، دار المشرق، 1968، ص 50.

(2) عمورة، المرجع السابق، ص 49.

(3) البرغوثي، المرجع السابق، ص 357.

(4) لامه، المرجع السابق، ص 47.

(5) الجراري، " موقف القبائل الليبية من الغزو الروماني"، مجلة الثقافة العربية، ع 7، يوليو (1982) ص 71.

(6) لامه، المرجع السابق، ص 48.

العسكرية للجيش الروماني خصوصاً وأن أوضاع الإمبراطورية في تلك الفترة كانت مضطربة، مما تطلب قيادة عسكرية ذات كفاءة عالية، أما الإدارة المدنية فكانت تعاني الكثير من المشاكل هي الأخرى الأمر الذي تطلب ضرورة وجود عناصر ذات دراية في تلك الشؤون[1].

ونتيجة لتقسيمات دقلديانوس الإدارية في أفريقيا، نالت منطقة المدن الثلاث مرتبة الإقليم، وأصبحت عاصمته لبتس ماجنا، وامتدت حدود الإقليم من مذبح الأخوين فيلايني شرقاً ولاكوس سالينوروم (شط الجريد) غرباً وبلاد الجرامنتس جنوباً، وكان حاكم الإقليم مسؤولاً عن الإدارة العسكرية والمدنية ثم أصبحت مسؤولية الدفاع من اختصاص قائد أفريقيا الأعلى[2].

ومع ذلك فإن إصلاحات دقلديانوس لم يكتب لها النجاح، بسبب فساد الإدارة الرومانية وارتفاع الضرائب وضعف الموارد التجارية والزراعية، ولتزامنه مع ظهور صراعات قادتها جماعات دينية تحت شعار الدين رافضة الفساد الروماني السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وهاجمت هذه الجماعات الإقطاعيات الرومانية والمدن والأغنياء، وشملت منطقة واسعة وكان من أبرزها الحركة الدوناتية[3] التي أشعلت نار الصراع ضد الوجود الروماني، فحركت روما قواتها لقمع السكان وشن حرب إبادة ضدهم، وتسبب الصراع في انقطاع حركة تجارة القوافل، وانقطعت الإمدادات عن روما وانضمت الكثير من القبائل إلى هذه الحركة، وسيطرت على طرق التجارة، وواصلت شن غاراتها على الرومان في المنطقة الساحلية[4].

تسببت الصراعات الدينية في هروب الكثير من المنتصرين، وانضمامهم إلى صفوف المقاتلين ضد الوجود الروماني، ولعل خطورة الحركة الدوناتية وماسبقها من اضطراب في أوضاع البلاد هي التي دفعت الأباطرة الرومان إلى القيام بالحملات العسكرية عام 298م ضد القبائل الليبية[5].

كما ناصرت هذه الحركة جماعات محاربة عُرفت باسم الدواريت الذين حاربوا طبقة الأغنياء وكبار الرومان ونادوا بشعارات العدل والمساواة، ووصفت هذه الحركة بأنها ثورة اجتماعية، وتحولت إلى منبر سياسي للحاقدين على الرومان متخذة من الخلاف الديني حجة

---

(1) أنديشه، المرجع السابق، ص 103.

(2) نفسه ، ص ص 103-104.

(3) هي مذهب مسيحي يخالف المذهب الكاثوليكي، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى دوناتوس المصلح الديني الوطني المنشق عن الكنيسة الكاثوليكية، ينظر: لامه، المرجع السابق ، ص 49.

(4) لامه، المرجع السابق، ص 49.

(5) الجراري، المرجع السابق، ص ص 71-72.

ومبرراً في محاربتها لطغيان الأباطرة، وشارك الكثير من الفلاحين في هذه الحركة، ولم تستطع القلاع والحصون من منع الغارات على المدن والخطوط الدفاعية الرومانية[1].

وقد قامت بهذه الإغارات قبائل الأوستريانى Austuriani التي انتهزت ضعف الحكم الروماني، وعدم اهتمامه بمصالح السكان للقيام بتلك الغارات على المراكز العمرانية والزراعية حول المدن الثلاث في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي[2]. وكانت تلك القبائل تعيش خلف الحدود، وقد امتلكت إعداداً كبيرة من الإبل، واستطاعت السيطرة على عدد من الواحات ومناطق المياه ومسالك القوافل التجارية.

أما عن أصل تلك القبيلة فهو غير معروف على وجه التحديد، فهناك من يقول أنهم جاءوا من الواحات الشرقية[3]، ويرى البعض الآخر أنهم من القبائل المقيمة في خليج سرت الكبير، نظراً لتكرار غاراتهم على المنطقة مرات متتالية[4].

بدأت غارات الأوستريانى في عام 363م[5]، بسبب مقتل أحد رؤسائهم يدعى ستاتشو Stachao على يد السلطات الرومانية في المدن الثلاث، وقد استهدفت قبائل الأوستريانى في هجومهم الأول تدمير المناطق الخصبة المحيطة بمدينة لبتس ماجنا التي عسكروا بالقرب منها لمدة ثلاثة أيام، حيث قتلوا أعداداً كبيرة من أهل الريف، وأحرقوا الأشياء التي لم يستطيعوا حملها[6].

وخشية من عودة الأوستريانى طلب أهل لبتس ماجنا المساعدة من رومانوس قائد أفريقيا العام (363– 373م)، الذي وصل بقواته وعسكر في منطقة المدن الثلاث، ورفض محاربة الأوستريانى إلا إذا قدم له أهل لبتس ماجنا أربعة آلاف جمل مع كمية كبيرة من المؤن، ولكن تلك المطالب غير متوقعة للمواطنين الذين أعلنوا أنهم لا يستطيعون أن يقدموا ما طلبه رومانوس من تجهيزات هائلة بعد الخسائر التي لحقت بهم، ولذلك خدعهم رومانوس الذي أمضى في معسكره أربعة أيام أبتعد بعدها بدون القيام بأي محاولة فعلية لحماية المواطنين، وتركهم يواجهون مصيرهم المحفوف بالمخاطر، وعندما أدركوا عدم جدوى الاعتماد على مساعدة رومانوس، أرسلوا مبعوثين إلى الإمبراطور فالينثنيان Valentinian (364 – 365م)، يحملون تماثيل نصر ذهبية بمناسبة توليه الحكم، ولإخباره عن الخراب الذي أصاب المدن الثلاث، ولما سمع رومانوس بالأمر أعاق مهمة المبعوثين عن طريق أحد أصدقائه وشركائه العاملين في البلاط، وبينما كان

---

(1) لامه، المرجع السابق، ص ص 50–51.

(2) لامه، المرجع السابق، ص 49.

(3) Haynes,op.cit., P.57 FF.

(4) جودتشايلد، المرجع السابق، ص 313.

(5) نفسه.

(6) أنديشه، المرجع السابق، ص 108.

أهل لبتس ماجنا ينتظرون دعم الإمبراطور، هاجمت قبائل الأوستريانى المنطقة للمرة الثانية، وأصبحت لديهم الثقة بالنفس على مهاجمة منطقتي لبتس ماجنا وأويا ناشرين الخراب والدمار للمرة الثانية، وبعدها ابتعدوا محملين بكميات كبيرة من الغنائم وربما لم تتوقف هجماتهم هذه المرة على أويا ولبتس ماجنا حيث يُرجح أن غاراتهم امتدت إلى مدينة هابروتونوم، إذ أن الدلائل الأثرية تشير إلى أن عدداً من مباني المدينة قد دُمرت في تلك الفترة[1]، وحينما علم الإمبراطور فالينثيان كلف أحد قادته بأن يرى ماذا يحدث، ولكن قبل وصول هذا القائد كان الأوستريانى قد شنوا هجوماً ثالثاً أشد عنفاً، وكانت مدينة لبتس ماجنا هي هدفه الأساسي وتركوها عارية من الحياة، إذ دمروا النخيل والكروم، وحاصروا المدينة لمدة ثمانية أيام قبل أن ينسحبوا بعد أن يئسوا من استسلامها ثم تراجعوا مبتعدين يحملون غنائم، حيث أن المدينة لم تسقط في أيديهم لحصانة أسوارها[2].

ولعل من العوامل التي سهلت على الأوستريانى القيام بغاراتهم بهذا النجاح أن حاكم المدن الثلاث قد أصبح موظفاً مدنياً دون قوات عسكرية تحت تصرفه لمواجهة الأخطار التي تهدد المنطقة، وقد أثرت غزواتهم بدرجة كبيرة على اقتصاد المدن الثلاث وكانت من العوامل المساعدة على تدهورها وإضعاف الحكم الروماني بها[3].

لم يقتصر الخطر الأوستريانى على إقليم المدن الثلاث، بل امتد إلى إقليم كورينايكا، إذ كانت المدن الخمس ابتداءً من عام 390م تتعرض لهجمات هذه القبائل، ولم تكن قوات الولاية على درجة كبيرة من الكفاءة تمكنها من مقاومة هذه الهجمات التي ذُكر أنها كانت تنهب المزارع وتحرق المحاصيل وترهب المدن والقرى وتقتل الرجال وتسبي النساء وتسرق الأطفال، وبينما كانت الحالة تزداد سوءً إذ بنكبة تحل بالبلاد وذلك بمجيء الوندال سنة 455م، حيث قضوا على البقية من النفوذ الروماني في الشمال الإفريقي[4].

ويتضح من خلال الصراعات التي خاضتها القبائل الليبية ضد الاحتلال الروماني أنها لم تترك الفرصة أمام الرومان للاستمتاع باحتلال البلاد وامتصاص خيراتها كما يشاءون بل كانت من وقت إلى آخر تشن الهجمات عليهم.

---

[1] أنديشه، المرجع السابق، ص 108.

[2] عبد العليم، المرجع السابق، ص ص 101 – 202.

[3] أنديشه، المرجع السابق، ص 109.

[4] Pate, op. cit., P. 237.

%+

مراكز العمران القديمة بمنطقة خليج سرت الكبير

- المبحث الأول : مراكز العمران الليبية
- المبحث الثاني : مراكز العمران الفينيقية
- المبحث الثالث : مراكز العمران الإغريقية
- المبحث الرابع : مراكز العمران الرومانية

على طول سواحل خليج سرت الكبير التي تمتد لثمانمائة كيلومتراً تقريباً ما بين توباكتس يوسبيريدس لا توجد خلجان أو فجوات أو جزر تصلح لإنشاء موانئ ذات شأن، حيث أن ظهير هذه السواحل صحراوية أو شبه صحراوية، ولولا وجود بعض الواحات مثل جولايا Gholaia " بونجيم" وأوجيلاي Augilae وجيراسا Gerasa "قرزة" التي صارت محطات استراحة وتموين لكانت هذه السواحل قد انقطعت عن الاتصال بجيرانها.

وحين النظر إلى مواقع مراكز العمران يلحظ إنها في مجملها موانئ أو تقع قرب البحر بينما مراكز العمران الداخلية قليلة ومتناثرة، وهذا يسوق إلى الاعتقاد بأنها كانت تُمثل نهايات لطرق القوافل والتجارة الآتية من مناطق الصحراء وما وراءها، أو محطات استراحة وتموين للطرق الممتدة بين المشرق والمغرب.

إن تعريف اسم مكان قديم يعتمد على ما تعطيه النصوص القديمة من أدلة ثابتة عن موقعه، ومن الصعب تحديد الأماكن التي لا تظهر على خرائط أدلة الرحالة، ولقد رسم بطلميوس الجغرافي خريطة صغيرة ولكن رُجح أنه لم يراع الدقة في تحديد مواقع مراكز العمران التي ذكرها، إذ يبدو وكأنها تبعد أميالاً عن البحر، وهي في الواقع لا تبعد أكثر من عشرين كيلومتراً، كما إن صيغ هذه الأسماء تختلف بين من كتبوا عنها، بالإضافة إلى أن المسافات بين هذه المواقع تختلف أيضاً في المصادر والمراجع التي عُدت إليها، وهذا ما دفعني إلى أن أقوم بزيارة ميدانية إلى هذه المواقع وتحديد المسافات بينها تحديداً واقعياً يزيل الغموض والشك، حيث يلحظ أن أسماء مراكز العمران التي قامت في خليج سرت تعاني كثيراً من الغموض والشك في مواقعها للمؤرخين والرحالة الذين تطرقوا لذكرها، فهم لم يتفقوا على صيغة معينة لأسماء أكثر هذه المواقع، فمنهم من وضع الاسم في غير مكانه الصحيح، ومنهم من كتبه بصورة مخالفة للآخرين، ومنهم من أطلق أكثر من اسم على الموقع الواحد، كما يُلحظ أن عدم ثبات خضوع هذه المراكز لسلطة واحدة طوال الوقت هو الذي أدى إلى الاختلاف في التسمية، فالفينيقيون أطلقوا أسماء على المواقع التي سيطروا عليها، ثم تغيرت هذه الأسماء عندما خضعت هذه المواقع لهيمنة الإغريق، ثم بُدلت مرة ثانية عندما خُضعت للرومان، ثم البيزنطيين من بعدهم، وهذا ما يثبت أن الفينيقيين والإغريق والرومان قد استعمروا خليج سرت الكبير، فثمة أسماء فينيقية في جهاته الغربية، وأسماء إغريقية في جهاته الشرقية، وأسماء رومانية في كل جهاته، وقد أسس هؤلاء الكثير من الموانئ ومراكز العمران تلبية لحاجاتهم التجارية والعسكرية والزراعية، وقبل هذا وذاك نتعرف على مراكز العمران التي أُطلقت عليها أسماء ليبية صرفة، ولكن الأمر في واقعه أصعب بكثير مما يبدو ظاهرياً وذلك

لأن الحدود بين القوتين في خليج سرت كانت تتزحزح شرقاً وغرباً ففي حين ذكر كاليماخوس أن نهر كينوبس كان هو الحد الأخير لمنطقة النفوذ البطلمي، ذكر جودتشايلد أن أوتومالاكس هي الحد الشرقي لمنطقة النفوذ الفينيقي، وبين كينوبس وأوتومالاكس وقعت مراكز عمران كان يذكر أحياناً إنها الحد الفاصل بين القوتين مثل أراي فيلاينوروم وماكموماديس، وهذا ما يجعل التفريق بين مراكز العمران الفينيقية ومراكز العمران الإغريقية أمراً في غاية الصعوبة التي قد نتغلب عليها بالدراسات اللغوية لهذه الأسماء وكذلك الوقائع التاريخية المختلفة.

وعلى هذا النحو سوف أُقسم مراكز العمران إلى :

1- مراكز العمران الليبية.

2- مراكز العمران الفينيقية.

3- مراكز العمران الإغريقية.

4- مراكز العمران الرومانية.

وعلى هذا الأساس سوف أعتبر مراكز العمران من أوتومالاكس شرقاً مراكز إغريقية، ومن أوتومالاكس غرباً مراكز فينيقية، ثم يصبح القسمان كما هو معروف مراكز عمران رومانية.

ونظراً لأن المصادر والمراجع التي تناولت هذه المراكز تكررت بشكل لافت للنظر فإنني حبذت أن أذكر هذه المصادر والمراجع في هامش واحد في هذا الفصل لعدم التكرار الذي قد يُخل بطريقة السرد والتعريف بهذه المراكز.

أولاً : المراجع العربية

1- أنديشه، الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية، المرجع السابق، ص ص 29-36.

2- شلوف، ديوان بنغازي، بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط1 2001، ص ص 27-29.

3- ـ الأسماء القديمة للمدن والقرى الليبية، بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط1 2002، ص ص 5 ومابعدها.

4- لاشيلا، المرجع السابق، ص ص 43-48.

5- لامه، المرجع السابق، ص ص 13 – 109.

6- أبو مدينة، الموانئ الليبية، المرجع السابق، ص ص 95 -96.

7- ـ ميناء مصراتة بين الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص ص 43- 55.

8- ناجي، محمود، تاريخ طرابلس الغرب، بيروت، مطبعة غريب، ط1 1970، ص25.

ثانياً : المراجع الأجنبية

1- Bates, op. cit., P 374.

2- Bertarelli, L.V., Gudia, D Italia, Milano, 1929, PP.132-135.

3- Fehervari, Gaza, Excavations at surt (1977-1981) in LS., (2002), PP95-100.

4- Goodchild , Libyan Studies (ed . Joyce Reynolds) London, Paul Elek, 1976, PP299ff.

5- ———— " Medin Sultan (Charax – Iscina – Sort) " L.A., (1964),PP99-106.

6- ———— Tabula Imperii Romani, Cyrene, Sheet, H.I. 34, Oxford, The Society of Antiquities, London, 1954. PP. 7-8.

7- ———— Maping Roman Libya, Geography Journal, (1952) PP.142-152.

8- ———— "Arae Philaenorum and Automalax " PBSR, XX (1952) PP94-110.

9- ———— " Boreum of Cyrenaica " JRS. XII (1951) PP, 11-16.

10 - Haynes, op.cit., PP. 54-133.

11- Mattingly, op. cit., PP 59-133.

12-————"Libyans and the limes culture and Society in Roman Tripolitania" in A.A., 23 (1987) PP 71-80.
13- Pagano, Valeria Purcaro, " Le Rotte antiche tra La Grecie ela Cirenaica e gli Itineraria Marittimi e della Grand Sirte " in QAL, Vermo di banetschneider, Roma, (1976), PP. 70-79.
14- Preece, chris , op. cit., PP. 29-35.
15- Stucchi, Sandro, Architturo Cirenaica, Roma, 1975,PP.99-105.
16- Tabula Peutingeriana, ed .K.Miller, VII. 1-5; VIII.1.

المبحث الأول
مراكز العمران الليبية

1- Augila = Augilae

أوجيلا = أوجيلاي

اسمها الحالي أوجلة، تقع جنوب كورنيكلانوم بمسافة 220 كم، وُرد ذكرها لأول مرة في التاريخ عند المؤرخ الإغريقي هيرودوتس، أي أن المعروف من تاريخها يزيد على ألفين وخمسمائة عام، وقد ذكرها هيرودوتس باسم Augila، وقال إنها تشتهر بكثرة النخيل

الذي ينتج أفضل وأجود أنواع التمور، وقال أيضاً أن قبيلة النسامونيس كانت تأتي إليها لجني البلح ثم تعود إلى ساحل البحر لرعي أغنامها في موسم آخر، وذكرها مرة ثانية عندما تحدث عن المحطات على الطريق التجارية التي كانت تخترق وسط البلاد من الشرق إلى الغرب، وذكر إنها تبعد عن أمونيوم (سيوه) مسيرة عشرة أيام، كما تتجه الطرق منها إلى كبابو (واحات الكفرة) وإلى فزانيا (فزان).

2- Gholaia = Col = Gholas = Chosol

جولايا = كول = جولاس = كوسول

لعلها أبونجيم، وهي تقع على بُعد 200 كم تقريباً جنوب كيفالاي برومونتوريوم التي تحد الحافة الغربية لخليج سرت، ورغم أنها ذات موقع غير مناسب لكنها تُشكل النقطة الرئيسية على الطريق بين واحات الجفرة (حيث توجد هون وسوكنة وودان) وبين ساحل منطقة أويا.

وقد عُثر فيها على حصن[1] يرجع إلى العصر الروماني، ويُعتقد أن تشييده كان لحماية المدينة من القبائل الصحراوية.

وقد عُرفت عبر تاريخها المعروف بثلاثة أسماء : أولها روماني وهو قلعة جولايا، وثانيها إسلامي وهو أبو نجيم، وثالثها تركي وهو الآثار المجيدية، ويظهر الاسم الأول على صورة جولايا وجولاس وكول وكوسول، فقد توصلت البعثة الأثرية الفرنسية إلى اكتشاف نقش تذكاري يعود تاريخه إلى عام 201م يقدم فيه شخص اسمه يوليوس ديجنوس Q.Iulius Dignus الشكر إلى جولايا، كما اكتشفت نقشاً آخر يعود تاريخه إلى 24 أي النار (يناير) عام 201م يُسجل وصول الكتيبة الأغسطية الثالثة إلى كول، واكتشفت نقشاً ثالثاً يعود تاريخه إلى عام 248م يسجل ترميم مقر القيادة في الحصن، ويذكر أن قائد العشرة (ديكوريون) كان على رأس لواء جولاس، كما عثرت البعثة الفرنسية على عديد الشقف التي لُحظ أنه لا يوجد عليها اسم جولاس.

3- Geraza (Ghirsa)

جيراسا (جرزا)

اسمها الحالي قرزة تقع عند ملتقى وادي زمزم برافده وادي قرزة في الجهة الغربية من ماكوماديس، وأصل اسمها جيراسا هو أصل اسم مدينة جرش المشهورة بالأردن ، وترجع شهرتها التاريخية إلى العهد الفينيقي عندما كانت محطة لتجارة القوافل مع مناطق القارة الأفريقية والسواحل الشمالية، وأهم معالمها الأثرية الباقية ترجع إلى الرومان الذين غيروا الكثير منها بعد سيطرتهم عليها، ويوجد بها العديد من بقايا الأضرحة والمباني والنقوش والمقابر والمساكن

[1] ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (9).

والمنارات مستخدم فيها حجر جيري مستقطع من نفس المنطقة، كما وُجد قربها آثار سدود لحجز المياه، وكانت من بين مناطق التخوم في زمن الإمبراطور سبتيميوس سفيروس[1].

[1] ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (10).

المبحث الثاني
مراكز العمران الفينيقية

1- Ad Capsum ultimum

آدكابسوم أولتيموم

هي محطة على سواحل شمال أفريقيا إلى الغرب من أراي فيلاينوروم.

2- Ad Cisternas nalabus = kisternai

آدكيستيرناس نالابوس = كيستيرناي

تقع على مسافة 35 كم جنوب النموة.

3- Ad Ficum

آدفيكوم

تقع جنوب شرق كوسول Chosol "بونجيم" بين لبتس ماجنا وماكوماديس

4- Ad Palmam = Palma

آدبالمام = بالما

لعلها موقع بوسعدة شرق بئر الشويشية.

5- Annesel = Onusol

أنيسل = أونوسول

لعلها القداحية قرب وادي بي الكبير على بُعد 91 كم إلى الغرب من ماكوماديس، ويرى كيراتا Cerrata أنها الهيشة.

6- Aqua amara

أكوا أمارا

لعلها موقع قرب ديسيو Dissio "الهيشة"

7- Arae philaenorum promontorium

أراي فيلاينوروم برومونتوريوم

اسمها الحالي قرارة قصر التراب = الرأس العالية = مذبح أو ضريح الأخوين فيلايني وترجمتها : مذبح الأخوين محبي المجد، وكان هذا الموقع يُشكل نقطة الحدود بين منطقة النفوذ الفينيقي في الغرب ومنطقة النفوذ الإغريقي في الشرق Fines Africae et cyrenensium، وهي تقع في قُعر خليج سرت 50 كم غرب أوتومالاكس.

يرتبط إنشاء هذا الموقع الفينيقي بقصة الأخوين فيلايني التي سبق الحديث عنها، إذ بعد ما يُشير سالوست إلى قصة الصراع على الحدود بين الطرفين يُفيد بأن الفينيقيين أقاموا نصباً تذكارياً لتخليد ذكرى ممثليهما الأخوين فيلايني.

ومع أنه لم يتم تحديد هذا الموقع يقيناً، إلا أن البعض يعتقد أنه عند مقاطع الكبريت، ومن المرجح أن الموقع قام بدور تجاري مهم في العصر الفينيقي، وذلك استناداً للطابع الديني الذي ارتبط بتضحية ممثلي قرطاجة، وأهمية الموقع الحدودي في نظر الفينيقيين جميعاً الذين على الأرجح كانوا يأتون إلى هذا الموقع بحراً نظراً لبعد المسافة.

أما في العصر الروماني فربما اكتسب أهمية أكبر نظراً لسيطرة الرومان على ليبيا بقسميها الشرقي والغربي.

8- Aspis

آسبيس

لعلها بويرات الحسون[1] على الأطراف الشرقية لبحيرة زوخيس، وبالنظر إلى موقعها يبدو أنها كانت إحدى المرافئ الليبية التي أسهمت في النشاط التجاري للمنطقة منذ العصر الفينيقي، وكذلك في العصر الروماني، وقد أشار بعض الرحالة الذين عبروا المنطقة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر إلى وجود بعد الآثار القديمة على شاطئ البحر، يُرجحون أن تكون جزء من مرفأ آسبيس.

وعندما احتل الإيطاليون ليبيا في بداية القرن العشرين أدركوا أهمية الموقع، وأقاموا عليه عدة منشآت عسكرية، واستخدموا المرفأ في استقبال السفن، وقد تعطل استخدامه الآن نتيجة الألغام التي تم زرعها أثناء الحرب العالمية الثانية، مما أصبح معها استحالة القيام بدراسات على هذا الموقع المهم.

9- Auxiu

أوكسيو

أسمها الحالي بئر معدان

10-Banadedari

باناديداري

يرى جودتشايلد أنه اسم خطأ، أو اسم بديل لأراى فلاينوروم على مسافة 25 ميلاً رومانياً شرق تاجوليس Tagulis " قصر الحدادية " و 25 ميلاً رومانياً غرب أنابوكيس Anabucis (بوشعيفة).

11- Base

بيز

لعلها سيدي بوشعيفة أو العرار.

12- Berge

بيرجي

لعلها زاوية المحجوب بضواحي مدينة توباكتس Thubactis

---

[1] ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (11).

13- Carax = Iscina = Sort

كاراكس = إسكينا = سورت

اسمها الحالي السلطان[1]، وهي إحدى المواقع الكثيرة الواقعة في خليج سرت وأعظمها امتداداً وأوغلها عمقاً في التاريخ.

تقع إلى الشرق من مدينة سرت الحالية بمسافة 50 كيلومتراً[2]، والسلطان المقصود هنا هو المعز لدين الله الفاطمي، لكنها قبل ذلك عُرفت بأسماء أخرى هي على التوالي : سورتوس ، ثم خاراكس، ثم إسكينا، ثم سرت، ثم السلطان، وهذه الأسماء قد تخلق شيئاً من الخلط واللبس بينها وبين مدن أخرى تحمل الاسم عينه أو اسماً مشابهاً، فمثلاً هناك بلدة إلى الشمال من مدينة كورنيكلانوم Corniclanum " إجدابيا " اسمها سيدي سلطان أو سلطان، وهناك مدينة سرت الحالية الواقعة على مسافة 50 كيلومتراً غرب مدينة السلطان، ولكن لابد أن أتتبع أولاً أسماء مدينة اليوم ثم أتعرض لعلاقتها بسرت الحالية لكي ينجلي الغموض ويظهر الاختلاف.

لقد عُرفت هذه المدينة أول ماعُرفت باسم سورتوس وهو اسم إغريقي معناه الشبكة أو الفعل يجر، أما الفينيقيون فقد أطلقوا عليها اسم خاراكس، وعندما جاء الرومان بعدهم أطلقوا عليها اسم إسكينا، أما الجغرافيون والمؤرخون المسلمون الأوائل فقد سموها سُرْت، ولما جاء الفاطميون في القرن العشر الميلادي أطلقوا عليها اسم مدينة السلطان، تعتبر السلطان من المرافئ المهمة التي أنشأها الفينيقيون على الساحل الليبي، فقد لعبت دوراً بارزاً في العلاقات الاقتصادية بين المرافئ الليبية في الغرب ومدن إقليم كورينايكا في الشرق، إذ كانت مركزاً للتجارة السرية لنبات السلفيون مقابل كميات النبيذ التي كانت تنتجه مناطق المرافئ الليبية، وقد أشار سترابو إلى تجارة التهريب هذه ووصف المركز بالأهمية.

وأول مناقشة حديثة لمدينة السلطان هي ما أعطاه الأخوان بيتشي Beechey بعد زيارتهما لها عام 1821م في غضون مسحهما الجغرافي والتاريخي لإقليم سرت، وفي عام 1846م زار بارث Barth مدينة السلطان، ولكن روايته لا تضيف سوى القليل أو لا تضيف شيئاً لراوية الأخوين بيتشي، ووصل بارث إلى الاستنتاج المهم بأن هذه البقايا تمثل المواقع المتعاقبة خاراكس وإسكينا وسرت، والزائر الثالث الذي يترك بعض الذكر لمدينة السلطان كان ألمانياً آخر هو فروند Freund الذي مر بأطلالها في شهر الماء (مايو) عام 1881م، وفي عام 1931م، قام ضابط إيطالي هو القبطان لويجي تشيراتا Luigi Cerrata باستطلاعات جغرافية وأثرية واسعة في خليج سرت، ومقالته التي نُشرت عام 1933م ما تزال أفضل وصف يمكن

---

[1] ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (12).

[2] ينظر: جدول المسافات.

التحصل عليه لمدينة السلطان، وفي عام 1950م أثناء سير بعثة إعداد خريطة ليبيا في العصر الروماني التي قادها جودتشايلد أجرى مسح أرضي وجوي للمدينة.

14- Charax = korax = carax

خاراكس = كوراكس = كاراكس[1]

15- Hippu akra promontorium

هيبوأكر برومونتوريوم

لعلها رأس اليهودية، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى اليهود الذين كانوا يقيمون فيها.

16- Macomades = Marcomades Selorum = Euphranta

ماكومياديس = ماركومياديس = يوفرانتا

اسمها الحالي سرت، وسميت في العصر الروماني باسم "يوفرانتا" وهي كلمة كنعانية بمعنى القرية الجديدة، وهي من المواقع المهمة على خليج سرت الكبير التي يُرجح أن الفينيقيين قد انشأوا عندها مرفأ تجاري مهم، حيث أشار سترابو إلى موقع يسمى ماكومياديس مايوريس الذي صارت عنده نقطة الحدود بين المرافئ الليبية الغربية وإقليم كوريني في العصر البطلمي.

ويبدو أن ماكومياديس[2] قد ازدهرت خلال العصر الروماني، فقد جاء ذكرها في المصادر الرومانية كواحدة من المدن الصغيرة، ويُرجح البعض إنها حازت على مكانة مرموقة في العصر الروماني، نظراً للفاعلية الاقتصادية لمرفئها التجاري، أما موقعها فيرجع أن يكون عند قصر الزعفران.

17- Macomaca

ماكوماكا

لعلها تاروغاء، ويُرجح أن تكون هي أحد المرافئ التي أنشأها الفينيقيون على الساحل الغربي، حيث يرى البعض أنها تُعنى بالفينيقية المدينة الجديدة، فقد كان لهذا الموقع أهمية تجارية كبيرة منشؤها الدور الذي لعبه في صناعة وتمليح السمك، وقد أشار سترابو إلى وجود بحيرة يبلغ طولها ثلاثمائة فرسخ وعرضها سبعين فرسخاً تصل إلى مياه الخليج، حيث كان يوجد المرفأ الذي يسمى ماكوماكا.

ويرى البعض أن زوخيس (Zuchis) هي سبخة تاورغاء، وحيث أنها تقع على بحيرة واسعة وتشتهر بصناعة الصبغة الأرجوانية والسمك المجفف، وهي نفس الصناعة التي أُشتهرت

---

(1) ينظر: كاراكس Carax.

(2) اختلفت المصادر والمراجع في صياغة هذا الاسم رغم التشابه في صياغته، فقد وُرد على عدة صيغ منها، ماركومياديس (Marcomades) وماكومياديس سيلوروم (Macomades Selorum) وماركومياديس سرتيس (Marcomades Sirtes) وماكومياديس يوفرانتا (Macomades Euphranta) للمزيد ينظر : Tab., Peut.,VIII;Merighi, op. cit.,P.36;Haynes,op.cit.,P.28.

بها ماكوماكا على بحيرة تاورغاء، لذلك يُرجح أن الاسمين ينتميان إلى منطقة واحدة هي سبخة تاورغاء.

18- Matratin

ماتراتين

لعلها مطراتين، وهي موقع في جهات كورينثيون.

19- Mansioadpalma

مانسيوآد بالما

لعلها بئر الشاشية.

20- Nivirgi Taberna

نيڤرجي تابيرنا

لعلها زاوية المحجوب.

21- Noeto

نويتو

لعلها زيماخ

22- Philainon Bomoi = Philainon Porto

فيلاينون بوموي = فيلاينوبورتو

لعلها مذبح الأخوين فيلايني عند أراي فيلاينوروم.

23- Praetorum

برايتوريوم

لعلها ثمد حسان[1].

24- Priscu Taberna

بريسكوتابيرنا

لعلها تومبيه، تذكر خريطة بيوتنجر إنها تقع في خليج سرت إلى الغرب من كورنيكلانوم.

25- Tagulis

تاجوليس

لعلها قصر الحدادية، تقع في خليج سرت 10 كم شمال غرب القوس الرخامي.

26- Tincausari

تينكاوساري

---

[1] ينظر: آسبيس Aspis.

لعلها موقع سوية.

26- Thupactis = Tubactis

ثوباكتس = توباكتس

اسمها الحالي مصراتة، تقع على بُعد قليل من البحر، وتبين من الخرائط الرومانية وجود عدد كبير من المواقع الساحلية التي كان بحارة السفن الفينيقية يستخدمونها كمرافئ لسفنهم ومراكبهم التجارية، ثم استغلها الرومان لتأدية الغرض نفسه، وربما لأغراض عسكرية أيضاً، ومن هذه المواقع المهمة على الساحل الليبي مدينة توباكتس التي تمثل الحد الغربي لخليج سرت الكبير.

ويُرجح أن توباكتس كانت أحد المرافئ الفينيقية التي لعبت دوراً مهماً في النشاط التجاري، وتبادل السلع وخدمة المنطقة الواقعة خلفها، وذلك استناداً إلى كميات الفخار التي عُثر عليها في عدة مواقع أهمها مرسى الجزيرة وقصر أحمد، ومن خلال التنقيبات التي تمت في موقع مرسى الجزيرة تم الكشف عن بقايا أبنية وعملة برونزية ترجع إلى العصرين القرطاجي والنوميدي، كما عُثر على قطع من الفخار الكمباني من القرن الثالث قبل الميلاد، حيث تأكد وجود مستعمرة ليبية – فينيقية تتألف من مباني من الطين ومقابر في تواريخ مختلفة بعضها روماني يضمها هذا الموقع.

ويبدو أن توباكتس قد تطورت ونمت خلال العصر الروماني، فعندما آلت المدن الفينيقية في ليبيا إلى السيطرة الرومانية بعد سقوط قرطاجة عام 146 ق.م اهتم الرومان بالنشاط التجاري، وذلك بتطوير الموانئ في ليبيا، وتحسين الطرق البرية التي تربط هذه الموانئ بظهيرها المتوغل في عمق الصحراء الليبية.

وقد شهد ميناء توباكتس في هذه الفترة بعض النشاط التجاري المتبادل مع بعض الموانئ الأخرى على ساحل البحر المتوسط متمثلاً في تصديره لبعض سلع شمال وأواسط أفريقيا إلى تلك الموانئ.

أشارت بعض المصادر الرومانية إلى توباكتس كواحدة من المدن التي حصلت على وضع البلدية (Municipia) كما أن سترابو أشار إليها باسم كيفالاي Cephalae ووصفها بالأهمية، أما الدليل الأثري فقد كشف عن مواقع تعود إلى العصر الروماني أهمها الحمامات الرومانية تحت منارة الميناء الحالي، كما عُثر على قطعتين ضخمتين من الرخام أثناء تنفيذ الميناء الحديث يُعتقد أنها جزء من حمولة سفينة رومانية غارقة بالمرفأ، حيث وُضعت إحداها بالقرب من إدارة الميناء، والأخرى نُقلت إلى مدينة لبتس ماجنا الأثرية فضلاً عن مجموعة مقابر منطقة يدر التي تنتمي مخلفاتها إلى القرنيين الأول والثاني الميلاديين، وفيلا شاطئ الحمام الواقعة غرب مرسى الجزيرة، والعثور على مائة ألف قطعة عملة في منطقة الدافنية، كما أن

أساسات المباني تنتشر على طول الساحل، وكل ذلك يدل على ازدهار توباكتس التي اختلفت الآراء في تحديد موقعها، حيث يعتقد ماتنجلي (Mattingly) أن الفروض المطروحة لتحديد موقع توباكتس الرومانية لا تبدو مقنعة، لأن حمامات قصر أحمد والمرفأ يمكن تصور ارتباطهما بفيلا أكثر من ارتباطهما بمدينة، بينما مرسى الجزيرة معظم دليل المستعمرة سابق عن العصر الروماني، كما أن الموقع الداخلي المقترح ليس له ما يؤيده من المخلفات الأثرية.

وتعتبر مدينة توباكتس المدينة الوحيدة المهمة إلى الشرق من لبتس ماجنا قبل الوصول إلى خليج سرت والمسافات الميلية تُوحي بأنها تقع في مكان ما بجوار المدينة الحديثة، إلا أنه ليس هناك بقايا أثرية عند مصراتة نفسها.

28- Zacasama praesidium = Zagazaena

زاكاساما برايسيديوم = زاجازاينا

أسمها الحالي رأس بن جواد وهي قلعة على قنة قرب النوفلية، وتسيطر على الطريق الساحلي.

29- Zaures = Zure

زاوريس = زوري

لعلها موقع سيدي دهان ساقة.

المبحث الثالث
مراكز العمران الإغريقية

1- Ad puteum

آد بوتيوم

لعلها بئر الجن، يضعها جودتشايلد في دراسات ليبية على مسافة 15 كم غرب قصر إنتيلات.

2- Amastor

أماستور

لعلها بئر بوشريبة على بعد 19 كم شمال بالصفن.

3- Ammoniou pagai= Ammonis Fontes

آمونيوباجاي = أمونيس فونتيس

لعلها بئر بشر أو معاطن بشر أو ينابيع بشر[1]، إلى الغرب من كوزينثيون Kozynthion بمسافة 20 كم[2]، وقد أوردها جودتشايلد على صيغة أمونيس فونتيس Ammonis fontes .

4- Ampaleontes

أمباليونتيس

لعلها أبودريسة، يضعها بارث Barth على مسافة 19 كم غرب يوسبيريدس.

5- Anabucis praesidium = Automalax

أنابوكيس برايسيديوم = أوتومالاكس

يرى بعض الباحثين أن أنابوكيس هي نفسها أوتومالاكس (العقيلة) وتقع على الطريق الساحلية على بُعد 50 كم[3] شرق أراي فيلاينوروم، ويرى باحثون آخرون إنها بوشعيفة،

ومن هنا يُلحظ أن تحديد الموقع الحالي العقيلة أم بوشعيفة قضية تحتاج إلى دراسة وتحقيق، كما أن السؤال المهم القائل هل أوتومالاكس وأنابوكيس هما اسم واحد لإحدى الموقعين.

وصف سترابو أوتومالاكس بأنها قلعة بها حامية تقع عند أسفل الخليج، وسجل بطلميوس كذلك أنها قلعة، أما ستادياسموس المليئة بالتفاصيل الطبوغرافية فتذكر الاسم دون أن تقول كلمة واحدة عن أوصافها، ولا يوجد ذكر لأوتومالاكس في خطوط سير الرحالة الرومانيين، ولكنها تذكر أن أنابوكيس تحتل نفس المكان تقريباً، ولم تفلح المحاولات حتى الآن في تحديد موقع أوتومالاكس – أنابوكيس.

تقع قنة بوشعيفة غربي قلعة العقيلة، وهي أقرب جزء من الساحل إلى الجزيرة أو سلسلة صخور بوشعيفة البحرية التي تبعد حوالي مترين داخل الماء، والقنة مستوية لكنها صخرية عند

---

[1] ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (13).

[2] ينظر: جدول المسافات.

[3] ينظر: جدول المسافات.

حافة الماء، ويوجد موقع بوشعيفة كما ذكرت سابقاً عند أسفل الخليج، ويستنتج المرء من حقيقة وجوده على القنة الوحيدة بهذا الجزء من الساحل بأنه لابد أن يكون هو موقع أوتومالاكس.

ويرى جود تشايلد أن أوتومالاكس اسم سابق على أنابوكيس وهما اسمان لموقع واحد خاصة وأن معظم هذه المواقع بخليج سرت كانت لها أسماء مزدوجة، اسم إغريقي واسم محلي، وإن الرومان كانوا يفضلون عادة استخدام الاسم الثاني.

6- Antidrepanon

أنتيدريبانون

لعلها قرب رأس بوريوم Borum promontorium "رأس تايونس"

7- Automalax

أوتومالاكس[1]

8- Astrachonda

أستراخوندا

لعلها بئر المرير، وأوردها جودتشايلد باسم بئر المرة.

9- Attici

أتيكي

لعلها موقع سيدي فرج شمال كورنيكلانوم Corniclanum.

10- Aubereo

أوبيريو

لعلها سيدي فرج.

11- Berenice = Euesperides = Euhesperides

برينيكي = يوسبيريدس = يوهسبيريدس

أسمها الحالي بنغازي، أُسست بين عام 525 ق.م وحوالي عام 518 ق.م، وقد اُختير موقع المدينة في أول الأمر على الطرف الشمالي من سبخة السلماني الحالية، وذلك لأن السبخة كانت آنذاك عبارة عن بحيرة ضحلة متصلة بالبحر، وصالحة لملاحة القوارب والسفن الصغيرة التي كانت دون شك تصلها بالميناء القديم الذي ربما كان يقع إلى الغرب قليلاً من المنارة الحالية.

وأول مرة وُرد فيها ذكر هذه المدينة في مصدر أدبي كانت في الكتاب الرابع للمؤرخ الإغريقي هيرودوتس حيث ذكرها باسم يوسبيريدس، وقد وُرد اسم يوسبيريدس في تواريخه ثلاث مرات : الأولى عندما تحدث عن الحملة الفارسية التي جاءت بعد عام 525 ق.م بقليل تلبية

---

[1] ينظر: أنابوكيس Anabucis.

لطلب أسرة باتوس في كوريني، لتناصرها العداء ضد مناوئيها الذين أغتالوا ملكي كوريني وبرقة، وذكر هيرودوتس أن الجيوش الفارسية واصلت مسيرتها غرباً بعد احتلال برقة حتى وصلت إلى يوسبيريدس، ومعنى هذا إن المدينة كانت قائمة حينذاك أي عام 519 ق.م الذي سقطت فيه برقة في يد الفرس، وقد عُثر على آنية فخارية في موضع هذه المدينة بينت دراستها إنها تعود إلى عام 6000 ق.م.

والمرة الثانية التي ذكر فيها هيرودوتس مدينة يوسبيريدس كانت عندما تكلم عن موطن قبيلة الأوسيخيساي الليبية القديمة، وذكر أنه يمتد من دواخل برقة ويصل إلى شاطئ البحر عند يوسبيريدس.

أما المرة الثالثة فقد كانت عندما تحدث عن منطقة نهر كينوبس وقارن بينها وبين كل من بابل ويوسبيريدس في الخصب وإنتاج الحبوب.

وبعد هيرودوتس تحدث عنها سكولاكس وبلينيوس وديودوروس الصقلي وآخرون.

ولهذه المدينة أسماء عديدة اختلف المؤرخون بشأنها قديماً وحديثاً، فهي ترد بصياغات مختلفة، وتباينت الآراء في تأصيلها وتأويلها وتاريخ ظهورها واختفائها، وأول اسم منها : يوسبيريدس يُترجم إلى اللغة العربية باسم الحدائق المقدسة حيناً، واسم حدائق سيدات العرب حيناً آخر، واسم المدينة السعيدة حيناً ثالثاً، واسم مدينة الغرب السعيدة حيناً رابعاً، لأنها آخر المدن الخمس "Pentapolis" موقعاً جهة الغرب.

وقد أُلبس هذا الاسم أكثر من ثوب من ثياب الأساطير الإغريقية القديمة، نظراً للشبه بينه وبين الأسماء الواردة في أساطير أقدم من المدينة ذاتها، فقد ذهب عدد من المؤرخين القدامى إلى إنها سميت هسبيريدس Hesperides نسبة للأخوات الأسطوريات الأربع، بنات هسبيروس اللواتي كن يحرسن البستان المسمى باسمهن والذي كانت الإلهة هيرا Hera قد تلقته كهدية بمناسبة زواجها من الإله زيوس Zeus، وتقول الأسطورة إن هذا البستان كان مليئاً بشجر التفاح الذي يثمر الذهب، ولذلك فقد وكُل الأخوات الأربع بحراسته نظراً لما كن يتحلين به من قدرة عجيبة على الغناء الساحر، ووضع الأفعوان المخيف لادُن Ladon تحت تصرفهن لكي يساعدهن في حراسة البستان.

وإمعاناً في هذا الاتجاه فإنهم تعرفوا على بحيرة تريتونس "Tritonis Lacus" وقالوا إنها هي البحيرة الواقعة إلى الجنوب من المدينة القديمة، كما تعرفوا على البستان نفسه في أحد المنخفضات في موقع سواني بن عصمان على بُعد حوالي عشرة كيلومترات إلى الشرق من يوسبيريدس، وقريباً من موقع البستان وجدوا كهفاً به بحيرة جوفية فاعتبروه نهر ليثون الذي هو نهر النسيان في العالم السفلي من الأساطير الإغريقية.

وفي عام 247 ق.م تغير اسم المدينة إلى بيرينيكي عندما نُقلت من موقعها القديم عند جبانة سيدي عبيد حالياً إلى موقع جديد عند جبانة سيدي خريبيش حالياً، وقد جاء اسم بيرينيكي نسبة إلى الأميرة البطلمية بيرينيكي التي ورثت حكم كورينايكا بعد وفاة والدها ماجاس عام 253 ق.م، وعندما خضعت هذه المنطقة للحكم الإسلامي منذ عام 642م حُرف الاسم إلى برنيق.

كانت يوسبيريدس معرضة أكثر من غيرها لغارات القبائل الليبية المقيمة حول خليج سرت الكبير، لأنه من السهل على تلك القبائل أن تتقدم عبر السهول إلى يوسبيريدس، ولعل البحيرة هي التي كانت توفر بعض الحماية لهذه المستوطنة.

أما بالنسبة للتنظيم السياسي لهذه المدينة فهو قليل وينحصر في نقش عُثر عليه في موقع يوسبيريدس، ويرجع تاريخه إلى سنة 350 ق.م، وهو يُبين أن هذه المستوطنة كان لها مجلس قضاة Ephors ومجلس الشيوخ Gerousia وفي النقش يقترح الشيوخ على مجلس الشورى Boule تكريم اثنين من أبناء مدينة سيراقوسة لقاء خدمات معينة كانا قدماها ليوسبيريدس.

ولعل وجود هذه المجالس دليل على أن التنظيم السياسي ليوسبيريدس، وربما لمعظم المستوطنات الإغريقية في برقة، إن لم نقل كلها كان بصفة عامة مشابهاً للتنظيم السياسي في كورينة.

وقد كان لميناء يوسبيريدس دوره الهام في التجارة خلال العصر البطلمي، فقد أدى اتخاذ قرطاجة لنظام النقد البطلمي إلى قيام علاقات تجارية كبيرة بين مصر وقرطاجة ولابد أن موانئ كورينايكا، وخاصة مينائي بيرينيكي وبتولومايس (طلميثة) قد لعبت دوراً كبيراً في هذه التجارة لكونها تقع في منتصف الطريق بين مصر وقرطاجة.

12- Boreion = Boreo = Boreum

بوريون = بوريو = بوريوم

لعلها بوقرادة[1] تقع بين كوزينثيون وكورنيكلانوم، وتبعد عن الأولى بمسافة 20 كم[2]، وعن الثانية بمسافة 67 كم[3].

هناك موقعان يحملان هذا الاسم، الموقع الأول رأس تايونس النهاية الشرقية لخليج سرت رغم أنه ليس هناك دليل على أن الموقع قد عرف إقامة دائمة في شكل قرية أو قلعة.

---

[1] ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (14).

[2] ينظر: جدول المسافات.

[3] ينظر: جدول المسافات.

والموقع الثاني فهو في خليج سرت 20 كم شمال شرق كوزينثيون تقول عنه خريطة أبعاد الطرق في البحر الكبير Stadiasamus أنها قرية لها قلعة وهي مكان إنزال وإمداد بالماء العذب.

أما المسالك الأنطوانينية Antonine Itenirary فتصفه بأنه إحدى محطات الطريق تبعد 60 كم[1] شمال شرق أنابوكيس.

وقد وصلت أكمل المعلومات عنه من بروكوبيوس الذي قال أنه آخر مدينة في إقليم المدن الخمس جهة الغرب، وكان أول من اكتشف هذا الموقع هما الأخوين بيتشي عام 1820م، ولكنه لم يُحدد بشكل نهائي إلا سنة 1950م.

وعلى بُعد مسافة قليلة إلى الداخل من بوريوم توجد قلعة بيزنطية في حالة جيدة تسمى قصر إنتيلات، ويبدو من المخلفات الأثرية أن المزارع المحصنة على التلال المحيطة بالمنطقة توحي بأن المزارع المحصنة قد انتشرت في العهد البيزنطي، ويفسر بروكوبيوس هذه الظاهرة بأن المرتفعات تقترب من بعضها قريباً، لتشكل مانعاً طبيعياً يقترب من المدخل المؤدي إلى أرض العدو، بيد أن تلال بوريوم لا تبلغ من الارتفاع القدر الذي يجعل تسميتها جبالاً تسمية صحيحة، ولكنها رغم ذلك تبلغ من الارتفاع قدراً يكفي للإشراف على السبخات المحيطة.

ويعتبر تحديد موقع بوريوم مهماً، لا لمجرد تأثيره على سياسة الحدود التي كان يتبعها جستنيان بل وكذلك على الطبوغرافية القديمة العامة لخليج سرت.

13- Boreion Promontorium

بوريون بروموتوريوم

لعلها رأس تايونس التي تجعلها المصادر والمراجع النهاية الشرقية لخليج سرت، وقد ورد اسمها في صور مختلفة منها

Ras Taiunes, Capo Tajunes , Ras Teyonas , Taiuri , Ras Tajunes .

14- Casa Rimoniana

كازا ريمونيانا

لعلها موقع النعيم الذي ذُكر كثيراً على أنه من أهم طرق القوافل المارة بخليج سرت الكبير.

15- Camanis = Chaminos

[1] ينظر: جدول المسافات.

كامانيس = خامينوس

اسمها الحالي قمينس، تقع جنوب يوسبيريدس بمسافة 50 كم[1]، وكانت تقع في أرض قبيلة النسامونيس، وتوجد حولها حصون[2] يُرجح جودتشايلد إنها حصون ليبية قديمة قد تعود إلى هذه القبيلة.

16- Cephalae (Cephalaea) Promontorium

كيفالاي (كيفالايا) برومونتوريوم[3].

اسمها الحالي رأس قصر حمد، النهاية الغربية لخليج سرت وسبخة تاورغاء.

17- Chersis = Diachersis

خيرسيس = دياخيرسيس

لعلها سيدي بوفاخرة الواقعة جنوب يوسبيريدس، وهي قلعة على طريق سرت الساحلية.

18- Chorotus

خورتوس

لعلها المقرون.

19- Drepanon = Heracleum Promontorium

دريبانون = هيراكليوم برومونتوريوم

اسمها الحالي رأس كركورة، تقع على البحر، ويذكر جودتشايلد أنها تبعد 14 كم عن بوشريبة.

20- Esperidi = Euesperides = Euhesperides

إسبيريدي = يوسبيريدس = يوهسبيريدس[4]

21- Gemmarisci

جيماريسكي

وهي جزيرة على خليج سرت.

---

[1] ينظر: جدول المسافات.

[2] ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (15).

[3] ينظر: توباكتس Thupactis.

[4] ينظر: بيرينيكي Berenice.

22- Kainon = Cainon

كاينون

لعلها ميناء الزويتينة[1].

23- Kozynthion = Kozyntion

كوزينثيون = كوزينتيون

لعلها قصر أو مرسى البريقة، تقع غرب كورنيكلانوم بمسافة 87 كم[2]، ويصفها جودتشايلد بانها لسان صخري داخل البحر توجد على قمته قلعة قديمة، وهذا اللسان يحمي خليجاً واسعاً نسبياً، وهذا الشكل يجعل ميناء كوزينثيون أفضل ميناء طبيعي في خليج سرت[3].

33- Krokodeilos

كروكوديلوس

لعلها عين آجان قرب كورنيكلانوم، وهي سبخة لا تترك بينها وبين البحر إلا ممراً ضيقاً تعبره جمال القوافل.

34- Madrian

مادريان

لعله موقع في جهات كوزينثيون.

35- Maia lsola

مايا إيزولا

لعلها جزيرة الحبري غرب مدينة كورنيكلانوم.

36- Mendrion

ميندريون

لعله موقع في جهات كوزينثيون.

37- Pheaica

ڤيايكا

لعلها أم الرشيف.

38- Pseudopenias

---

[1] ينظر: ملحق الصور، صورة رقم (16).

[2] ينظر: جدول المسافات.

[3] ينظر: خريطة رقم (6).

بسيودوبينياس

لعلها الرأس التي قامت عليها بيرينيكي في العهد البطلمي بعد أن نُقلت من موقعها السابق في يوسبيريدس.

39- Serapeion = Serapeum

سيرابيون = سيرابيوم

لعلها سيدي المشيطي.

40- Sort

سورت

أُستمد هذا الاسم من الاسم القديم سورتس Syrtis الذي بين بروكوبيوس إن له أصلاً إغريقياً هو كلمة سورستاي Suresthai وتعني الفعل يجر إشارة إلى عمل التيارات المائية على السفن التي تدخل إلى الخليج.

41- Stixgi

ستيكسجي

لعلها بوريوم[1].

42- Tagulis

تاجوليس

لعلها بئر العطش، وردت عند جودتشايلد باسم قصر الحدادية.

43- Tiniodiri

ثينيوديري

لعلها قصر البريقة[2].

44- Tramaricum

تراماريكوم

لعلها موقع بوسعدة.

45- TreisolePontiri

تري إيزولي بونتيري

لعلها بئر بورثمة.

46- Zautaberna = Zau = Zatum

---

[1] ينظر: بوريوم Boraum.

[2] ينظر: كوزينثيون Kozynthion.

زاو تابيرنا = زاو = زاتيوم

لعلها زاوية الطيلمون التي يُفسر اسمها بمقطعين هما تل وآمون نسبة إلى الإله آمون التي كانت عبادته منتشرة في ليبيا، حيث كانت له معابد في أوجيلا Augila وزاوتابيرنا وآمونيوباجاي.

المبحث الرابع
مراكز العمران الرومانية

1- Corniclanu = Corniclanum

كورنيكلانو = كورنيكلانوم

اسمها الحالي إجدابيا، وقد وردت في خريطة بيوتنجر على صيغة (Corniclanu) أما عند جودتشايلد فقد وردت على صيغة (Corniclanum).

كانت ملتقى الطرق القادمة من الواحات الشرقية، وكذلك جنوب الجبل الأخضر القاصدة خليج سرت، ورغم إنها لا تبعد إلا ثلاثة كيلومترات عن البحر فإنها كانت أبعد موقع دفاعي ببرقة الرومانية، وكان الرومان يحرسونها في القرن الأول الميلادي بوساطة حامية تقيم فيها، فقد عُثر فيها على آبار رومانية وبعض النقوش، وبين كورنيكلانوم ويوسبيريدس يوجد عدد من المباني المحصنة تشتمل على مجموعة من القلاع التي يُطلق عليها القلاع الليبية الرومانية متناثرة حول خامينوس، وطبيعة هذه المواقع تعطي الإحساس بوجود مجتمع وطني مسته الحضارتان الإغريقية والرومانية مساً خفيفاً، وكانت في العصر الروماني تؤدي مهمة الوسادة التي تتلقى هجمات قبائل ماكوماديس.

وإذا كانت للقلاع حول خامينوس الطابع الليبي، فإنه من المرجح أن تكون قبائل الماكاي الليبية وقد أصبحت موالية للرومان أو البيزنطيين هي التي قامت بتشييدها تحت إشراف هؤلاء، بينما كانت كورنيكلانوم بمثابة رأس الرمح لمنطقة الثغور الرومانية في منطقة خليج سرت.

كان خط الدفاع الخلفي يتكون من ثلاث قلاع هامة في زاوية الطيلمون، الشليظيمة، وزاوية مسوس، وشمال هذا الخط الدفاعي يوجد عدد من المباني الصغيرة المحصنة وتاريخها غير معروف، وتنتشر حتى أطراف مدينة يوسبيريدس.

2- Diarroia

ديارّويا

لعلها ميناء على شواطئ خليج سرت في جوار قصر فدودوارا.

3- Dysopos

ديسوبوس

لعله موقع عند بئر بورثمة.

4- Euphranta = Macomades = Sort

يوفرانتا = ماكوماديس = سورت

اسمها الحالي سرت[1].

5- Euschainon

يوسكاينون

لعله ميناء كورنيكلانوم.

6- Hyphalui = Hyphali

---

[1] ينظر: ماكوماديس Macomades.

هيفالوي = هيفالي

لعله موقع في منطقة كورنيكلانوم.

7- Iscina = Scina

إسكينا = سكينا

ذُكرت في المصادر الرومانية كإحدى المراكز الرومانية المهمة على خليج سرت الكبير، حيث حدد (خط رحلة أنطونين) مكانها بأنه يبعد مسافة 50 كم[1] شرقي ماكوماديس التي كانت نفسها تحتل موقع يوفرانتا السابقة (سرت الحالية) وتبين خريطة بيوتنجر نفس المسافة.

يُرجح البعض وجود جالية يهودية في المدينة خلال العصر الروماني، كما تم الكشف فيها عن سرادب دفن مسيحي وبعض المقابر الوثنية، إلا أن المواقع اللاحقة في الموقع أزالت معظم بقايا العصر الروماني.

وفي اعتقاد البعض أنه من خلال الصور الجوية التي بينت البقايا وامتدادها نحو الغرب، يمكن الترجيح بأن هذه الأسوار كانت بقايا مدينة إسكينا الرومانية التي كانت مركزاً عمرانياً في العصر الروماني، ويُرجح أن إسكينا اضمحلت بفعل مقاومة القبائل الليبية للاحتلال الروماني مثل قبيلة النسامونيس التي تكبدت خسائر بشرية ومادية فادحة بفعل قسوة ووحشية الرومان في إجبارها على الخضوع.

[1] ينظر: جدول المسافات.

الخاتمة

وبعد أن قمت بدراسة خليج سرت الكبير بادئة بأثر العوامل الجغرافية على تاريخه، تبيَّن أن هذه المنطقة تقع في ظل المطر بالنسبة لجبال أطلس وجبل نفوسه، ولكن خلوها من المرتفعات وموازاة شواطئها لاتجاه الرياح أثر على منسوب الأمطار في المنطقة.

ثم تعرضت للقبائل الليبية التي سكنت الموقع، وبيّنت كيف وفد الفينيقيون والإغريق واقتسموا أراضي الخليج، وكيف أشتد الصراع بينهما على مد النفوذ وتوسيع السيطرة، وقام كل من هذه القوى بتأسيس المدن والموانئ وغيرها من مراكز العمران وما تحتاجه من منشآت وقلاع وحصون وأرصفة.

وما نلحظه أن هذه المنطقة عريقة عرفها الفينيقيون والإغريق والرومان، وإنها كانت مرسى السفن، كما كانت سوقاً تجارياً تصلها السلع من مناطق الدواخل، وأنها بلغت شأناً كبيراً في مختلف العهود.

وكان لابد أن ينتهي هذا البحث إلى نتائج لعل من أهمها أن هذه المنطقة رغم ظروفها الجغرافية كانت ذات موقع مهم في ربط منطقتين غنيتين بالزراعة والأمطار وهما جبل نفوسه في الغرب، والجبل الأخضر في الشرق، كما أن تجويف الخليج جعل من الميسور الوصول إلى البحر جنوباً، والاتصال التجاري مع مناطق جنوب الصحراء.

وبناءً على هذه الدراسة عنت إلى توصيات رأيت من المفيد إيرادها لعل فيها فائدة للعلم والعمل على حد سواء :

1- وجوب إجراء مسوح أثرية بحرية أو تحت الماء، فلعل ثمة مخلفات أثرية تساعد على التعرف على تاريخ هذا الخليج، وبناء نظرية تاريخية تكشف الوقائع التي مر بها، وتحقق الإجابات المطلوبة على علامات الاستفهام التي تدور حول تاريخ هذه المنطقة، والمعروف أن اللقيات الأثرية البرية أو البحرية تفيد في توفير الشواهد والأدلة على تاريخ المنطقة، ولعل نتائج المسح الأثرية لأودية خليج سرت الكبير الذي رعته اليونسكو خير حافز على ضرورة إجراء هذه المسوح، خاصة وأن التوسع العمراني يزحف على المواقع الأثرية وربما يؤدي إلى اختفائها.

2- الحاجة الماسة إلى إقامة متحف تجمع فيه اللقيات الأثرية والوثائق والمعلومات عن تاريخ المنطقة القديمة، ويقصده الباحثون للدراسة والتحقيق.

3- الاهتمام بالموانئ ومراكز العمران التي استقر بها السكان في هذا الخليج قديماً، وتحديد طرق وعروض التجارة، وإحياء استثمارها في مجالات الدراسات العلمية والنشاطات السياحية والفعاليات الاقتصادية، خاصة أنه توفر في وقتنا من التنفيذ والمعرفة ما لم يتوافر للأقدمين.

4- على المؤسسات العلمية أن تتجه إلى تعزيز الدراسات العليا والنشاطات البحثه في هذه المنطقة حتى تتكون الفكرة الشاملة المتكاملة عنها.

وآمل أن أكون بهذه الدراسة قد جمعت ما تفرق، وأكملت ما نقص وأوضحت ما عمق ووصلت ما أنقطع في تاريخ هذه المنطقة، فهذه غاية البحث العلمي.

قائمة المصادر والمراجع

- أولاً: المصادر الكلاسيكية
- ثانياً: المراجع
  أ- المراجع العربية
  ب- المراجع المترجمة
  ج- المراجع الأجنبية
- ثالثاً: الدوريات
  أ- الدوريات العربية
  ب- الدوريات الأجنبية
- رابعاً : تقارير ومقالات غير منشورة
- خامساً : القواميس والأطالس والموسوعات
  أ- العربية
  ب- الأجنبية

أولاً : المصادر الكلاسيكية

1- Diodorus Siculus , Bibliotheca Historica, With an English translation by Rossel. The L.C.L ., London, 1968.

2- Herodotus, Histories, With an English translation by A.D., Godley The L.C.L ., London, 1957.

3- Lucanus,M., Annaeus , Pharsalia (ed . Qudendorp) The L.C.L ., Leyden, 1728.

4- Mela, Pomponius, De Charographia (De Situ orbis) (ed Frieck) Leipzig, 1880.

5- Plinius, Natural History, With an English Translation by Reckhamand and Jones , The L.C.L ., London, 1967.

6- Plutarchus, Moralia, With an English translation by A.D. Godley, The L.C.L ., London, 1978.

7- Polybius, Historiae, With an English Translation by Paton, W.R.,The L.C.L ., London, 1975.

8- Procopius , of Caesareas, Buildings, With an English Translation ., H.B., Dewing , The L.C.L .,

9- Ptolemaeus, Claudius, Geographia (ed.C. muller) The L.C.L ., Paris , 1883-1901.

10- Sallustus , Bellum Jugurthinum, The L.C.L .,

11- Scylax, Periplus, Geographia Graeci Minores, ed.C. Muller, The L.C.L .,

12- Silius Italicus, De bello Punico (ed. Ruperti and Lemaire), With an English Translation by R eckhamand and Jones, H.S., The, L.C.L ., Paris 1823.

13- Strabo, Geography, With an English Translation by Horace Leonard Jones, L.C.L ., London, 1969- 1970.

ثانياً : المراجع
1- المراجع العربية

1- الأثرم، رجب عبد الحميد، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي، بنغازي، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ط2 1975.
2- ـ تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط3 1998.
3- الأعور، محمد علي "المظاهر الساحلية وعلاقتها بالتشريعات الليبية " في مجلد الجماهيرية دراسة في الجغرافية، ط1 1995.
4- أنديشه، أحمد محمد، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط1 1993.
5- ـــ الحياة الاجتماعية في المرافئ الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية، سرت، منشورات جامعة التحدي، ط1 2008.
6- أيوب، محمد سليمان "جرمة في عصر ازدهارها الذهبي" في مجلد ليبيا في التاريخ، بيروت، دار المشرق، 1968.
7-ـ "حملة كورنيليوس بالبوس في فزان سنة 19 ق.م" في مجلد ليبيا في التاريخ، بيروت، دار المشرق، 1968.
8- ـ جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، طرابلس- ليبيا، دار المصراتي للطباعة والنشر، ط1 1969.
9- ـ مختصر تاريخ فزان، طرابلس، المطبعة الليبية، ط1 (د.ت).
10- بازامه، محمد مصطفى، تاريخ ليبيا في عصور ما قبل التاريخ، ج1، بنغازي، منشورات الجامعة الليبية، ط1 1973.
11- باقر، طه "عصور ما قبل التاريخ وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة" في مجلد ليبيا في التاريخ، بيروت، دار المشرق، 1968.
12- البرغوثي، عبد اللطيف محمود، التاريخ الليبي القديم منذ أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، بيروت، دار صادر، ط1 1970.
13- جودة، حسين جودة، الجغرافيا الطبيعية للصحاري العربية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1 1995.
14- الجوهري، يسري، دراسات في الجغرافيا التاريخية الإسكندرية، دار المعارف، ط1 1967.
15- حسن، سليم مصر القديمة ج3، القاهرة، ط1 1950.
16- خشيم، علي فهمي، قراءات ليبية، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ط1 (د.ت).
17- رفعت، محمد، تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية، القاهرة، ط1 1950.

18- شرف، عبد العزيز طريح، جغرافية ليبيا، الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ط3 1996.
19- شقلوف، مسعود رمضان، سرت تاريخها وآثارها، بنغازي، مصلحة الآثار، ط1 1985.
20- شلوف، عبد السلام محمد ديوان بنغازي" بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط1 2001.
21-ـ الأسماء القديمة للمدن والقرى الليبية، بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط1 2002.
22- أبوشناقي، منير ،المدن القديمة في الجزائر، الجزائر، وزارة الإعلام والثقافة، ط1 1982.
23- الصياد، محمد محمود، معالم جغرافية الوطن العربي، ج1، بيروت، دار النهضة العربية، ط1 1970.
24- عبده، طلعت أحمد محمد ،الجغرافية التاريخية في البلايستوسين، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1 1991.
25- عبد العليم، مصطفى كمال ،دراسات في تاريخ ليبيا القديم، بنغازي، المطبعة الأهلية، ط1 1966.
26- علي، عبد اللطيف أحمد، التاريخ الروماني "عصر الثورة من تيبريوس جراكوس إلى أكتافيوس أغسطس" القاهرة، ط1 1967.
27-ـ مصادر التاريخ الروماني، بيروت، دار النهضة العربية، ط1 1970.
28- عمورة، علي الميلودي ،ليبيا تطور المدن والتخطيط الحضري، بيروت، دار الملتقى للطباعة والنشر، ط1 1981.
29- علي، جواد، ،المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج6، بيروت، دار العلم للملايين، ط1 1980.
30- عياد، محمد كامل، ،تاريخ اليونان، ج1، دمشق، دار الفكر، ط1 1980.
31- غلاب، محمد السيد، تطور الجنس البشري، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4 1970.
32- قديدة، رمضان، "ليبيا في عهد الأسرة السويرية" في مجلد ليبيا في التاريخ، بيروت، دار المشرق، 1968.
33- القواسمي، إبراهيم عبد الرازق، دراسات في تاريخ المشرق العربي منذ أقدم العصور حتى 539 ق.م، طبرق – ليبيا، منشورات جامعة المسيرة الكبرى، ط1 2004.
34- لامه، أحمد غيث، مختصر تاريخ سرت منذ أقدم العصور إلى الحرب العالمية الثانية، سرت، منشورات اللجنة الشعبية لشعبية سرت، ط1 2005.
35- محمود، حسن سليمان، ليبيا بين الماضي والحاضر ،القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ط1 1962.
36- محمد، محمد الفتحي بكير ، الجغرافية التاريخية دراسة أصولية تطبيقية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1 1999.

37- أبو مدينة، حسين مسعود،الموانئ الليبية، مصراته – ليبيا، منشورات الشركة الاشتراكية للموانئ، ط1 2000.
38-ـ ميناء مصراته بين الماضي والحاضر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1 2002.
39- مناع، محمد عبد الرازق، الصحراء الليبية مصدر أقدم الحضارات ، طرابلس، دار مكتبة الفكر، ط1 1969.
40-ـــ سبتيميوس سيفيروس إمبراطور روما العربي، طرابلس- ليبيا، دار مكتبة الفكر، ط1 1973.
41- مهران، محمد بيومي، مصر والشرق الأدنى القديم، ج9 (المغرب القديم) الإسكندرية، دار المعرفة العربية للكتاب، ط1 1978.
42- الميار، عبد الحفيظ فضيل، الحضارة الفينيقية في ليبيا، بنغازي، دار الكتب الوطنية، ط1 2001.
43- ـــ دراسة تحليلية للنقائش الفينيقية البونية في إقليم المدن الثلاث في ليبيا ،طرابلس، منشورات جامعة الفاتح ، ط1 2005.
44- الميار، عبد الكريم فضيل، قورينة في العصر الروماني، طرابلس، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع، ط1 1978.
45- ناجي، محمود، تاريخ طرابلس الغرب، بيروت، مطبعة غريب، ط1 1970.
46- نصحي، إبراهيم، تاريخ الرومان، ج1، منشورات الجامعة الليبية، ط1 1990.
47- الناضوري، رشيد، المغرب الكبير، ج1 ، بيروت، دار النهضة العربية، ط1 1980.
48-الهرام، فتحي أحمد،" التضاريس والجيومورفولوجيا"، في مجلد الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، بنغازي، الدار الجماهيرية للنشر، 1995.
49- وهيبة، عبد الفتاح محمد، الجغرافية التاريخية، الإسكندرية، دار منشأة المعارف، ط1 (د.ت).
50- يحي، لطفي عبد الوهاب، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط1 (د.ت).

2- المراجع المترجمة

1- أندريه، شارل جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، (ترجمة : محمد مزالي وآخر) تونس، الدار التونسية للنشر، ط1 1969.

2- بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، (ترجمة: عبد الهادي بولقمة)، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط2 1988.

3- بيشون، جاك، المسألة الليبية في تسوية السلام، (ترجمة: علي ضوي)، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط1 1991.

4- جودتشايلد، دراسات ليبية، (ترجمة : عبد الحفيظ فضيل الميار)، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، 1999.

5- ــ قورينا وأبولونيا ، (ترجمة: الإدارة العامة للآثار الليبية) طرابلس، إدارة البحوث الأثرية، (د.ت).

6- حبيب، هنري، ليبيا بين الماضي والحاضر، (ترجمة: شاكر زاهر)، طرابلس، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، ط1 1981.

7- حتي، فيليب، تاريخ سورية ولبنان، ج1 ، (ترجمة : جورج حداد وآخر)، بيروت، دار الثقافة، ط2 1958.

8- ديكيريه، فرنسوا، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، (ترجمة: عز الدين أحمد عزو)، القاهرة، دار الأهالي للطباعة والنشر، ط1 1996.

9- راي، إدوارد، المغرب العربي في القرن التاسع عشر (ترجمة : مصطفى محمد جودة)، طرابلس، دار مكتبة الفكر، ط1 1968.

10- رستوفزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، (ترجمة: علي زكي وآخر)ج1 ، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1 1995.

11- سترابو، جغرافية سترافون (وصف ليبيا ومصر)، (ترجمة: محمد المبروك الذويب) ج17، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط1 2003.

12- شامو، فرنسوا، الإغريق في برقة ،(ترجمة : محمد عبد الكريم الوافي) بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط1 1990.

13- غوتيه، أ.ف، ماضي شمال أفريقيا، (ترجمة: هاشم الحسيني) طرابلس، دار الفرجاني، ط1 1970.

14- لاروند، أندريه، برقة في العصر الهلينستي، (ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي) بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، ط1 2002.

15- لاشيلا، باولودي، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة في عام 1817 ، (ترجمة : الهادي مصطفى أبو لقمة) طرابلس- ليبيا، منشورات دار الفكر، ط1 1968.
16- لوت، هنري، لوحات تاسيلي، (ترجمة: أنيس زكي حسن)، بيروت، ط1 1967.
17- خشيم، علي فهمي، نصوص ليبية، طرابلس، دار مكتبة الفكر، ط2 1975.
18- هيرودوتس، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتوس (هيرودوت) الكتاب السكيثي والكتاب الليبي،(ترجمة : محمد المبروك الذويب) بنغازي، جامعة قاريونس، ط1 2003.

3- المراجع الأجنبية

1- Bates, O., Estern Libyans , London , Macmillan and Co ., 1914.

2- Barth , H ., Reisn Und Entdeckungen in Nord Und Central Africa (I) Gotha , 1859, Vol. I.

3- Bartoccini, R., " Rinveniment Vari de Interesse Archeologi in Tripolitania 1920-1925 " , AI ., 1, 1927.

4- Bertarelli, L.V., Gudia, D Italia, Milano, 1929.

5- Bovill . E., The Golden Trade of The Moors Oxford Uni., Press , London , 1963.

6- Bochart, S., Geographia Socra, Seu Phaleget Canann in Opera Omnia (ed . Leyden) Utrecht , 1712.

7- Gerham, A., Roman Africa , Press Freeport, New.

8- Goodchild, Tabula Imperii Romani, Cyrene, Sheet, H.I. 34, Oxford, The Society of Antiquities, London, 1954. PP.

9- Hammond, N.G.L., (et al) The Oxford Classical Dictionary, Second Edition, Clarendon Press, Oxford , 1969.

10- Haynes , D.E.L., Antiquities of Tripolitania , Tripoli, 1965.

11- Kraeling , Carl, Ptolemais City of the Libyan Pentapolis , Chicago, 1962.

12- Mattingly, D.I., Tripolitania, Manchester, Uni., of Manchester London, 1984.

13- Mcburney, C.B.M., (et al) Prehistory and Pleistocene Geology in Cyrenaica , Libya, Cambridg, Uni., Press, 1955.

14- Merighi, La Tripolitania Antica , Vol, I, 1940.

15- Romanelli, P., Lacirenaica Roman, Verbania, 1943.

16- Soames, J., The Coast of Barbary , First Published , London, 1938.

17 - Stucchi, Sandro, Architturo Cirenaica, Roma, 1975.

18-Tabula Peutingeriana, ed .K.Miller.

19- Thrige, J. P., Res Cyrenesium, Airoldi Editore Verbania , Italy, 1940.

ثالثاً : الدوريات
1- الدوريات العربية

1- جاد الله، فوزي فهيم، "المعارك والمواقع الحربية الهامة بين الليبيين والمستعمرين من الإغريق والرومان" مركز دراسة جهاد الليبيين، 1981.
2- الجراري، محمد الطاهر، "الغاية من تأسيس قورينا" في مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.
3-ـ "موقف القبائل الليبية من الغزو الروماني" في مجلة الثقافة العربية، ج7 (يوليو، 1982).
4- الحداد، عوض يوسف "إقليم خليج سرت بين حتمية البيئة وضرورة التنمية" في مجلة قاريونس العلمية، ع1 و 2 (1999).
5- شرف، عبد العزيز طريح "مشكلة الأمطار في ليبيا" في مجلة كلية الآداب والتربية، بنغازي، الجامعة الليبية، مج 1 (1995).
6- شلوف، عبد السلام محمد "قبيلة المارماريداي" في مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، ع2 (يوليو، 1989).
7-ـ "دراسات في تاريخ ليبيا القديم : قبيلة النسامونيس" في مجلة قاريونس العلمية، العددان1 و 2، بنغازي، منشورات جامعة قاريونس، (1991).
8-ـ "المواقع والوقائع الليبية" في مجلة تراث الشعب، ع1 (2007).
9- فارس، محمد مصطفى "الحياة الثقافية في ليبيا القديمة " في مجلة البحوث التاريخية، طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ع2 (1984).
10-ـ "العلاقات بين الليبيين واليونان في إقليم قورينائية على ضوء ما ورد عند هيرودوتس" في مجلة البحوث التاريخية، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ع2 (1985).
11- المدني، أحمد توفيق "الفينيقيون" في مجلة اللسان العربي، الرباط، المكتب الدائم لتنسيق التعربة، ع3 (1995).
12- المنصوري، خديجة "الصلات البحرية في حوض البحر المتوسط" في مجلة البحوث التاريخية، ع2 (يوليو، 2003).

2- الدوريات الأجنبية

1- Fehervari, Gaza, Excavations at surt (1977-1981) in LS., (2002).

2- Goodchild "Arae Philaenorum and Automalax " PBSR, XX (1952) PP94-110.

3- ———" Boreum of Cyrenaica " JRS. XII (1951).

4- ———Maping Roman Libya, Geography Journal, (1952).

5- ———" Medin Sultan (Charax – Iscina – Sort) " L.A., (1964).

6- ———, Libyan Studies (ed . Joyce Reynolds) London, Paul Elek, 1976.

7- Mattingly, "Libyans and the Limes Culture and Society in Roman Tripolitania" in A.A. 23 (1987)

8- Pagano, Valeria Purcaro, " Le Rotte antiche tra La Grecie ela Cirenaica e gli Itineraria Marittimi e della Grand Sirte " in QAL, Vermo di banetschneider, Roma, (1976).

9- Preece, Chris , " Marsa Brega : aftal Port of call Evidence For Shipwreck, anchorage and trade in Antiquity in the Gulf of Sirte " LS., Vol , 31 (2000).

رابعاً : تقارير ومقالات غير منشورة

1- البعثة الفرنسية الأثرية في ليبيا، الحملة الثالثة للتنقيب في الوديان الليبية، 1994.
2- الرحيبي، عبد الله علي "مدينة سرت القديمة ظهورها وازدهارها وتوقفها" (بحث لم يُنشر).
3-ـ "تنقيب أثري في منطقة سرت بليبيا 1993"، تقرير مهمة ضمن مشروع اليونسكو.
4- كينت، ديرك "اليونسكو لمسح ودراسة الأودية العربية" (ترجمة : عبد الله الرحيبي) البعثة الأثرية الفرنسية في ليبيا، موسم 1990 – 1993.

خامساً : القواميس والأطالس والموسوعات

1- العربية

- الأطلس الوطني للجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، 1976م.

- الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها في العصرين اليوناني والروماني، مج1، ج2 ، 1930.

2- الأجنبية

- Harold Fullard , Atlas of The World , London , The English Uni., Press, 1964.

- Tim Cornell , (et al) Atlas of The Roman World , Oxford, Phaidon, 1982.

- Warrington, John, Every Man's Classical Dictionary, London.

الملاحق

- أولاً : شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة
- ثانياً : جدول المسافات
- ثالثاً : الخرائط
- رابعاً : الصور الفوتوغرافية

أولاً : شرح أهم المصطلحات الواردة في الرسالة

* الدليل الأنطونيني Antonina Itineraria

وإتينيراريا Itineraria تعني أدلة (جمع دليل) الأسفار[1]، وقد ظهر هذا الدليل في عصر الإمبراطور كاركلا الذي كان أسمه الرسمي هو أنطونيوس Antonius[2]، وقد نُشر في العصر الروماني نوعان من هذه الأدلة أحدهما عبارة عن كُتب Adnotata Itineraria تصف الطرق وتذكر المدن التي تمر بها هذه الطرق، وطول المسافة بين كل مدينة وأخرى، والنوع الآخر عبارة عن أطالس Itineraria Picta (جمع أطلس) بها خرائط تضم معلومات مماثلة للمعلومات الواردة في النوع الأول، وقد استمد ناشرو هذين النوعين من الأدلة أكثر معلوماتهم من خريطة الإمبراطورية الرومانية التي وضعها أجريبا Agrippa في عصر أغسطس، وعلى مر الزمن أُضيفت إلى هذه المعلومات تفاصيل كثيرة نتيجة لإتساع رقعة الإمبراطورية الرومانية وزيادة عدد الطرق، ومن أهم ما وصل إلينا من النوع الأول الدليل المعروف باسم الدليل الأنطونيني، ويحتمل أن نسخته الأصلية ترجع إلى أوائل القرن الثالث الميلادي، ثم زيدت عليها بعد ذلك معلومات إضافية متأخرة في تاريخها، وهذا الدليل يتناول كل الطرق والمدن تقريباً في الإمبراطورية الرومانية، ومع افتقاره في الترتيب إلى النظام الدقيق إلا أنه ذو قيمة كبيرة للتعرف على مواقع المدن وأسمائها، وقد وضح ذلك فيما ذكره هذا الدليل عن مراكز العمران الواقعة في خليج سرت الكبير[3].

* كاتو، ماركوس بوركيوس (Cato, Marcus Porcius) (232 – 147 ق.م)

رجل دولة روماني، لقب بالأكبر أو الكينسور يتميز عن حفيده كاتو الأصغر، ولد في توسكولوم Tusculum عمل بين سنتي (217 – 191 ق.م) في الحروب الرومانية القرطاجية والحملات ضد أنطيوخس الثالث، وبإنتصار الرومان على أنطيوخس في معركة ثرموبولاي Thermopylae عام 101ق.م، انتهت مهامه العسكرية، أنتخب كينسوراً مع ڤاليريوس فلاكوس Valerius Flaccus عام 184ق.م، أُرسل إلى أفريقيا مبعوثاً رومانياً للتحكيم بين ماسينيسا Masinissa والقرطاجيين وتم إقناعه بأن روما لن تكون في أمان طالما استمر وجود قرطاجة، ومنذ ذلك عندما يدعى للحديث في مجلس الشيوخ، ولو كان الموضوع لا يتصل بقرطاجة يختم كلامه بالقول لابد أن تدمر قرطاجة[4] Delenda est Carthago .

---

[1] لاروند، المرجع السابق، ص 309 .

[2] Goodchild, L.S., P. 156 n.2.

[3] الموسوعة المصرية، تاريخ مصر القديمة وآثارها في العصر اليوناني والروماني، مج1، ج2، 1930، مادة إتينيراريا.

[4] Warrington, John, Everyman's Classical Dictionary, London, Everyman's Reference Library, J.M.Dentand Sons Cato .

*** كاركلا ماركوس أوريليوس أنطونينوس (Caracalla Marcus Orelius Antoninus) (188 – 217م)**

إمبراطور روماني ولد عام 188م، وتوفى عام 217 م، تولى حكم الإمبراطورية الرومانية من عام 211 – 217 م، وبعد وفاة أبيه سبتيميوس سيفيروس قتل أخاه جيتا وأنفرد بالحكم عام 212 م وأضطهد أنصار أخيه، وأهم عمل قام به هو منح حقوق المواطنة الرومانية لسكان الإمبراطورية[1].

*** كاتو الأصغر، ماركوس بوركيوس (Cato,Marcus Porcius) (95–46 ق.م)**

حفيد كاتو الأكبر، كُلف في شبابه بدراسة الخطابة والفلسفة، وأصبح من أتباع المدرسة الرواقية، وأنتخب تريبوناً للعامة سنة 63 ق.م، وأشتهر بنزاهته واستقامة أخلاقه وصلابته في الحق، وكان معارضاً للحكومة الثلاثية الأولى، وُرتب إبعاده عن روما أثناء غياب قيصر في بلاد الغال، دعم شيشرو وصار من أشهر أعضاء مجلس الشيوخ، وأنحاز إلى جانب بومبيوس.

في عام 58 ق.م صدر قانون بسلخ قبرص عن دولة البطالمة وضمها إلى الإمبراطورية الرومانية، وأسندت إليه مهمة الاستيلاء على كنوز قبرص بحجة إنه خير من يؤتمن على ذلك، ولكي لاينهي مهمته سريعاً ويعود إلى روما عُهد إليه أيضاً بفض المنازعات في بيزنطة، وعندما نشبت الحرب الأهلية عام 49 ق.م أنظم إلى بومبيوس ضد قيصر، وبعد هزيمة بومبيوس في فارسالوس Pharsalus عام 48 ق.م ذهب إلى أفريقيا حيث أنظم إلى باقي أعداء قيصر بقيادة ميتيلوس سكيبيو Metellus Scipio، وفي عام 47 ق.م خرج كاتو الأصغر من مدينة برينيكي، وأرتحل دائراً حول خليج سرت براً في خلال ثلاثين يوماً وهو يقود جيشاً قوامه أكثر من عشرة آلاف رجل مقسماً إياهم إلى فرق بسبب ندرة مواقع الماء، وسافر على قدميه في الرمال الغامرة والحرارة اللاهبة، [2] وبعد انتصار قيصر على سكيبيو في معركة ثابسوس عام 47 ق.م، وإدعام كل شمال أفريقيا له فيما عدا عُتيقة فركاتو الصغير إليها حيث انتحر مفضلاً الموت على الاستسلام لقيصر[3].

*** نهر كينوبس (Cinyps)** : وقد حُرف اسمه الآن إلى وادي كعام غربي مدينة زليطن بمسافة 15 كم وقد تحدث عنه هيرودوتس في الكتاب الرابع من كتابه التواريخ فقرة (198) وقال "إن هذه المنطقة نظيرة لأخصب أراضي القمح في العالم، وتختلف تماماً عن بقية ليبيا، إذا أن التربة فيها سوداء وتمدها الينابيع بمياه وفيرة، ولا تخشى الجفاف، كما لا تضار شابيب الأمطار الغزيرة (فهذا الجزء من ليبيا مطير)، وأن محصولها من القمح هو بنفس محصول أرض بابل كما أن

---

[1] الموسوعة المصرية، مادة كاركلا .

[2] Everyman,s Classical Dictionary § Cato

[3] Str.,geog.,Xvll.3.

الأرض التي يسكنها (اليوهسبيرتاي) جيدة كذلك فهي تغل على الأكثر مائة ضعف، لكن أرض كينوبس تغل ثلاثمائة ضعف[1] ".

*** كورينايكا (Cyrenaika)**

جاء اسم كورينايكا في العصر الروماني نسبة إلى المدينة الإغريقية كوريني "شحات" أقدم وأشهر مدن الإقليم الكلاسيكية، ويكون نطقها (كورينايكا) [2]، وقد أعتاد الكُتاب العرب كتابتها بأشكال متعددة منها قوريني، قورينا، قيريني، كيريني، قورانا، سيرن، بسبب نقلهم عن اللغات العربية الحديثة، وأميل إلى النطق الذي ينسب إلى عالم لغات هولندي عاش في القرن الخامس عشر الميلادي ينطق الحرف المتحرك يوتا نطقاً يشبه نطق حرف يو (U) في اللغات الأوروبية الحديثة مما جعل المترجمين في اللغات الأوروبية يأخذون بهذا النطق ويرسمون الواو بدل الياء، ويكون نطقها كورينايكا[3]، وجرياً على عادة العرب استبدال حرف (C) الذي أصله كابا (K) في اللغة الإغريقية بحرف (ق) في اللغات الأجنبية، وحرف (T) في اللغات الأجنبية بحرف (ط) في اللغة العربية، فقد رأى الكُتاب أن يكون اسم الإقليم هو قورينايكا، وما يلحظ هو أن هذا الاسم ما زال يرد في المصادر الأجنبية مرادفاً للاسم العربي برقة (باركي– المرج) على هيأة سيرينايكا "Cyrenaica" في الإنجليزية، وتشيرينايكا "Cirenaica" في الإيطالية، وسيرينابيك "Cyrenaique" في الفرنسية، وكورينايكا "Kyrenaika" في الألمانية..الخ.

والمصطلح يتكون من مقطعين أولهما كوريناي "Cyrenai" أي كورني وثانيهما (Ca) ويعني إقليم أو أرض أو وطن أو منطقة[4].

وحدود الموقع الجغرافي لكورينايكا التي يشملها هذا الاسم تضيق وتتسع حسب الظروف والأحوال في الفترات المختلفة، إذ يذكر كاليماخوس[5]، مثلاً أنه "... في الأربعينات كانت مصر وكوريني خاضعتين للحكم نفسه، وهكذا كان نهر كينوبس يجري عند النهاية الغربية لمملكة البطالة ووراءه تمتد أرض القرطاجيين" إلا أن الرأي قد أستقر مؤخراً عند أغلب الباحثين على أن يكون هذا الإقليم هو المنطقة الواقعة على وجه التقريب ما بين خطي طول 20^0 و 23^0 شرقاً، وما بين خطي عرض 32^0 و 33^0 شمالاً[6]، وهي شبه الجزيرة على هيأة نصف دائرة محصورة

---

[1] Hdt.,Hist.,IV. 198.

[2] شلوف، العهد الإغريقي في كورينايكا في ضوء إصداراته القانونية، رسالة دكتورة قدمت لكلية الآداب، جامعة قاريونس، ص35.

[3] هيرودوتس، المرجع السابق، ص 23، هامش 5.

[4] نفسه.

[5] Call.,(Trans.C.A.,Trypanis) , L.C.L, 1953, pp 233 – 235 no.1 .

[6] شرف، المرجع السابق، ص53.

بين خليج البمبه في الشرق، وخليج سرت الكبير في الغرب، والبحر المتوسط في الشمال، والخط الوهمي الممتد ما بين خامينوس وبالوريوس (التميمي) [1].

ومن الناحية التاريخية فإن مدينة كوريني أُسست عام 631 ق.م وعرفت عهد أسرة باتوس (631 – 450 ق.م)، ثم العهد الجمهوري (450 – 321 ق.م)، ثم العهد البطلمي (321 – 96 ق.م) عندما أصبحت تحت الهيمنة الرومانية، ولكنها لم تصبح ولاية رومانية إلا في عام 74 ق.م[2].

*** ديودوروس الصقلي Diodorus Siculus (92 – 30 ق.م)**

هو مؤرخ إغريقي عاش خلال العصر الروماني، فلقد ولد في بلدة أجيريوم Agyrium بجزيرة صقلية حوالي سنة 92 ق.م، وتوفي حوالي سنة 30 ق.م، وكان معاصراً للإمبراطورين الرومانيين يوليوس قيصر وأغسطس، ومن أشهر مؤلفاته كتاب "المكتبة التاريخية" وعنوانه بلغته الأصلية (Bibliotheca Historica) وهو كتاب يتناول الأحداث التاريخية منذ أقدم العصور الأسطورية وحتى وقوع الحرب الغالية في عصر يوليوس قيصر حوالي سنة 58 ق.م ويقع هذا الكتاب العظيم في أربعين مجلد، وقد وصلت بعض أجزائه كاملة أو على شكل مقتطفات وشذرات ونصوص مقتضبة عبر كتب المؤرخين البيزنطيين.

ويؤرخ كتاب ديودوروس الصقلي "المكتبة التاريخية" لمدى زماني يُغطى ألفاً ومائتي سنة، هذا زيادة عن فترة ما قبل التاريخ، والكتاب مقسم إلى ثلاثة أقسام[3]. وتوجد في الجزء الثالث من كتابه معلومات شتى عن ليبيا وجغرافيتها وأهلها القدامى وقبائلها كالتمحو والتحنو وغيرهم، فيعتبر ديودوروس أهم من وصف أساطير الليبيين والجماعات الليبية متناولاً المظاهر الجغرافية والطبيعية للبلاد، وكذلك النساء الليبيات المحاربات، ولعله كان يميل إلى التقاط الموافق الطريفة والجوانب المثيرة فتختلط عنده الحقائق بالخيال اختلاطاً شديداً مما يصعب التمييز بين الصحيح وما هو غير ذلك، لكن هذا ما يمنع من اعتباره كاتباً ومؤرخاً عظيماً كثيراً ما استند إليه من جاء من بعده من الكتاب والمؤرخين[4].

هيرودوتس (Herodotus) (484 – 424 ق.م)

هو مؤرخ إغريقي، ولد عام 484 ق.م بمدينة هاليكارناسوس (Halicarnassus) في آسيا الصغرى، وتوفي حوالي 424 ق.م، ينحدر من أسرة عريقة مشهورة في هذه المدينة، وقد تعرضت لإنشغالها بالسياسة لألوان من المحن أثرت في حياته، فآثر الهجرة ينشد الحرية، فرحل

---

[1] شلوف، المرجع السابق، ص 37.

[2] الموسوعة المصرية، مادة كورينايكا.

[3] علي، المرجع السابق، ص 60.

[4] خشيم، المرجع السابق، ص 147.

إلى جزيرة ساموس غير أنه لم يلبث أن هرب من اضطهاد طاغية مسقط رأسه المدعو لوغداميس الذي قتل عمه لنشاطه السياسي المعادي لهذا الطاغية[1]، وخلال سبعة عشر عاماً ظل يطوف العالم المعروف يومذاك، فزار ما مقداره 24^0 عرضاً و 31^0 طولاً في اليونان وجزر بحر أيجه، وآسيا الصغرى، وبلاد ما بين النهرين، وأقاصي سواحل البحر الأسود، وسكيندیا، وتراقيا، وسوريا، وفلسطين، ومصر حتى أسوان، وكورينا، ثم عاد إلى مسقط رأسه بعد عزل الطاغية[2]، وتركه حوالي عام 447 ق.م، وأستقر في أثينا، وألف كتابه التواريخ (Histories) ويتألف من تسعة كتب يحمل كل كتاب منها اسم إحدى ربات الفنون والعلوم عند الإغريق (Musae) من بنات زيوس التسع، والموضوع الرئيسي في هذا الكتاب هو (الحروب الميدية) وهي الحروب التي وقعت بين الإغريق والفرس خلال القرن الخامس قبل الميلاد، ولقد عرض فيه سمة التضاد بين الشرق متمثلاً في فارس ومصر، وبين الغرب متمثلاً في الحضارة الإغريقية، وحاول هيرودوتس في هذا الكتاب وصف نشوء الإمبراطورية الفارسية.

كُتب الكتاب بأسلوب وصفي تقريري يفتقر إلى التحليل والنقد، وغلبت عليه صبغة الحشو والإستطراد، وذكر القصص والأساطير[3]، ويعتبر الجزء الرابع من الكتاب من أهم مصادر تاريخ ليبيا القديم، وقد أسماه "الكتاب الليبي""Libykoilogoi"، ويبدأ الكتاب الليبي بالفقرة 145 حتى الفقرة 205، وقد تحدث هيرودوتس عن ليبيا مرتين الأولى في الكتاب الثاني الفقرات (32 – 33 – 34 – 50 – 181) بينما يبدأ الكتاب الليبي عادة بالفقرة 145، وهو مصدر هام في دراسة الاستيطان الإغريقي في كوريني وأسرة باتوس، وإنشاء كوريني والحملة الفارسية ضد مدينة برقة، والقبائل الليبية الممتدة من مصر حتى المحيط الأطلسي مثل: الأدورماخيداي، والجيليجاماي، والاسبوستاي، الأوسيخيساسي، والبكاليس، والنسامونيس، والماكاي، والجرامنتس وغيرها من القبائل الليبية الأخرى[4].

ينسب إليه ابتكار لغة تأليف جديدة، ونوع أدبي حديث لسرد الحقائق، كما أدخل الفلسفة في التاريخ، وبالرغم من ذلك فقد تعرض لكثير من النقد في اعتماده على معلومات من سبقوه، وقد استعان بالإغريق الذين كانوا يقيمون في مصر من ناحية، ثم بالأدلاء والمترجمين الذين كانوا يرافقون الأجانب أثناء زيارتهم لآثار البلاد من ناحية أخرى، ويبدو أن هؤلاء خدعوه فيما نقله من روايات، لأنه كان يجهل اللغة المصرية، ولعله قد شك بالفعل في هذه المعلومات حيث ردد مرات عديدة أنه لم يصدق كل ما كان يسمع، ولكن ذلك لم يمنع الخطيب

---

(1) البرغوثي، المرجع السابق، ص ص 652–653.

(2) خشيم، المرجع السابق، ص 15.

(3) شامو، المرجع السابق، ص 107.

(4) لاروند، المرجع السابق، ص 410.

شيشرو (Cicero) من أن يلقبه (بأبو التاريخ) وما كان ذلك إلا لأنه كان أول من صنف كتاباً جمع فيه ما دار من أحداث قبله وفي أيامه، وسجلها بغية إيصالها إلى الأجيال القادمة باذلاً أقصى جهده في هذا الجمع والتسجيل، ومستخدماً مختلف الطرق التي يتبعها المؤرخون لتسجيل تاريخ الشعوب والأفراد[1].

*** أوفيلاس (Ophellas)**

قائد أرسله بطلميوس والي مصر على رأس قوة برية وبحرية إلى كوريني عندما شبت فيها نيران الثورة عام 323 ق.م وانقسمت إلى فريقين، استنجد أحدهما ببطلميوس، وتولى قيادة الفريق الآخر ضابطان من المرتزقة فتمكن أوفيلاس من هزيمتهما، وعندئذ جاء بطلميوس بنفسه إلى كوريني عام 322ق.م واعلن أوفيلاس حاكماً عليها إلا أنه شق عصا الطاعة على بطلميوس عام 311 ق.م وتحالف مع أجاثوكليس طاغية سيراكوزه ليعاونه على محاربة قرطاجة لقاء اقتسام الأسلاب، ولكن الحليفين اختلفا فقضى أجاثوكليس على أوفيلاس عام 308 ق.م مما أتاح لبطلميوس استعادة كوريني[2].

*** بروكوبيوس القيصري (Procopius of caesereas)**

هو مؤرخ بيزنطي، ولد في قيصرية بفلسطين عند نهاية القرن الخامس الميلادي، وتوفى بعد سنة 559م[3]، اشتغل بالمحاماة في القسطنطينية، ثم عُين أمين سر خاصاً للقائد (بيلاسيريوس) عام 527 م، وصاحبه في حملاته على فارس وأفريقيا وإيطاليا ثم عاد إلى القسطنطينية عام 540 م، وتقع كتاباته في ثلاثة أقسام : (التواريخ) في ثمانية كتب، و(عمائر جستنيان) في ست كتب و (الذكريات غير المنشورة) وسميت بهذا الاسم لأنها لم تنشر في حياة الكاتب.

ويسمى بروكوبيوس كتاب التواريخ باسم (كتب عن الحرب) واشتهرت بكتاب (الحروب) وهي تتحدث عن الحروب الفارسية، والوندالية، والقوطية، ويعرض في تناوله للحرب الأولى، حرب الإمبراطور جستنيان ضد الفرس، ويتناول في الثانية استيلاء الرومان على مملكة الوندال في أفريقيا، والحروب التي وقعت بين الوندال والرومان، أما الحرب الثالثة فتتناول حروب الرومان في صقلية ضد القوط.

ويحوي كتاب العمائر (Buildings) قائمة بأعمال ومنشئات أنجزت في عهد الإمبراطور جستنيان، ويبدو أنه كتب برغبة إمبراطورية خاصة كما يعتقد بعض الباحثين، إذ يحوي انطباعات شخصية كثيرة، ويتميز بطابع التقرير الرسمي، وتملق الإمبراطور وتمجيد أعماله[4].

---

(1) البرغوثي، المرجع السابق، ص 654.

(2) الموسوعة المصرية، مادة أوفيلاس.

(3) لاروند، المرجع السابق، ص 219.

(4) خشيم، المرجع السابق، ص 171.

*** بطلميوس الجغرافي**

هو كلاوديوس بُتوليمايوس (Claudius ptolemaeus) ويلقب ببطلميوس الإسكندري، وكذلك ببطلميوس القلودي عند المؤرخين المسلمين.

ولد في مصر، وأقام في الإسكندرية، وعُرف بنشاطه العلمي في الفترة من (127 – 148 م) وهو مؤرخ وفلكي وجغرافي وعالم رياضيات، توفى عن 78 سنة، ذكره المؤرخ اليعقوبي، وكذلك ابن فاتك في (مختار الحكم ومحاسن الكلم) وكذلك المسعودي في (مروج الذهب ومعادن الجوهر) وفي كتاب (التنبيه والإشراف) [1].

اكتسب شهرة واسعة ومكانة كبيرة، بسبب مؤلفاته الكثيرة التي ترجم المسلمون أغلبها، ومن أشهرها اثنان، أولهما الفلك وسمي المجموعة الكبرى (Megale Syntaxis) وأطلق المسلمون عليه (المجسطي) وهو من أهم كُتب الفلك عند القدماء، وقد تُرجم إلى العربية في عهد العباسيين وقوامه ثلاثة عشر جزء، وقد شرح في الجزئين الأول والثاني كثيراً من الظواهر الفلكية، وذكر أوقات شروق وغروب العديد من أجرام السماء المختلفة في مناطق الأرض المتباينة، وبرهن على كروية الأرض، وأعطى طول محيطها، وقد تناول بالبحث في بقية الأجزاء على الترتيب المسائل المتعلقة بطول السنة، والشهر القمري، والأجهزة الفلكية، وظاهرتي الكسوف والخسوف، ونظرية حركة الكواكب[2].

أما ثانيهما فهو كتاب (الجغرافيا) وعنوانه (Geographike Huphegesis) يتألف من ثمانية أجزاء، يحتوي الجزء الثامن منها على خرائط أثرت تأثيراً كبيراً في علم الأطالس (الكارتوغرافيا) عند العرب[3]، وقد هدف بطلميوس من كتابه هذا تصحيح خريطة العالم، وعلى الرغم مما في ذلك الكتاب من أخطاء وقصور إلا أنه أدق وأشمل المؤلفات القديمة في الجغرافيا، وقد ظل هو المرجع الأول حتى القرن السادس عشر الميلادي[4].

* بلينيوس الأكبر (Plinius Secondus) (23 – 79 م)

هو مؤلف لاتيني يحتمل أنه ولد في مدينة كومي الإيطالية حوالي سنة 23م[5]، وقد عمل في الجيش في أفريقيا ورأس فرقة الفرسان سنة 46 م وأستقر في روما عام 52 م، كما شغل منصب حاكم إقليم في أسبانيا من عام (68 – 72م) ومراكز عليا في عهد الإمبراطور فسباسيان، وقائد أسطول في مسينا في عهد نيتوس فسبسيان.

---

[1] لاروند، المرجع السابق، ص 209.

[2] الموسوعة المصرية، مادة بطلميوس.

[3] لاروند، المرجع السابق، ص ص 210–211.

[4] الموسوعة المصرية، مادة بطلميوس.

[5] شامو، المرجع السابق، ص 316.

كان عالماً موسوعياً، تناول في مؤلفاته التي ضاعت العلوم العسكرية والتاريخ والتعليم واللغة، وقد بلغت مؤلفاته (102) كتاباً لم يبق منها سوى موسوعة التاريخ الطبيعي (Naturalis Historia) التي تقع في 37 كتاباً تبحث في علوم الجغرافيا، والأجناس، والسلالات البشرية، ووظائف الأعضاء، وعلوم الحيوان والنبات، والصيدلة، والمعادن، والتعدين، والرياضيات، والفيزياء، والكواكب، والنجوم، والظواهر الجوية، وتعاقب الفصول، والأرض، والبحار، والأنهار، وتحتوي الموسوعة على 20.000 مادة مستقاة من مؤلفين إغريق ورومان[1].

ويعد ما كتبه المؤرخ الروماني بلينيوس دائرة معارف في مختلف العلوم رغم فقراته القليلة التي تتحدث عن جغرافية ليبيا وطبيعتها وقبائلها، وبعض الأحداث التاريخية التي وقعت فيها وكان فضوله العلمي وإحساسه بالواجب سبباً في نهاية حياته، فقد أقلع في أثناء ثورة بركان ڤيزوف الشهيرة عام 79م إلى هناك ليشاهد ظاهرة البركان، وليساعد بعض أصدقائه، فمات اختناقاً بالغازات السامة المتصاعدة من البركان[2].

ويعاب عليه عدم مراعاة التسلسل الزمني للحوادث، وعدم دقة معلوماته الجغرافية، وولعه بالموازنة بين الشخصيات، غير أنه يعتبر فريداً بين المؤرخين الرومان في عزوفه عن كتابة الحوليات، وإقباله على كتابة بحث مطول في موضوع واحد، وفي أخذه بمذهب ثوكيديدس الواقعي ومقاييس بوليبيوس في معالجة مادته التاريخية بصياغة لغوية جيدة[3].

* بلوتارخوس (Plutarchus) (46 – 120م)

وُلد في مدينة خيرونا بإقليم بويوتيا في بلاد اليونان حوالي سنة 46 م، وتوفى حوالي سنة 120 م في نفس المدينة[4]، ولم يكن مؤرخاً بالمعنى المفهوم، وإنما كان قبل كل شئ رجل أدب وفلسفة وعالم أخلاق، ولقد درس الفلسفة في آثينا وإيطاليا ومصر، لكنه قضى معظم حياته في مسقط رأسه، وأسس بها أكاديمية ظلت قائمة مدة قرن بعد وفاته، وتوقفت صلاته ببلدة دلفي التي كانت مركز نبوءة الإله أبوللو، حيث تقلد منصب الكهانة فترة طويلة[5].

وكان يُعرف بإتقان اللغة الإغريقية، واللغة اللاتينية[6]، وأهم كتبه في التاريخ هو كتاب (تراجم العظماء) (Vitae Parallelae) الذي أرخ فيه لعظماء الإغريق والرومان، حيث كان يتبع سيرة كل عظيم إغريقي بسيرة أحد أمثاله من الرومان، ولذلك سُميت هذه التراجم بالتراجم

---

(1) لاروند، المرجع السابق، ص 212.

(2) شامو، المرجع السابق، ص 316.

(3) لاروند، المرجع السابق، ص 200.

(4) شامو، المرجع السابق، ص 88.

(5) لاروند، المرجع السابق، ص 260.

(6) لاروند، المرجع السابق، ص 260.

المتوازية، وللكتاب منحى أخلاقي قصد من ورائه تمجيد الصفات الحميدة، كالشجاعة والإخلاص والتفاني في خدمة الوطن، وكذلك إلى توجيه عظات ونصائح أخلاقية عبر أقاصيص طريفة، ومن كتبه الفلسفية كتاب الأخلاقيات (Operamoralia) وهو يضم حوالي ستين بحثاً في الأخلاق، وعلى الرغم من عنوانه لم يقتصر على دراسة الأخلاق فقط، بل شمل أيضاً دراسات في الدين والطبيعة والسياسة والتاريخ[1].

يمتاز أسلوبه بالبساطة، وتتسم آراؤه بسمة تصوفية، وتجمع فلسفته بين مذاهب أفلاطونية ورواقية وفيثاغورية، وبالرغم من عدم عمق تفكيره، وسطحية بعض بحوثه، فقد أضاء بمؤلفاته الغزيرة ظلمة الركود الثقافي الذي خيم على بلاد الإغريق في القرن الأول الميلادي[2].

*** بوليبيوس (polybius)**

هو مؤرخ إغريقي ولد في ميجالوبوليس إحدى مدن أركاديا بالبلوبونيز بجنوب بلاد اليونان، وتربى تربية عالية، وأشترك في الحياة السياسية، وتولى منصباً عاماً في عصبة آخايا التي كانت تُناهض النفوذ الروماني[3]، وزار مصر وليبيا ونوميديا وصقلية وأسبانيا، وهو وإن كان إغريقياً إلا أنه عاش في روما ووضع كتاب تاريخ ضخم عنوانه (Lexicon Polybianum) وله عنوان آخر (Historiarumreliquae) ويقع في أربعين مجلداً سرد فيه تاريخ العالم منذ بداية الحرب البونية الثانية في سنة 218 ق م، وحتى سنة 146 ق م، التي هزمت فيها قرطاجة أمام الرومان.

يعتبر بوليبيوس من أشد المؤرخين الكلاسيكيين تمسكاً بالنزعة العلمية في مجال البحث التاريخي، ولقد شرح في هذا الكتاب الأسباب التي أدت إلى نمو القوة الرومانية، وتلك التي أدت إلى انهيار الحضارة الإغريقية ومؤسساتها، كما حلل الكيفية التي استطاعت بها المدن الرومانية المستقلة الوصول إلى حالة متميزة من القوة والثبات في وجه أعدائه، وهو يرى أن روما هي مركز التاريخ السياسي في عصره[4]، ولذا فإنه جعلها القطب الذي تدور حوله الأحداث في كتابه، كما كان يدعو إلى تنقية الكتابة التاريخية من الأساطير، وطالب المؤرخين بتفهم الظروف والملابسات التي تواكب أو تسبق الأحداث التاريخية، والبحث عن العلل البعيدة والقريبة التي تؤدي إلى وقوعها، وهو يرى أن مهمة المؤرخ الأولى هي جمع الوثائق ودراستها بدقة، وقال أنه

---

(1) علي، المرجع السابق، ص 62.

(2) لاروند، المرجع السابق، ص 260.

(3) علي، المرجع السابق، ص 55.

(4) لاروند، المرجع السابق، ص 204.

على المؤرخ أن تكون لديه تجربة سياسية كافية[1]، وقد أهلته لمهمة المؤرخ خبرته السياسية والعسكرية الواسعة، وسهولة رجوعه إلى السجلات الرسمية والتاريخية في بلاد اليونان وروما، فضلاً عن معرفته الوثيقة بالشخصيات والأحداث الجارية.

كان له رأي في التاريخ والعلية التاريخية وفي رأيه أن للتاريخ ثلاثة عناصر، أولهما دراسة الوثائق التي يعتبرها أقل أهمية من العنصرين الآخرين، والثاني هو معرفة الجغرافيا الطبيعية والسياسية عن طريق الملاحظة الشخصية، أي السفر والتجوال للوقوف بوجه خاص على موارد كل إقليم وإمكانياته، والثالث هو الإلمام بالعلوم السياسية والعسكرية، وهذه العناصر ليست إلا وسائل لتحقيق غاية وهي إثبات الحقيقة التي هي فضيلة التاريخ الأولى وميزته الجوهرية، وموضوع الباعث والسبب من أهم موضوعات التاريخ، وهما وجهان مختلفان لشئ واحد فعلى القائد أن يدرس أخلاق خصمه لكي يستفيد من نقطة الضعف فيه، ولابد للسياسي من الوقوف على بواعث عقد المعاهدات ونشوب المنازعات وما إلى ذلك حتى يعرف كيف يُعالج المشاكل، وينبغي التمييز بين السبب الجوهري والسبب العرضي، فالأخير لا يعدو أن يكون أول حدث في سلسلة أحداث معينة، في حين أن الأول هو الباعث الذي يكمن وراء هذه الأحداث والأفعال، كما يرى أن السببية أو (قانون العلة والمعلول) شئ أهم وأعمق من بواعث سلوك فرد واحد أو حتى فئة قليلة من الناس، فالسبب الرئيسي لتدهور بلاد اليونان هو إقفارها من السكان، وسبب إقفارها من السكان هو شغف أهلها الجنوني بالمال وولعهم بالمظاهر وانغماسهم في الملذات وميلهم إلى الدقة والإسترخاء، مما يؤدي عادة إلى الانحلال وهلاك الأمة، وأما السبب في انتصار روما وتفوقها فيكمن في نظمها السليمة وأخلاق شعبها القويمة[2].

وقد اعتمد عليه جملة من المؤرخين في كتابة تاريخهم منهم ليڤيوس، وديودوروس الصقلي، وبلوتارخوس، وإبيانوس الإسكندري[3].

* سالوستيوس كريسبوس (Sallustius Crispus) (86 – 34 ق.م)

هو مؤرخ لاتيني ولد حوالي سنة 86 ق.م، وتوفي حوالي سنة 34 ق.م، وكان ينتمي إلى أسرة من العامة، ويناصر الحزب الديمقراطي، ويؤيد يوليوس قيصر، وقد شغل عدة مناصب،فكان كوايستوراً فتريبوناً للعامة، ثم أصبح عضواً في مجلس الشيوخ، وطرد منه عام 50 ق.م بتهمة أخلاقية، ولكن تعاطف معه يوليوس قيصر وساعده على اختياره كوايستوراً مرة ثانية

---

[1] لاروند، المرجع السابق، ص 204.

[2] علي، المرجع السابق، ص ص 56–59.

[3] نصحي، إبراهيم، " تاريخ الرومان" ج1، منشورات الجامعة الليبية، ط1 1990، ص 242.

عام 48 ق.م ثم قائداً لإحدى فرقه، وبعدئذٍ برايتوراً عام 46 ق.م، وحاكم (بروقنصل) على ولاية أفريقيا الجديدة (نوميديا) [1].

ومن أهم مؤلفاته التاريخية حرب يوجورتا (Bellum Iugurthinum) 116 – 105ق.م وهو كتاب نُشر في عام 41 ق.م ويحتوي على مقدمة فلسفية ثم عرض لسير الأمير النوميدي يوجورتا واستيلائه على السلطة في بلاده، وقد جمع المؤرخ المعلومات في أفريقيا، وتوافرت لديه مصادر أدبية قيمة كان من بينها ترجمات عن اللغة اليونانية، ومن أهم مؤلفاته أيضاً حرب كتيلينا (Bellum catilinae) حيث يروي المؤرخ قصة مؤامرة كتيلينا الشهيرة (64 – 62 ق.م) بطريقة شيقة ويصور فيها الشخصيات تصويراً حياً بارعاً، كما كتب تاريخاً (Historiae) تناول فيه الفترة من (78 – 67 ق.م) إضافة إلى رسائل سياسية، ورسائل تخيلية[2].

*** سبتيميوس سيفيروس (Septimius Severus)(193 – 211م)**

وُلد لأبوين ليبيين في مدينة لبتس ماجنا سنة 146م[3]، وأتم تعليمه في ليبيا وحصل على إجازة الحقوق، ثم ألتحق بالجيش ولم يلبث أن أصبح قائداً لإحدى الكتائب الرومانية فأصبح إمبراطوراً، فقد حدث في أوائل سنة 193م انقسامات خطيرة بين كبار رجال الدولة الرومانية حول من سيتولى السلطة ويتبوأ عرش روما، فظهر سيفيروس بمنصب الإمبراطور إثر هزيمة كل منافسيه، وكان خصومه يطعنون في عدم أصالته وبوصفه بربرياً أجنبياً يتحدث في القصر باللغة البربرية، ولم يتعلم اللاتينية إلا كلغة ثانوية، ومع هذا الطعن في عدم أهليته بوصفه أجنبياً غربياً أستطاع تذليل الصعاب، والتغلب على الأعداء في جو مشحون بالتوتر ومحفوف بأخطار محدقة[4].

ورث من الأباطرة السابقين تركة ثقيلة من المشاكل المتراكمة من استبداد كاليجولا، وبلاهة كلوديوس، وجنون نيرون، وطغيان تراقان عام 98 م، وتهور هادريان عام 117م، وجبروت أنطونيوس عام 138م، وعناد ماركوس أريليوس 161–180م، وهم جميعاً أباطرة أوصلهم الجيش إلى سُدة الحكم وقضى على أكثرهم، ورث هذه التركة في جو مشحون بأزمات تنذر الإمبراطورية بالسقوط والانهيار وكله ثقة بأن يعيد الأمور إلى نصابها الطبيعي، وأن ينهض بهذا العبء، وأن يُعني بالأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ولم يقتصر تركيزه

---

[1] لاروند، المرجع السابق، ص 200.

[2] علي، المرجع السابق، ص 14.

[3] بيشون، جاك، المسألة الليبية في تسوية السلام، (ترجمة: علي ضوي) طرابلس، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، سلسلة الدراسات المترجمة، ط1 1991 م، ص 65.

[4] مناع، محمد عبد الرازق، سبتيميوس سيفيروس إمبراطور روما العربي، طرابلس، ليبيا، دار مكتبة الفكر، ط1 1973، ص 119

على صيانة الأمن الداخلي، بل زحف بنفسه على رأس جيش على المناطق الثائرة في بلاد الجرمان والغاله(فرنسا وبلجيكا)، ولم تلهه هذه المشاكل عن وطنه[1]، وعلى الرغم من هذا فقد علق أهمية كبرى فوجه عناية خاصة بالزراعة واهتم بالزراعة والتجارة، وكانت ليبيا تسمى آنذاك مخزن الغلال وكانت مركزاً تجارياً هاماً يشمل همزة وصل بين الشرق والغرب وبين أواسط أفريقيا وسواحل البحر المتوسط[2].

توفى عام 211م، وخلفه على عرش روما ابنه كاركلا الذي سار طبقاً لمخططاته مستفيداً من تجاربه العظيمة في تيسير الأمور وقيادة الرجال على اختلاف مشاريعهم، وأنهار حكم الإمبراطورية الرومانية بانتهاء حكم أسرة سبتيميوس سيفيروس الليبية عندما قُتل آخر أفرادها في ثورة عسكرية، وكان ذلك نذيراً بزوال الإمبراطورية الرومانية سنة [3].

*** سكولاكس (Scylax)**

هو مؤلف قديم حدث حول شخصيته لبس شنيع لدى قدماء ومحدثي المؤرخين، فالبعض يزعم أنه هو (سكولاكس الكاريدني) الذي هو مؤرخ إغريقي عاش في زمن الإمبراطور الفارسي(داريوس الأول) (521 – 485 ق.م) الذي كلف سكولاكس آخر بتتبع مجرى نهر الهند، ويقول هيرودوتس عن سكولاكس أن ذلك المؤرخ قد تفحص مجرى النهر المذكور باتجاه الغرب ثم وصف لنا المحيط الهندي، وأستمر وصفه حتى البحر الأحمر[4]، ووضع حول الموضوع كتاباً أطلع عليه الفيلسوف أرسطوطاليس وأشار إليه في كتابه المسمى (السياسة)، ومن المحتمل أن يكون سكولاكس هذا قد وضع كتاباً آخر حول سيرة حياة الكاريندي (هيراكليوس) الذي ثار ضد استعمار الإمبراطور الفارسي داريوس الأول، غير أن معجم سويداس البيزنطي[5] يتضمن خلطاً فادحاً بين صاحبنا وبين سكولاكس آخر عاش بعده بزمن ووضع كتاباً طعن فيه في الكتاب الذي يحتوي على أربعين مجلداً والمعروف بـ (تاريخ بوليبيوس) المتوفي سنة 22 ق.م، وجملة القول أن الكتاب المذكور يتحدث فقط عن المواقع الجغرافية أو المسافات الفاصلة بينها حول البحر المتوسط، ومن بينها المواقع الجغرافية الواقعة على السواحل الليبية، ويحتمل أن صاحبه قد ألفه

---

[1] مناع، المرجع السابق، ص ص 119–120.

[2] مناع، "الصحراء الليبية مصدر أقدم الحضارات"، طرابلس، دار مكتبة الفكر، ط1 1969، ص 121.

[3] رستوفزف، "تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي" (ترجمة: زكي علي وآخر) ج1، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1 1975، ص 473.

[4] لاروند، المرجع السابق، ص 576.

[5] هو معجم إغريقي مجهول المؤلف وسويداس هي كلمة لاتينية معناها (الحصن) وبالتالي فإن اسمه بالعربية يمكن أن يكون (المعجم الحصين) وهو عبارة عن شذرات ومقاطع ونصوص وتلخيصات لنصوص إغريقية قديمة، للمزيد ينظر: لاروند، المرجع السابق، ص 576.

حوالي سنة 350 ق.م، وبالتالي فإنه ليس سكولاكس الذي حدثنا عنه هيرودوتس الذي عاش في القرن الخامس ق.م، وتوفى حوالي سنة 420 ق.م، أي قبله بحوالي السبعين سنة[1].

*** سكيبيو ايميليانوس**

سليل إحدى الأسر الرومانية العريقة، كان قنصلاً عام 147 ق.م وكينسوراً عام 142 ق.م، أنهى الحرب الرومانية القرطاجية الثالثة (149 – 146 ق.م) ودمر قرطاجة تدميراً كاملاً وباع أهلها في سوق النخاسة، وجعل من إقليمها ولاية إفريقية عام 146 ق.م[2].

*** سترابو (Strabo) (63/64 ق.م – حوالي عام 21 م)**

هو مؤرخ وجغرافي إغريقي، ولد في مدينة أماسيا (Amasia) في بلدة بنتوس (Bontus) بآسيا الصغرى حوالي عام 64 أو 63 ق.م، وتجري في عروقه دماء آسيوية، وقد مكنته ثراء أسرته التي كانت على اتصال بالسياسة والحياة العسكرية من تكريس حياته للعلم وطلبه، ذهب إلى روما حوالي عام 44 ق.م في بواكير شبابه حيث واصل تعليمه الذي بدأه في وطنه الأصلي على يد العالم الجغرافي تيرانيون (Tyrannion) الذي كان له الأثر الكبير على مستقبل حياته، وهناك أتصل بالمدرسة الفلسفية الرواقية[3].

ثم زار مصر بين عامي 25 و 19 ق.م وترحل حتى أسوان، وعاش في الإسكندرية مدة خمس سنوات أكبَّ خلالها على مطالعة مختلف المصنفات التي احتوتها مكتبتها الشهيرة، وألف كتاب الجغرافيا الذي يُعد موسوعة للعالم، وهو في الواقع جغرافية تاريخية وفلسفة للجغرافية، يقع في سبعة عشر كتاباً زاخراً بالمعلومات المعروفة في عصره، ولكنه غير وافٍ في الجغرافية الطبيعية، وقد كتب عن ليبيا في الكتاب السابع عشر، ولعله أكثر الكُتاب الذين تحدثوا عن الليبيين وخاصة الجرامنتس، كما أن له كتاباً آخر هو كتاب (المذكرات التاريخية) ويتألف من 47 جزءاً لكنه ضائع، ولم يعثر سوى على نتف مقتضبة منه يبدؤه حيث أُنتهى كتاب (بوليبيوس) أي سنة 146 ق.م، وهي سنة تدمير قرطاجة، ولقد استقى معلوماته من كل من (بوليبيوس) الذي كان يعتبر أستاذه ورائده، ومن (إراتوستينيس القورينائي) ومن (بوسيدونيوس) [4].

ويبدو أن سترابو لم ير الكثير من العالم المعروف آنذاك، وإنما اعتمد على النقل والاقتباس وتسجيل ملاحظاته بعينه الفاحصة الناقدة، وفي عام 7 ق.م عاد إلى وطنه الأصلي وهو العام الذي يُرجح أنه أنهى فيه كتابه (الجغرافيا) وعاش حتى بلغ الرابعة والثمانين من عمره حيث توفى في مسقط رأسه حوالي عام 21 م[5].

---

[1] نفسه، ص 40.

[2] الموسوعة المصرية، مادة سكيبيو.

[3] خشيم، المرجع السابق، ص 79.

[4] الموسوعة المصرية، مادة سترابو.

[5] خشيم، المرجع السابق، ص 80.

*** خريطة بيوتنجر (Tabula peutingeriana)**

هي خريطة للإمبراطورية الرومانية تعود للعصر المتأخر عرضها 34 سم، وطولها سبعة أمتار، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى العالم الألماني كونراد بيوتنجر Konrad peutinger الذي قام بنشرها لأول مرة عام 1753م، ثم ثانية عام 1874م، ونشرها بعد ذلك K.miller بمدينة شتوتجارت الألمانية في سنة 1916م باسمها اللاتيني Itineraria Romana أي المسالك الرومانية، وهذه الخريطة هي دليل للطرق يُغطى مساحة شمال أفريقيا[1]، وهي عبارة عن شريط طويل يتألف من أثنى عشر قسم، وقد أظهرت هذه الخريطة الطرق والمدن والمسافات فضلاً عن الجبال والأنهار الرئيسة ابتداء من مصب نهر الكينغ في الصين شرقاً حتى بريطانيا غرباً وهي ذات فائدة عظيمة لدارس التاريخ القديم والآثار[2].

---

[1] لاروند، المرجع السابق، ص 309.

[2] Tim Cornell, et al, Atlas of the Roman world , Oxford, Phaidon, 1982, PP, 116-117 .

ثانياً: جدول المسافات

مصراته Thubactis – Cephalae Promontorium													
تاورغا													37
بويرات الحسون Aspis												106	143
سرت Macomades - Euphranta											86	192	229
السلطان Charax – Iscina – Surt										50	136	242	279
بن جواد Zacasama									102	152	238	344	381
رأس لانوف Arae Philaenorum								50	152	202	288	394	431
العقيلة Automalax - Anabucis							50	100	202	252	338	444	481
بشر Ammon- Ammonis Fontes						20	70	120	222	272	358	464	501
البريقة Kozynthion					20	40	90	140	242	292	378	484	521
بوقرادة Borum				20	40	60	110	160	262	312	398	504	541
إجدابيا Corniclanum			67	87	107	127	177	227	329	379	465	571	608
الزويتينة Kainon		28	95	115	135	155	205	255	357	407	493	599	630
المقرون Chorotus	79	107	174	194	214	234	284	334	436	486	572	678	709
قمينس Chaminus	26	105	133	200	220	240	260	310	360	462	512	598	704	735
بنغازي Euesperides	50	76	155	183	250	270	290	310	360	410	512	562	648	754	785

جدول المسافات بين أهم مراكز العمران القديمة والحالية في خليج سرت الكبير

إعداد الباحثة

ثالثاً: الخرائط

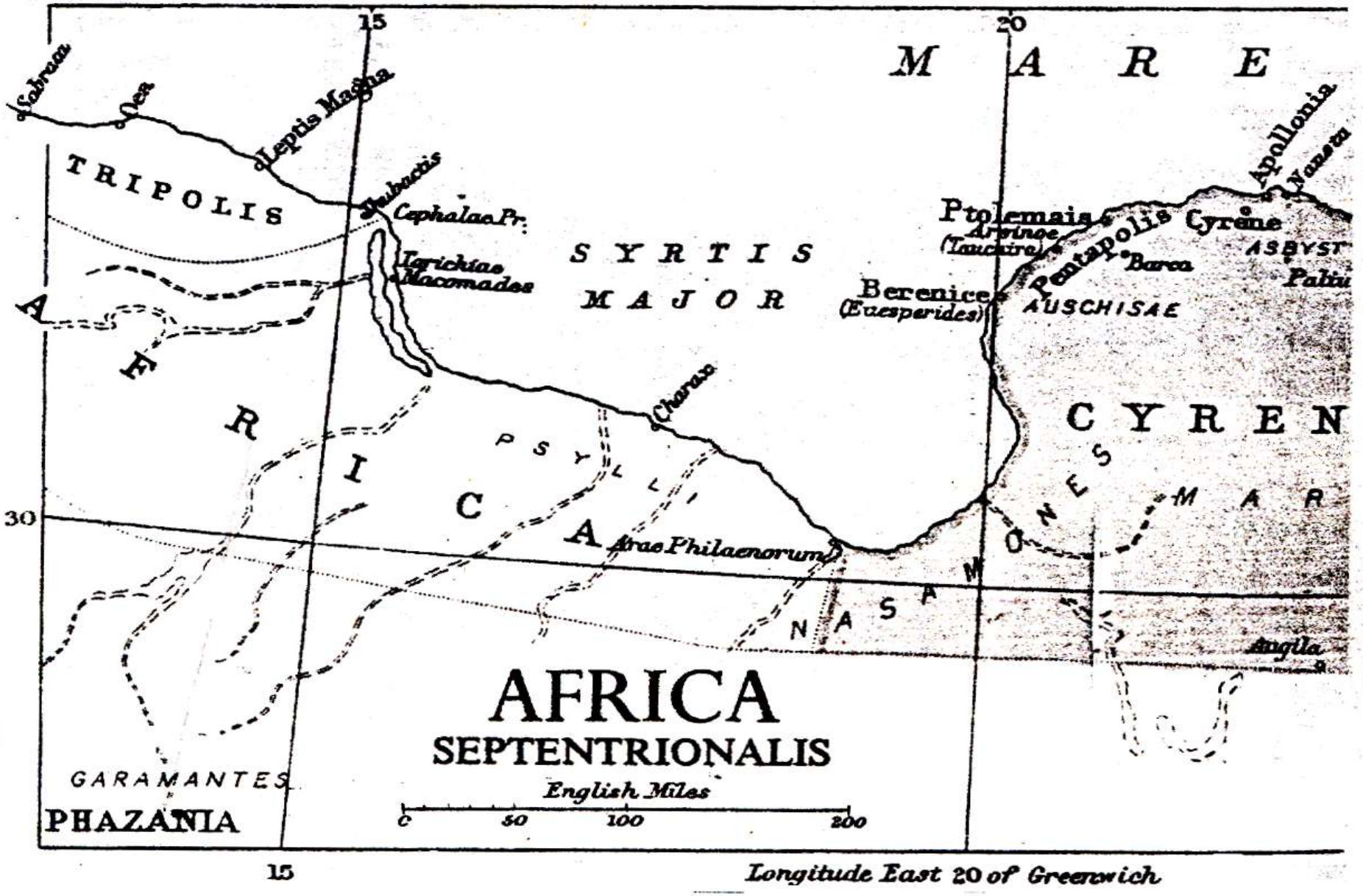

خريطة رقم (1) (أ – ب) خليج سرت بالنسبة لخطوط الطول وخطوط العرض

(Longitude Eastof Greenwich)

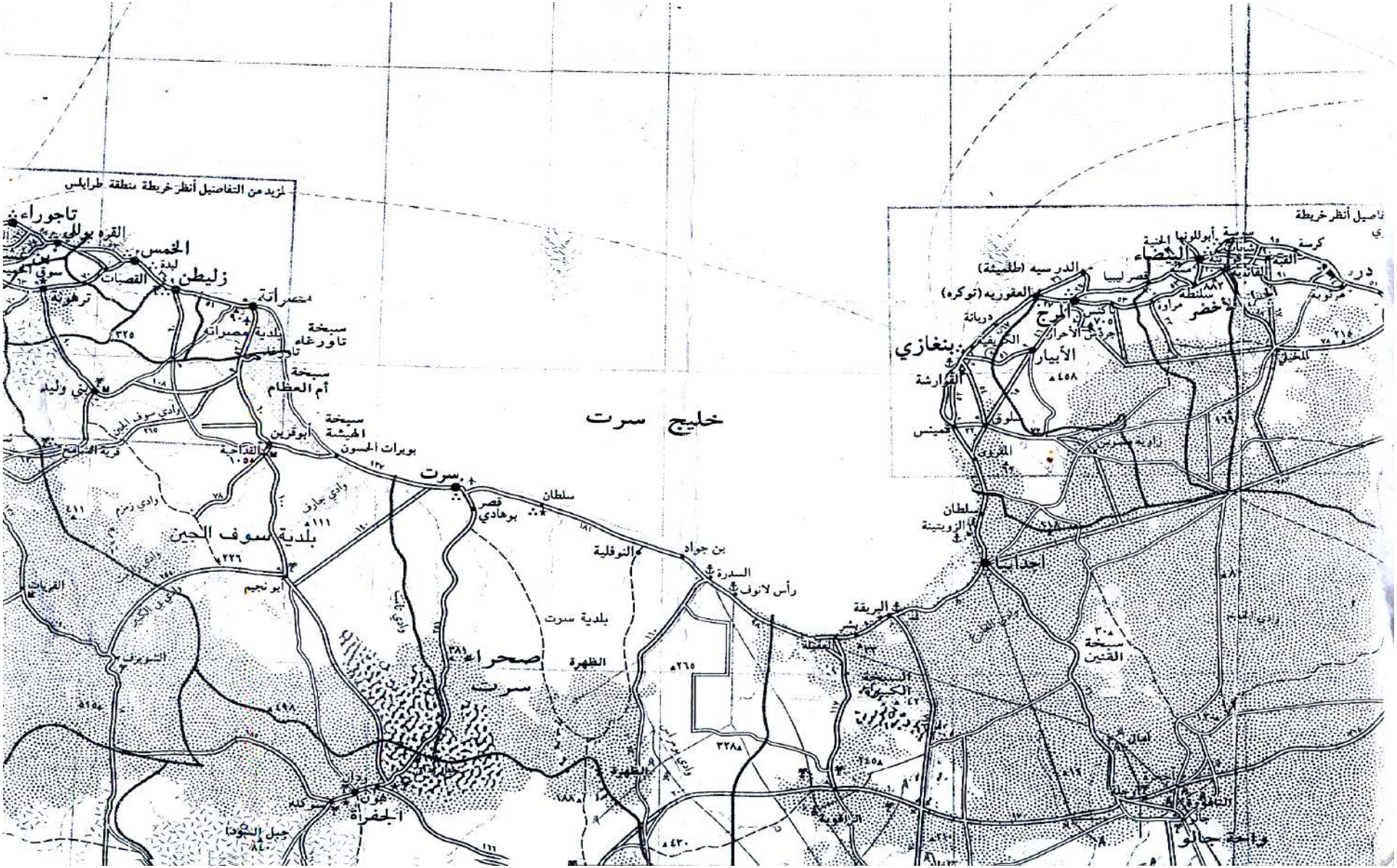

خريطة رقم (2) خليج سرت الكبير في خريطة ليبيا

عن (أمانة التخطيط، طرابلس)

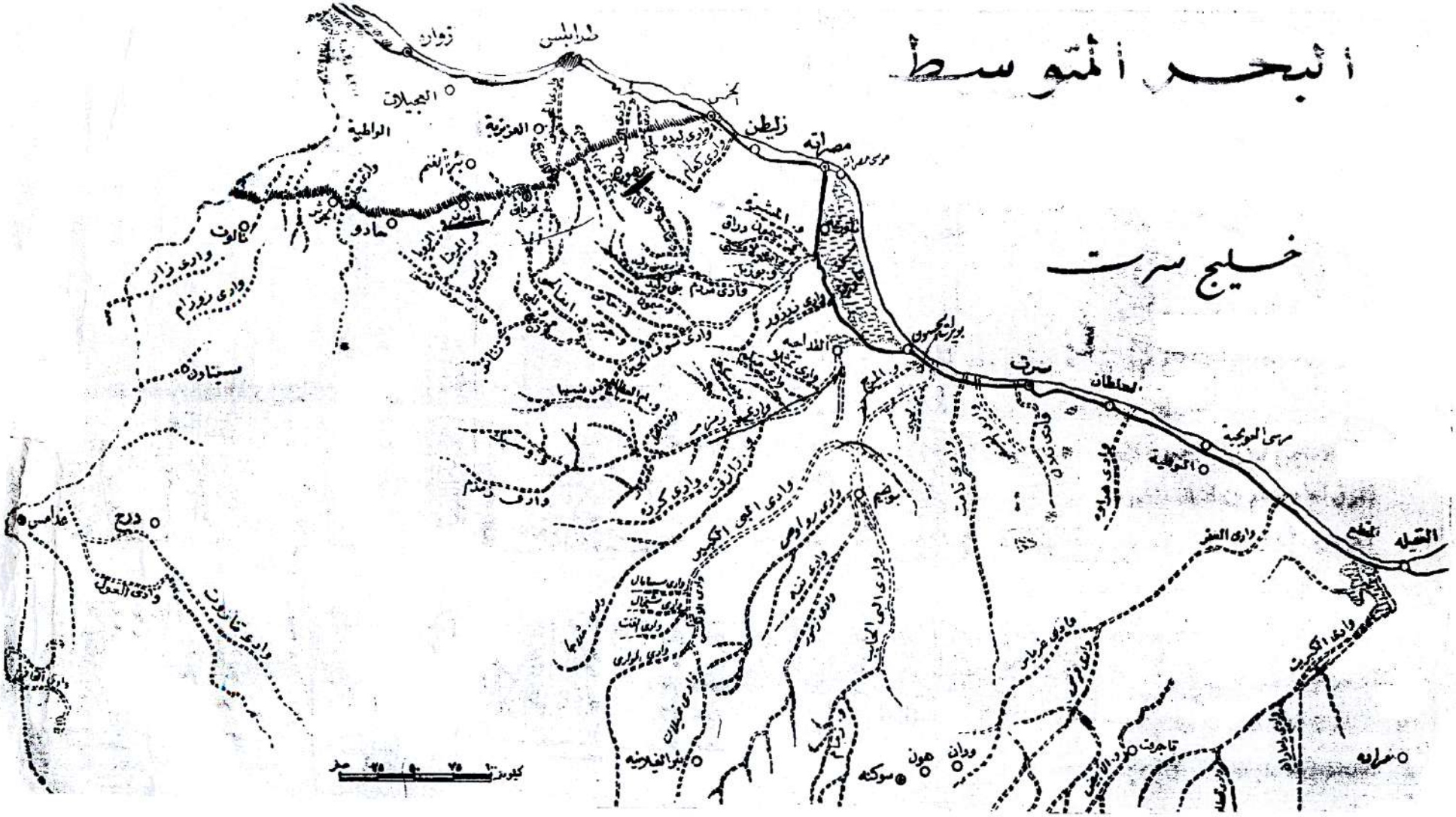

خريطة رقم (3) بعض أودية خليج سرت الكبير

عن (منظمة اليونسكو في دراسة الأودية الليبية)

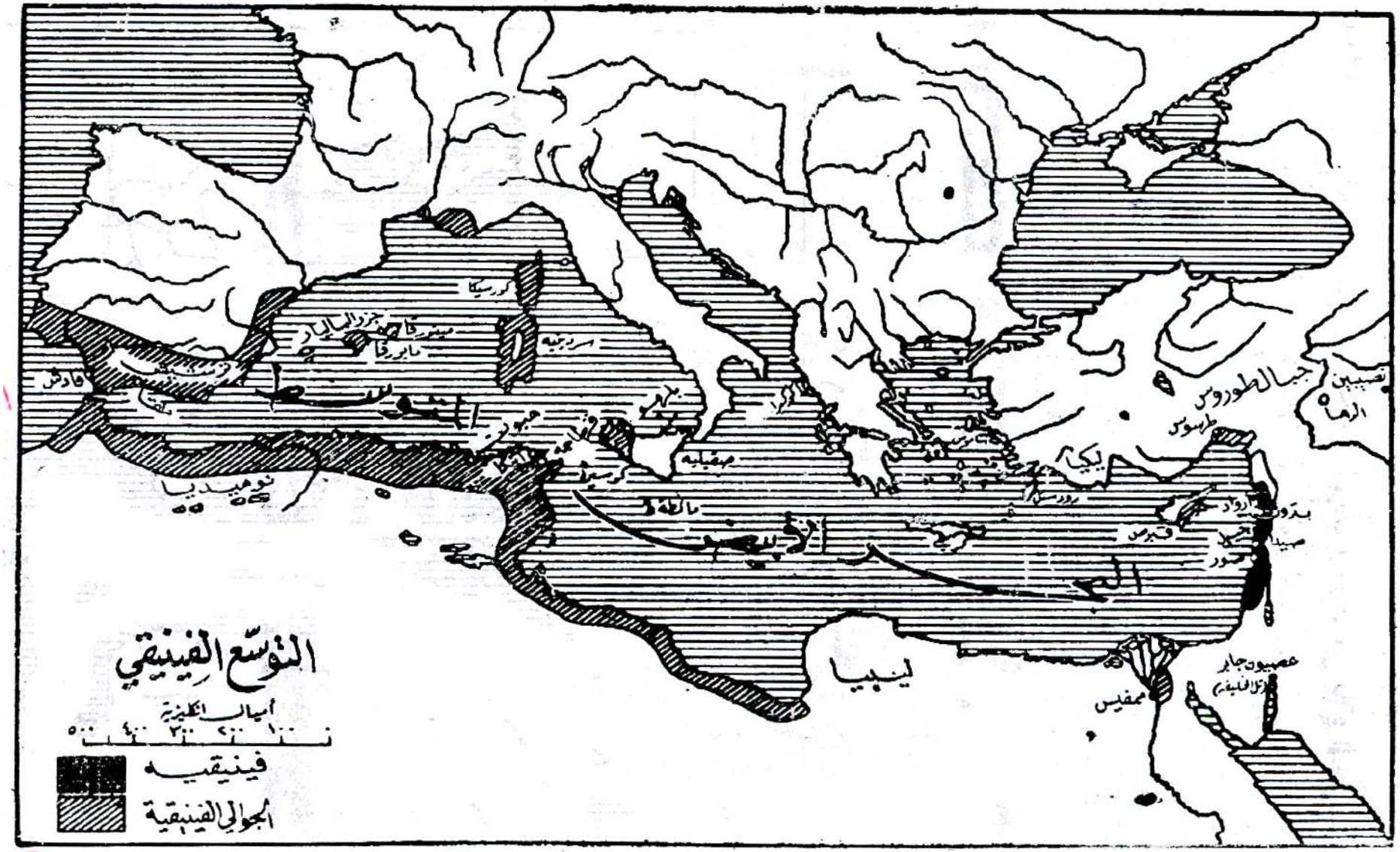

خريطة رقم (4) حدود التوسع الفينيقي في خليج سرت الكبير

عن (فيليب، المرجع السابق)

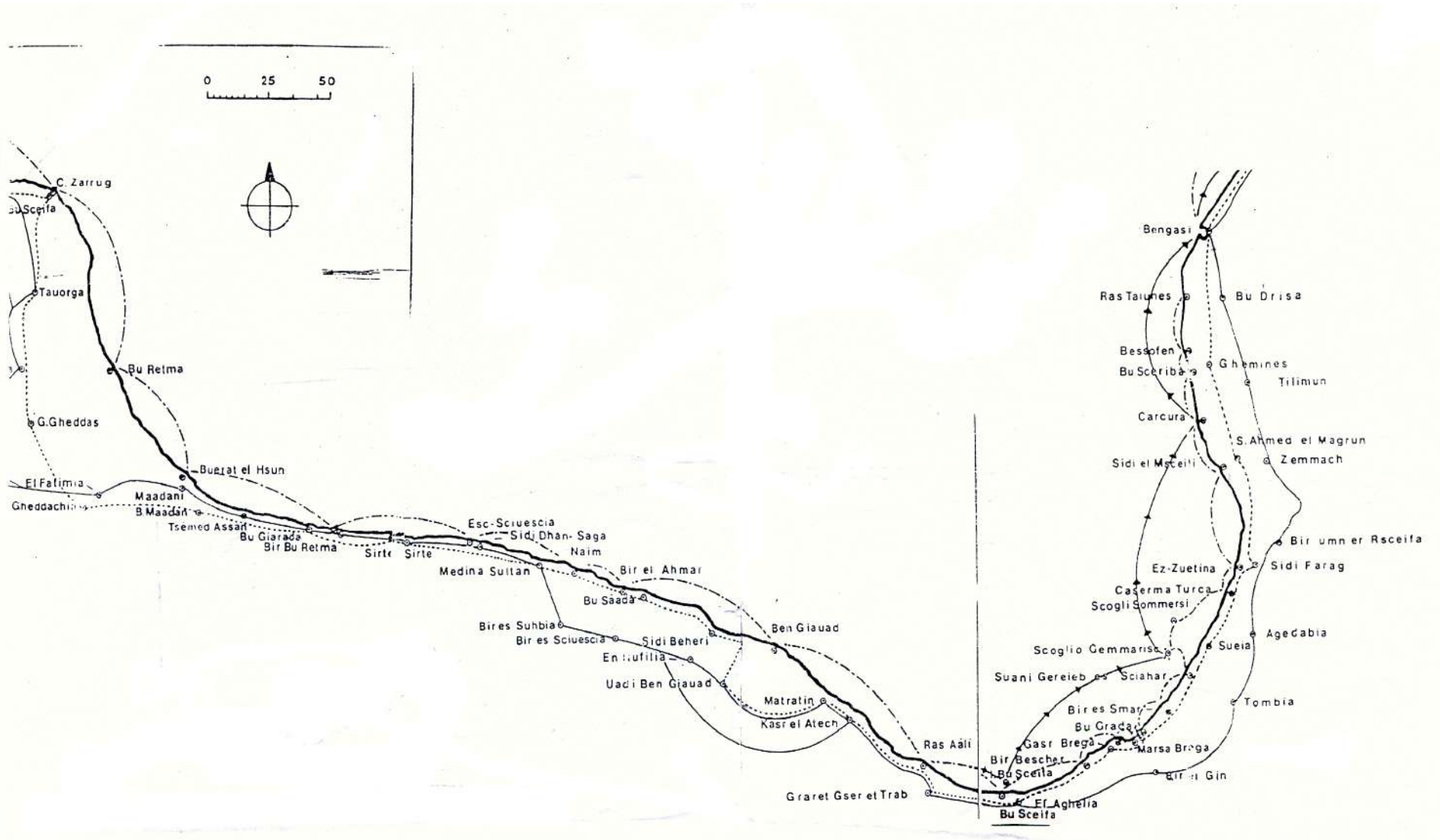

خريطة رقم (5 أ) مراكز العمران في خليج سرت الكبير

عن(Pagano , Valeria. Purcaro, op. cit.,)

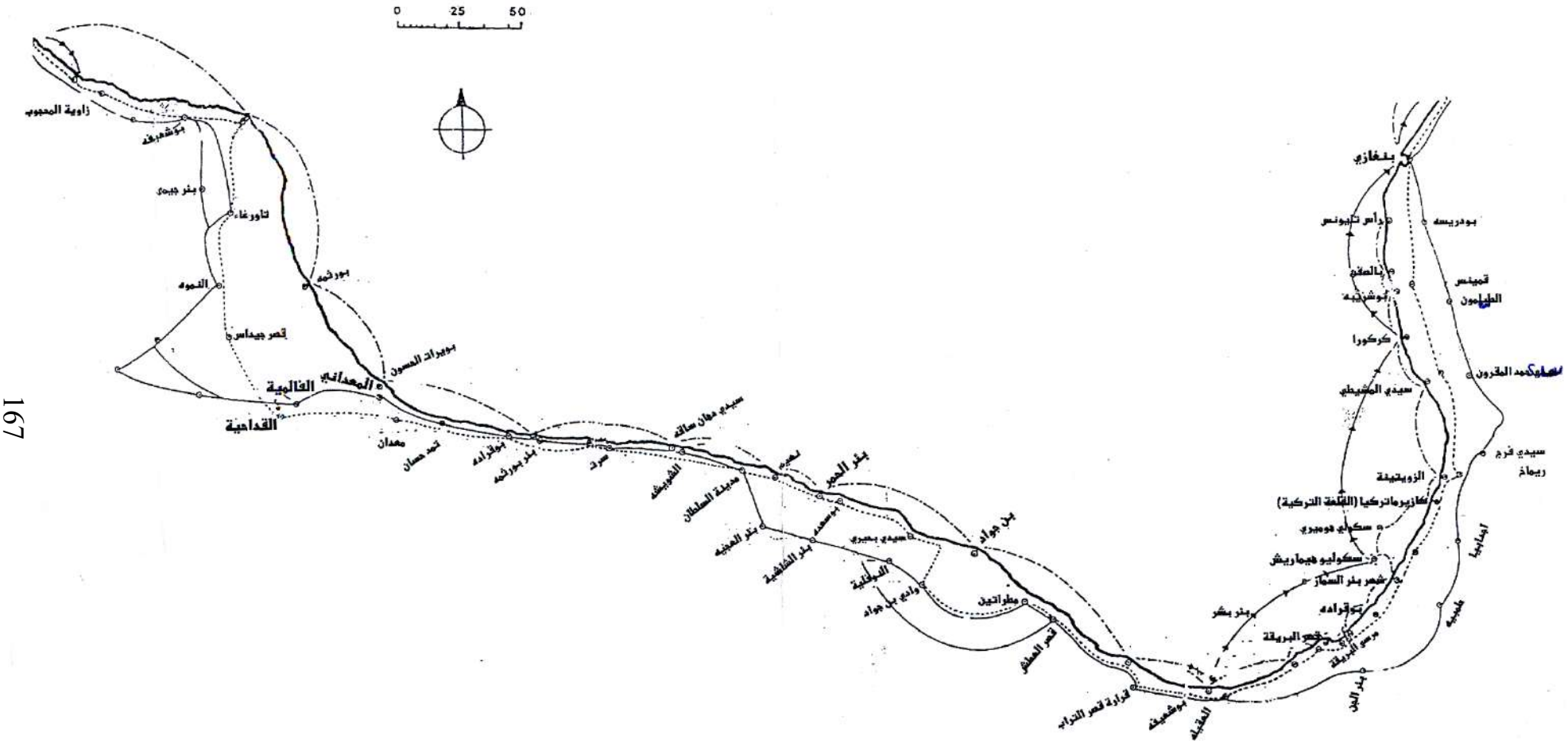

خريطة رقم (5 ب) مراكز العمران في خليج سرت الكبير

عن(Pagano , Valeria. Purcaro, op. cit.,)

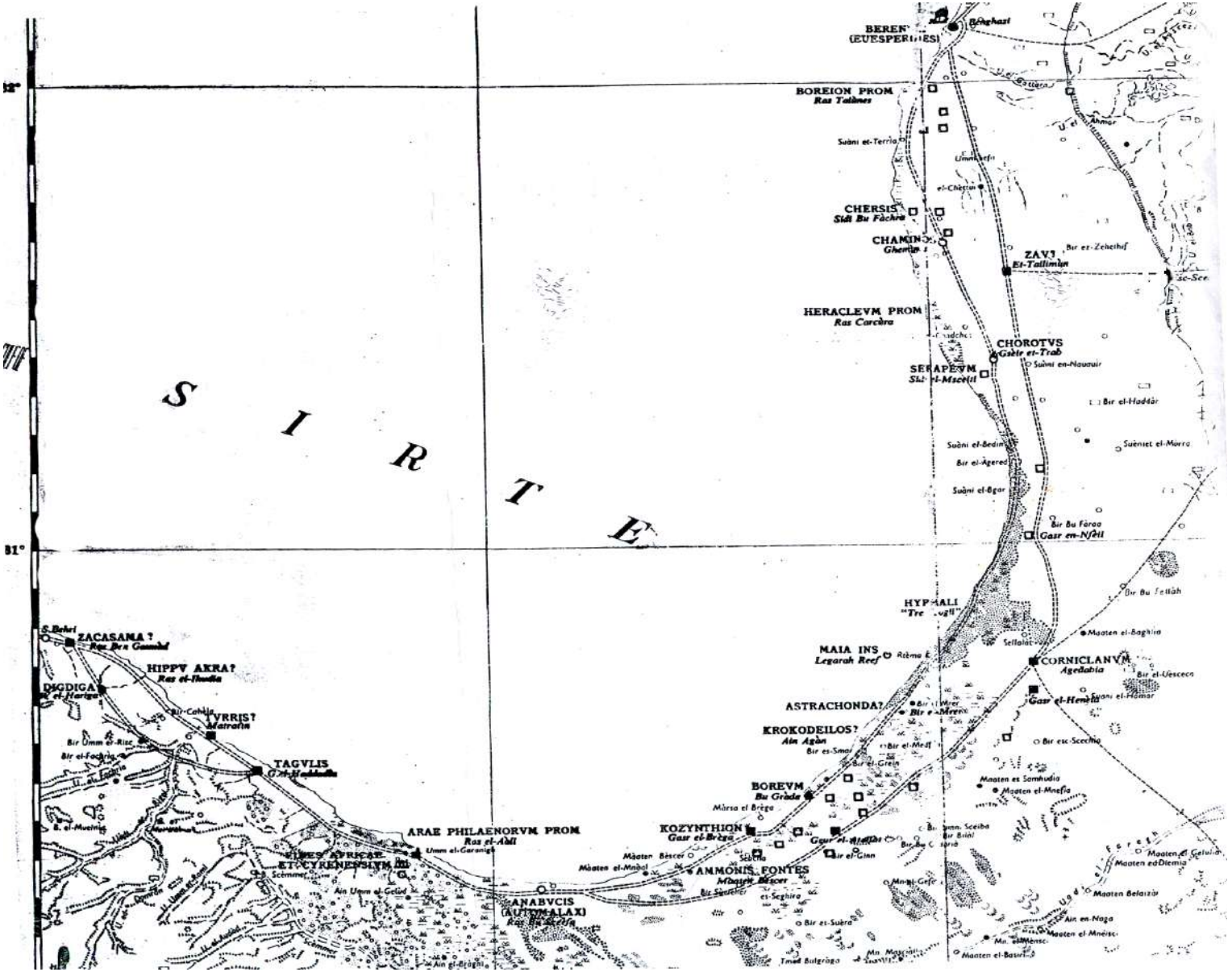

خريطة رقم (5 ج) مراكز العمران القديمة في خليج سرت الكبير

عن(Goodchild, Tabula Imperii.)

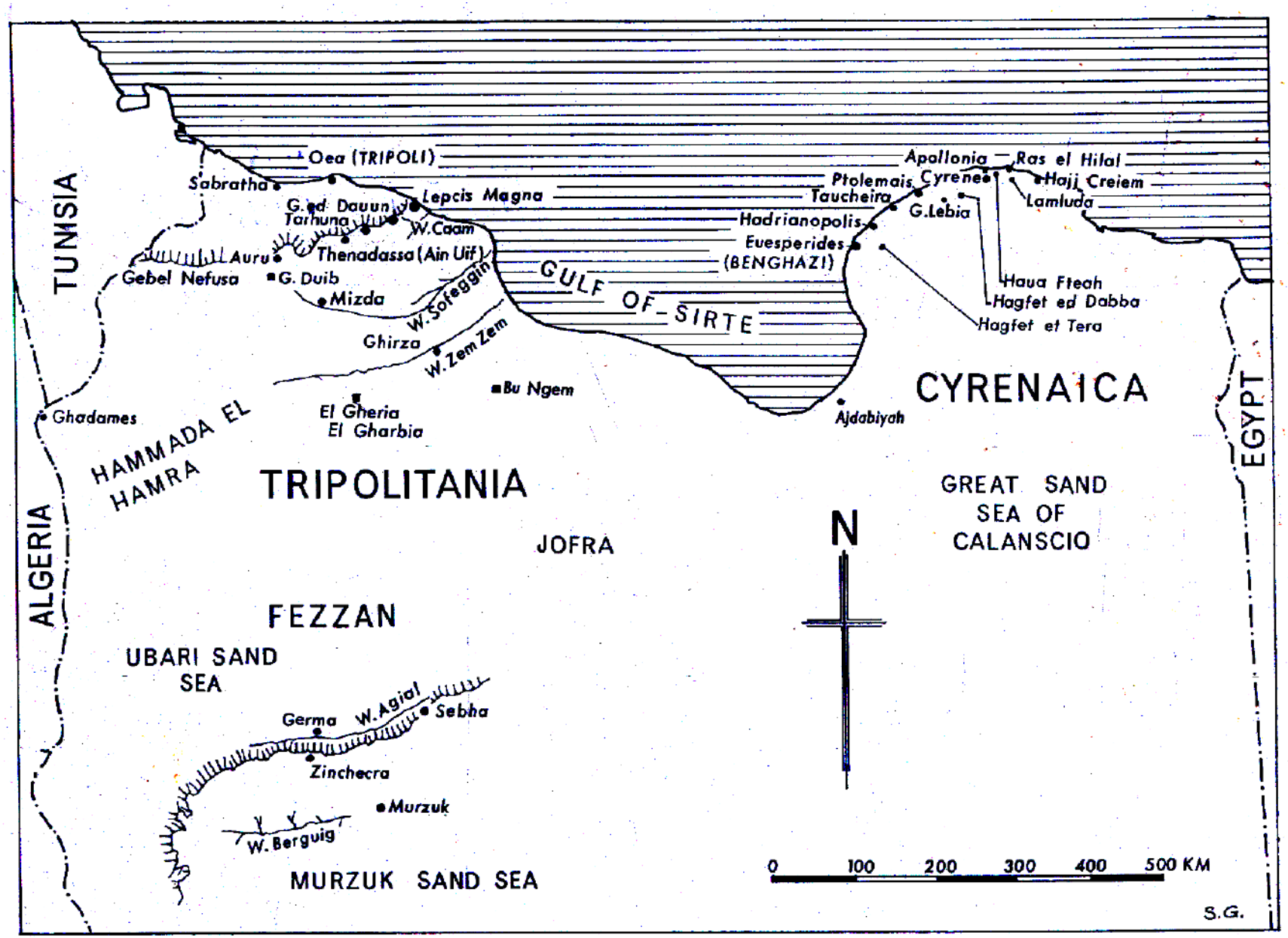

خريطة رقم (5 د) خريطة ليبيا تظهر المواقع الرئيسية المذكورة بهذه الرسالة

(Libya, Showing The Principal Sites Mentioned in this Report)عن

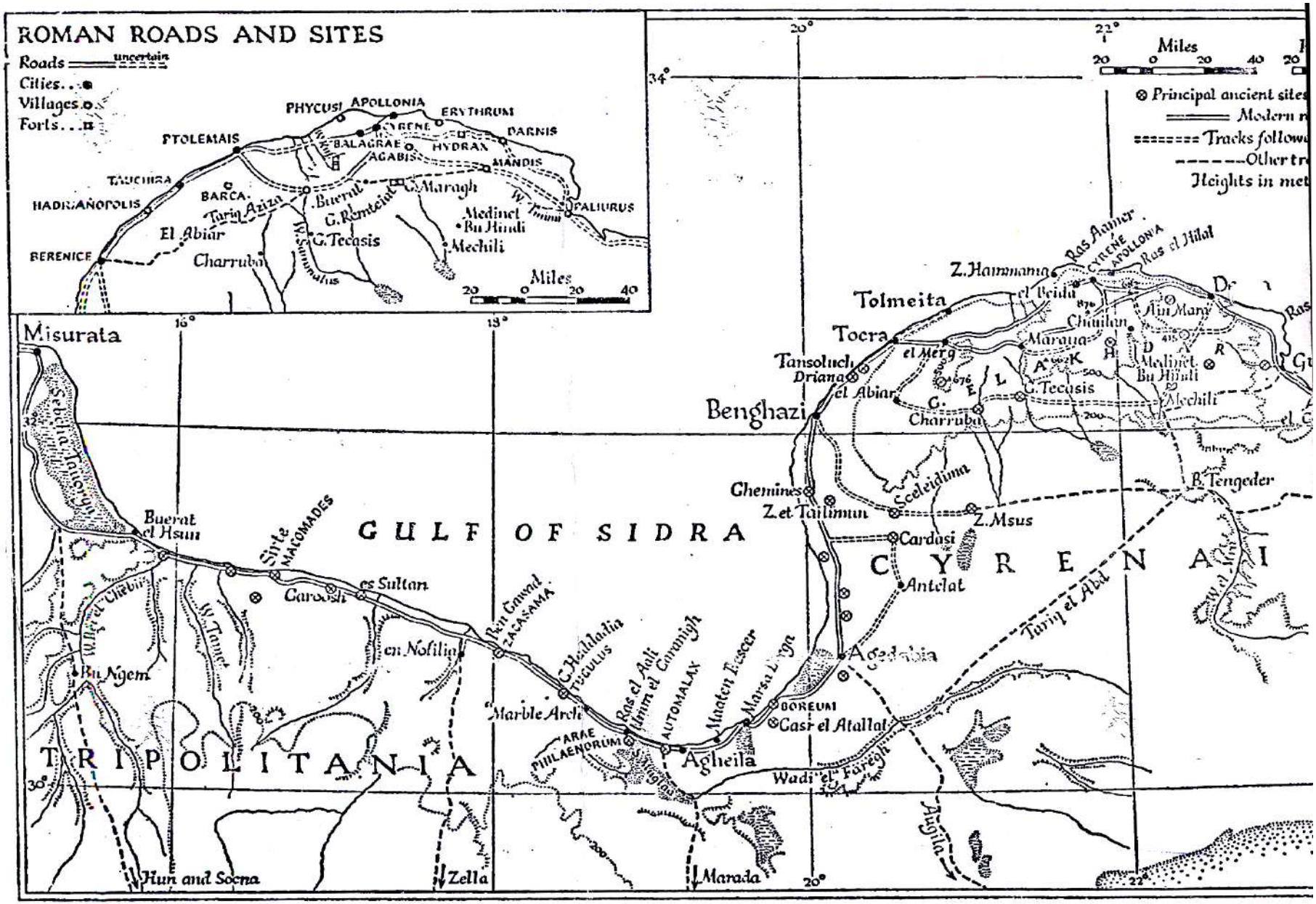

خريطة رقم (5 هـ) المدن الحديثة والمواقع القديمة في ليبيا

عن (Goodchild L.S., op . cit)

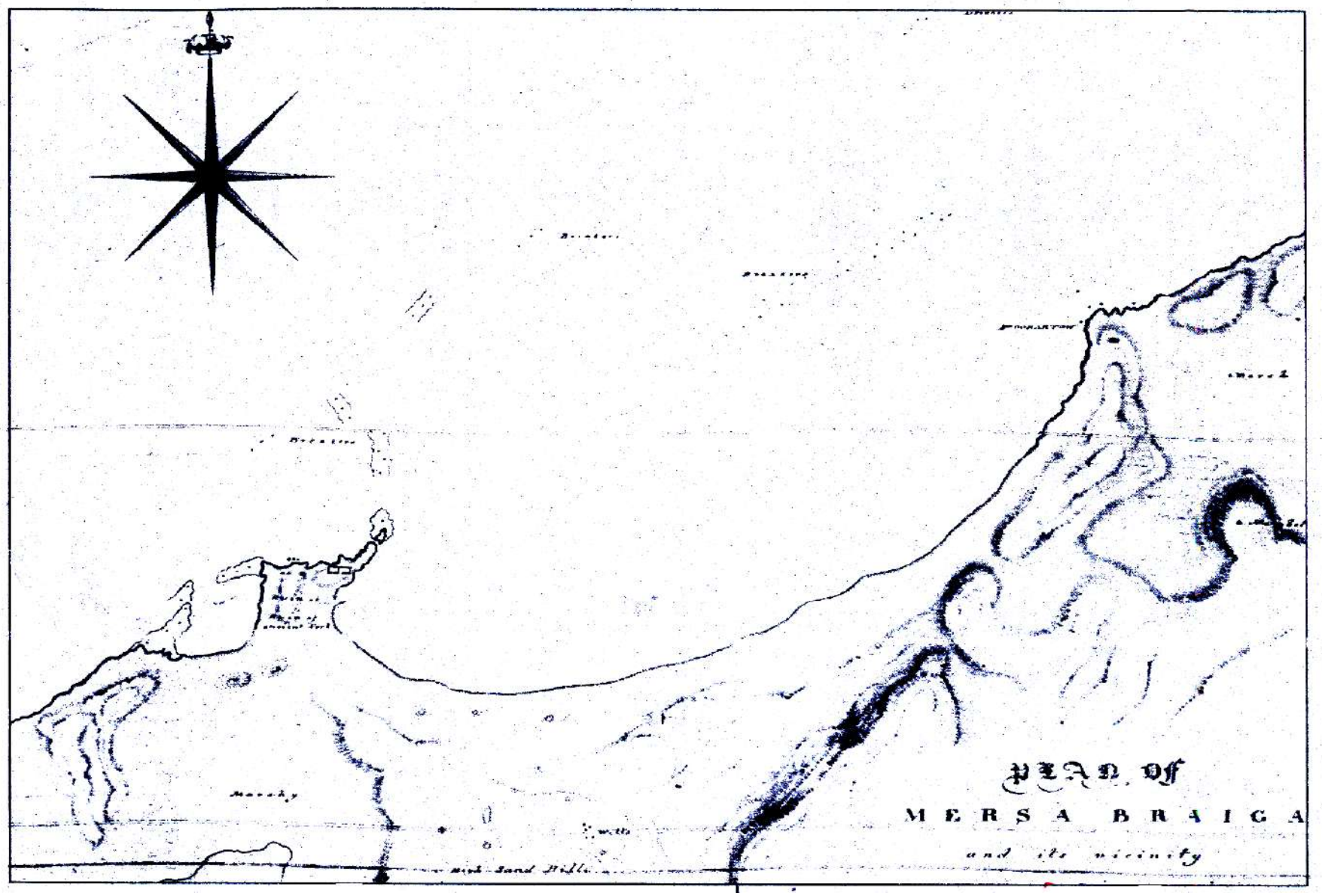

خريطة رقم (6) خريطة مرسى البريقة

(Figure 3 The Beecheys, map of Marsa-el-Brega (reproduced by courtesy of the UK Hydrographic Office, Taunton)) عن

رابعاً : الصور الفوتوغرافية

صورة رقم (1)

الكثبان الرملية الشاطئية البيضاء – تصوير الباحثة

صورة رقم (2)

سبخة زوخيس (تاورغاء) ، تصوير الباحثة

صورة رقم(3)

أحد أودية منطقة خليج سرت الكبير، تصوير الباحثة

صورة رقم (4)

وادي الحمر مثالاً لأودية خليج سرت الكبير، تصوير الباحثة

صورة رقم (5أ)

الثروات الطبيعية : الثروة الحيوانية (الأغنام) في خليج سرت الكبير، تصوير الباحثة

صورة رقم (5 ب)

الثروات الطبيعية : الثروة الحيوانية (الماعز)، تصوير الباحثة

صورة رقم (5 ج)

الثروات الطبيعية : الثروة الحيوانية (الإبل)، تصوير الباحثة

صورة رقم (6)

قطعة عملة فينيقية عُثر عليها في خليج سرت الكبير

عن (الرحيبي، عبد الله علي، مدير مشروع المسح الأثري لأودية خليج سرت الكبير)

صورة رقم (7)

تمثالي الأخوين فيلايني بعد نقلهما إلى متحف السلطان (سرت القديمة = خاراكس (Charax)، تصوير الباحثة.

صورة رقم (8)

القوس الرخامي

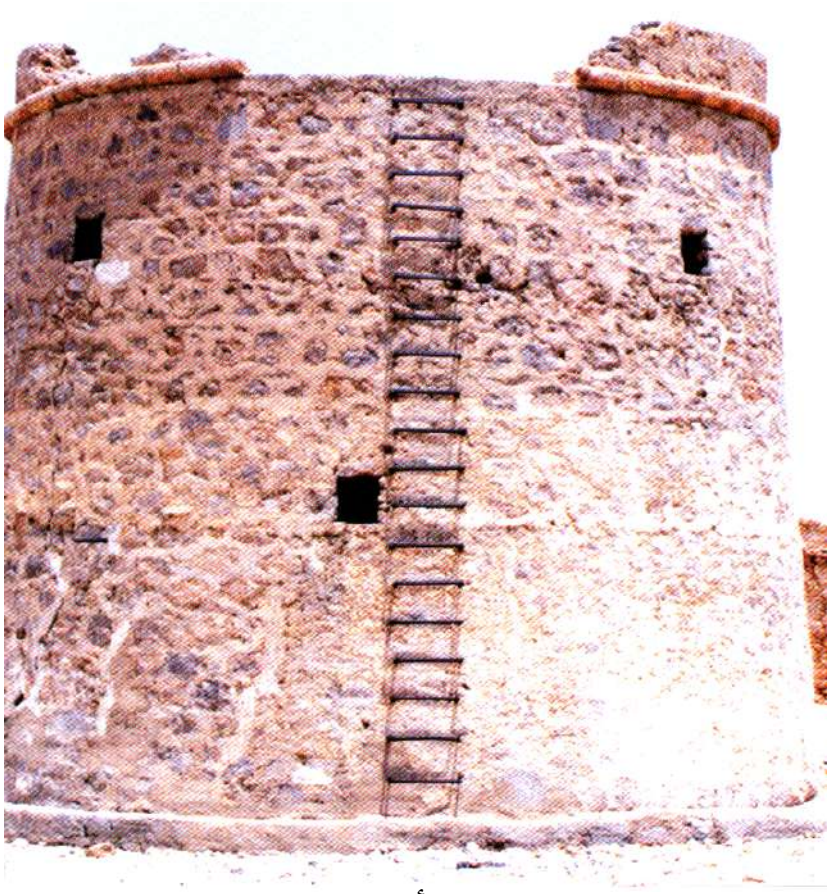

صورة رقم (9 أ) حصن جولايا

عن الدليل السياحي المصور لشعبية سرت، 2003ف)

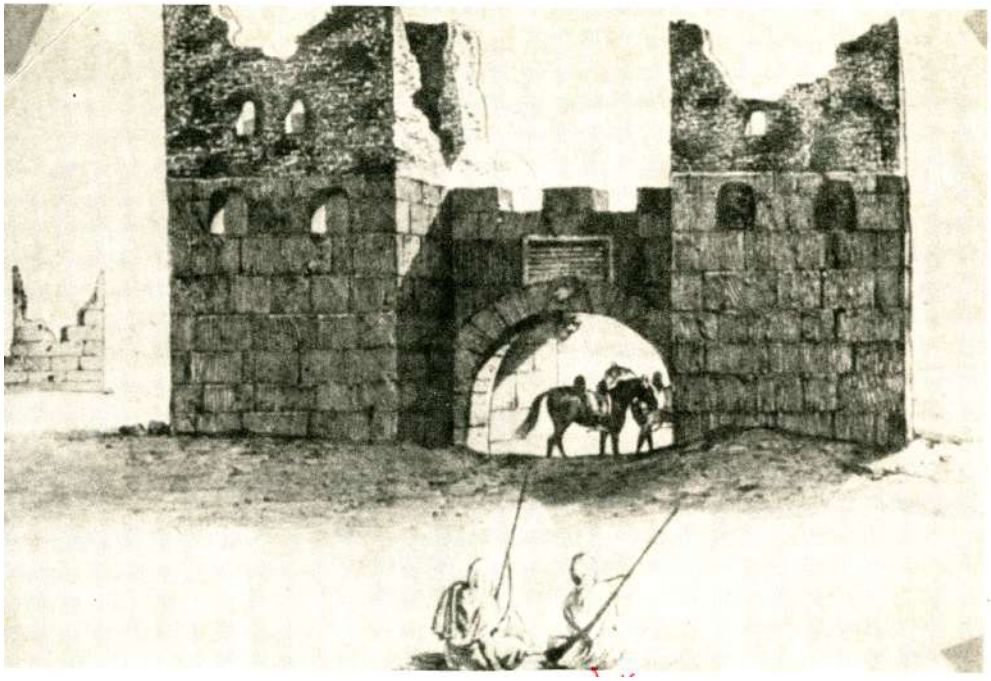

صورة رقم (9 ب) البوابة الشمالية لحصن جولايا

عن (رسم قام به الكابتن ج.ف. ليون (G.F.Lyon) ، 1821 م)

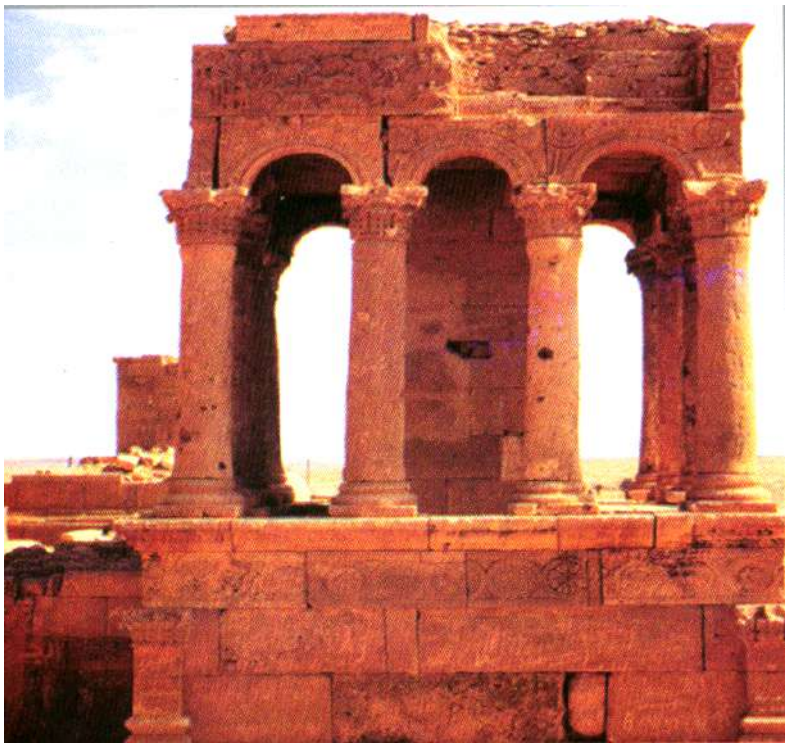

صورة رقم (10 أ)

ضريح معبد مقوس في المقبرة الشمالية في جيراسا

عن (الدليل السياحي المصور لشعبية سرت، 2003ف)

صورة رقم (10 ب)

ضريح معبد في المقبرة الشمالية في جيراسا

عن (رسم قام به الكابتن ج.ف. ليون (G.F.Lyon) ، 1821 م)

صورة رقم (11) آسبيس، تصوير الباحثة

صورة رقم (12 أ)

خاراكس (سرت القديمة)، تصوير الباحثة

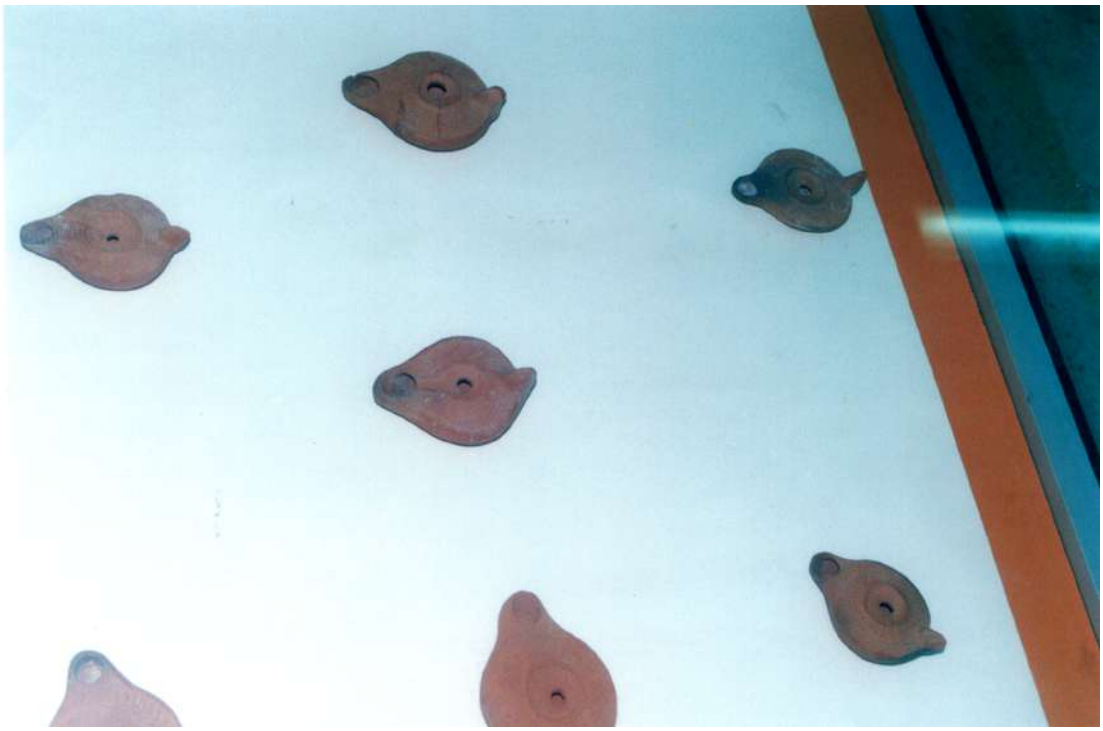

صورة رقم (12 ب)

لقيات أثرية معروضة بمتحف السلطان، تصوير الباحثة

صورة رقم (13)

أمونيس فونتيس (معاطن بشر)، تصوير الباحثة

صورة رقم (14 أ)

بوريوم (بوقرادة)، تصوير الباحثة

صورة رقم (14 ب)

بوريوم (بوقرادة)، تصوير الباحثة

صورة رقم (15)

أحد الحصون الليبية القديمة في منطقة كامينوس، تصوير الباحثة

صورة رقم (16)

كاينون (الزويتينة)، تصوير الباحثة